كلية الآداب بقنا
قسم التاريخ

نُظم الحضارة العربية الإسلامية

الأستاذ الدكتور
إبراهيم علي السيد القلا
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
وعميد كلية الآثار بصان الحجر
جامعة الزقازيق

الأستاذ الدكتور
صلاح سليم طايع
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
وعميد كلية الآداب
جامعة جنوب الوادي

فهرس

مقدمة

الفصل الأول: مفهوم الحضارة

- مفهوم الحضارة
- أصول الحضارة الإسلامية
- خصائص الحضارة الإسلامية

الفصل الثانى: نظم الحكم والإدارة والنظم القضائية

- الخلافة
- مجلس الشورى
- الوزارة
- ولاية الأقاليم
- الحجابة
- ولاية العهد
- الكتابة
- القضاء
- الحسبة
- الشرطة

الفصل الثالث: النظم الحربية

- الجيش
- الأسطول

الفصل الخامس: المدن الإسلامية

- المدينة المنورة
- الكوفة
- البصرة
- دمشق
- الفسطاط
- القيروان
- واسط
- قرطبة
- العسكر
- بغداد
- القطائع
- القاهرة

الفصل السادس: أثر الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية

الصور والأشكال

المصادر والمراجع

مُقَدِّمَة

الأمم بحضارتها، وبمقدار ما يكون للأمة من يد على الحضارة بمقدار ما يكون لها من عظمة التاريخ، وكل أمة لا حضارة لها لا حضور لها ولا تاريخ ٠

وما كان للعرب والمسلمين كان منهم للحضارات خلاصة وكان منه التفوق والنبوغ وحين يكون التفوق هو فى الشأن العقلى والعلمى فإن ذلك ينعكس أثره على مناحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتقاس حضارة الأمم بمقدار عطائها لا بقدر أخذها ومن جانب العطاء نجد أن العرب والمسلمين ﴿**خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾

فالحضارة العربية الإسلامية استلهمت الإسلام وتفاعلت معه ولم يكن بينهما انفصال والفروق الجزرية بينهما لم تمنع من لقاءات حضارية خلت من السلاح والحقد والصراع وكانت غنية بالعطاء والخير ٠

والحضارة العربية الإسلامية سجل تاريخى يوضح تطور العقل البشرى فهى فى الحقيقة امتداد للحضارات السابقة لها ولكنها ذات شخصية متميزة ومفتوحة، وليست كالحضارة الغربية خلال العصور الوسطى مغلقة على نفسها، فهذه الحضارة ترجع أولا إلى العرب وثانيا إلى سكان البلاد التى فتحها العرب ودخلوا فى الإسلام، ولذلك تسمى بالحضارة العربية والإسلامية ٠

ودراستنا للحضارة الإسلامية بدأت ببداية الإسلام لأنهما لا ينفصلان عن بعضهما، وكان اهتمامنا بمعالمها فى عصرها الذهبى منذ مطلع العصر العباسى حتى أغار التتار على بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، وحولها التتار إلى كومة من الرماد، فكان العصر الذهبى للحضارة الإسلامية قد استمر نحو خمسة قرون من الزمان ٠

ولكل حضارة عبر عصور التاريخ صفتها المميزة التى تكسبها طابعا خاصا يميزها عن غيرها من الحضارات السابقة عليها أو اللاحقة لها، وإذا كانت الحضارة الإسلامية باعتراف كافة الباحثين فى الشرق والغرب هى أعظم حضارة عرفها العالم أجمع فى حقبة العصور الوسطى فإن من أبرز الصفات المميزة لهذه الحضارة أنها حضارة إنسانية استهدفت خير الإنسان والرحمة به وتحقيق أكبر قدر من النفع له والعمل على السمو به إلى أعلى المستويات روحيا وفكريا ومعيشيا ٠

والحضارة العربية الإسلامية يدين لها العالم بالكثير ليس فقط لحفظها التراث القديم الذى ورثته، ولكن الابتكارات والشروح الجليلة التى قام بها علماء العرب والمسلمين فى العلوم ٠

إن فضل العرب والمسلمين على الحضارة الإنسانية لا يستطيع إنسان وصفه والتعبير عنه حيث أنهم بفتوحاتهم العظيمة اتصلوا بالحضارات المختلفة فجمعوا هذه الحضارات وصهروها، وقدموا حضارة عربية وإسلامية تفوق الحضارات التى سبقتها بدرجات كبيرة، لذا نجد أن الدين الإسلامى هو المحرك الحقيقى لمناحى هذه الحضارة فهو المحرك للتطبيق العلمى على الحياة اليومية ٠

ومما لا شك فيه أن علماء العرب والمسلمين استفادوا من إنجازات الأمم التى سبقتهم والأمم التى اختلطوا بها بعد الفتوحات الإسلامية وذلك بحصولهم على نتائج تجاربهم العلمية، لذا فإن الحضارة عبارة عن تراث ونتاج مشتركين بين الأمم المختلفة، هذا وقد أثرت الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية فى الكثير من فروع المعرفة.

وسوف يتضح لنا مدى تقدم وازدهار الحضارة العربية الإسلامية من خلال هذه الدراسة التى تناولت جوانب من تلك الحضارة، حيث أن هذه الحضارة غنية بجوانبها ولا تسع الدراسة لتناول هذه الجوانب جميعها ولذلك نتناول بعض الجوانب المؤثرة فى العالم عامة ٠

الأستاذ الدكتور

إبراهيم علي الدين السيد القلا

صلاح سليم طايع

الفصل الأول: مفهوم الحضارة

- مفهوم الحضارة
- أصول الحضارة الإسلامية
- خصائص الحضارة الإسلامية

مفهوم الحضارة

الحضارة[١] فى مفهومنا العام – هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصود أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية .

وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ لأن التاريخ كما سنرى هو الزمن، والثمرات الحضارية – مادية أم معنوية – تحتاج إلى زمن لكى تطلع، أى أنها جزء من التاريخ، أو نتاج جانبى للتاريخ، وكما أن ثمر الزروع والأشجار لا يطلع إلا بفعل الزمن، أو لا يمكن أن تزرع وتحصد ثمرة ما فى نفس الوقت، فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان[٢] .

وكلمة حضارة لها أكثر من تعريف أيضا فهى الإقامة فى الحضر والحاضرة هى المدينة، والمدينة تعنى الحضارة واتساع العمران، وكلمة تمدن تعنى العيش حياة أهل المدن والأخذ بأسباب الحضارة[٣] والحضارة أيضا نظام اجتماعى يعيش الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافى[٤] كما أنها الروح العميقة للمجتمع وتقوم على تأكيد الأصالة الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للإنسان[٥] .

وعلى الرغم من تعدد تعاريف الحضارة ومدلولها، فهى مستوى التقدم الذى بلغه المجتمع فى ميدان الفكر والاجتماع والاقتصاد والتكنولوجيا[٦] .

والحضارة التى ندرسها توصف بالحضارة العربية أو الحضارة الإسلامية وهذا لا يعنى أن سكان الجزيرة العربية الذين دخلوا فى الإسلام هم وحدهم الذين أسهموا فيها، فالمقصود بالحضارة العربية الإسلامية، أنها تشمل جميع الشعوب التى تحدثت العربية وعاشت فى دار الإسلام فى ظل الخلافة الإسلامية بصرف النظر عن الجنس والدين، ولذلك يدخل فيها مع العرب الأجناس الأخرى حيث حوت أراضى الخلافة الإسلامية العديد من العناصر بجانب العرب، مثل الفرس والمغاربة، والسودانيون والأقباط، والنصارى واليهود وأيضا أصحاب الديانات الأخرى[٧] .

وقد وصفت هذه الحضارة بالعربية لوجود ما ينتمى للعربية فيها وأهم ذلك هو اللغة العربية التى حفظت منها أصول هذه الحضارة وفروعها، فقد نزل القرآن الكريم باللغة

العربية وبها كتب ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٨] وبها دونت السنة النبوية وحفظت، وتعلم بها من اعتنق الإسلام وانضوى تحت لواء هذه الحضارة وكانت اللغة العربية لغة الدول القائمة بها، ولذا فلا غرابة أن تكون العربية ضمن تسميتها، وكان لفظ عربى والعربية رديف لفظ الإسلام[٩].

ووصفت أيضا بالعربية لأنها قامت فى البيئة التى كان العرب يسكنونها ومنحوها جهدهم وجهادهم، وكانوا رسلها، وحملوها إلى الناس، وعلى أكتافهم قامت دولتها التى اتسعت وبلغت المحيط الأطلسى وامتدت نحو أوربا وبلاد السند والهند، وأفريقيا وخدموها، خلفاء وسلاطين وأمراء ووزراء، وأهل صناعة وزراعة وتجارة، ومعلمين ومفكرين، وبذلك أخذت هذه الحضارة من العربية هوية الوجه واللغة[١٠] .

وعرفت بالحضارة الإسلامية للفكر الإسلامى الذى كان مضمون هذه الحضارة ومحتواها وأساسها الذى قامت عليه ممثلا فى القرآن الكريم، وما يترتب عليه من ثراء ثقافى، وتشعب فكرى وتنوع وتطور الكلام وفلسفته مما زاد الحياة الفكرية ثراء[١١] .

أصول الحضارة الإسلامية :

إنه ليس من السهل معرفة أسس الحضارة الإسلامية وذلك لأنها كأى حضارة لم تظهر من عدم، وإنما سبقتها حضارات هى مصادرها، فالحضارة أخذ وعطاء، ونتيجة مشتركة لعناصر قديمة وجديدة، ولذا فإن أسس الحضارة الإسلامية ترجع أولا إلى العرب، وثانيا إلى سكان البلاد التى فتحها العرب[١٢].

أقام العرب المسلمون حضارة جديدة هى أعظم حضارات العالم فى العصور الوسطى، وهذه الحضارة العربية الإسلامية هى التى جعلت العصور الوسطى عصور مضيئة بالقياس إلى ما سبقها فى غرب أوربا أو أخر أيام الدولة الرومانية القديمة .

ومع أن العرب المسلمين أخذوا من الحضارات التى سبقتهم أو عاصرتهم شيئا غير قليل فإنهم ما أخذوه من هذه الحضارات بالتغيير والتبديل والحذف والإضافة ونجم عن ذلك كله حضارة جديدة لها طابعها الخاص وهو طابع الإسلام والعروبة واللغة العربية التى بها القرآن الكريم[١٣] .

وترجع هذه الحضارة إلى الأصول الآتية :

١- الأصل الإسلامى ٠

٢- الأصل العربى ٠

٣- المؤثرات الفارسية ٠

٤- المؤثرات اليونانية الرومانية ٠

الأصل الإسلامى :

الإسلام عقائد وأعمال :

فالعقائد: ١- تنظيم الإيمان بإله واحد هو رب العالمين ٠

٢- والإيمان بالبعث بعد الموت ٠

٣- والإيمان بالثواب والعقاب فى الدار الآخرة ٠

والأعمال : تنقسم إلى عدة أنواع :

الأول : أعمال تنزل منزلة العقائد وهى الصلاة والزكاة وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ٠

الثانى: أعمال تتصل بالأخلاق وهى التحلى بمكارم الأخلاق وآداب اللياقة، والوفاء بالعهد، والصبر فى الشدائد والعدل، وعفة النفس، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر ٠

الثالث : أعمال عبارة عن تطبيق ما جاء به الشرع خاصة بالأسرة أو المعاملات التى تجرى بين الناس، والجنايات التى تقع فى المجتمع وشئون السلم والحرب ٠

وللإسلام أثر بالغ فى الحياة العقلية للمسلمين، وبفضله نشأت بين المسلمين من عرب وغير عرب وحدة فكرية رائعة، ومن علاماتها علوم التفسير والحديث والفقه، والسير والمغازى أو علم التاريخ، والإسلام عامة يحث على التدبر والتفكير فى الكون الذى نعيش فيه، وفى ظواهره المختلفة، فأدى ذلك إلى الاشتغال بالعلوم الكونية على اختلافها، وهى الجغرافيا والكيمياء والفيزياء، والفلك والطب، والإسلام هو الذى انطبعت حياة المسلمين بطابعه، سواء فى ذلك نظمهم العامة، السياسية والإدارية والمالية، وأحوالهم الاجتماعية، وكذلك فنونهم وآدابهم ٠

والدين أساس الحضارة، وإذا تعمقنا فى منشأ الفلسفة والعلوم والفنون، وكل فرع من فروع المعرفة الإنسانية وجدنا أن تقدمها وتطورها ونضوجها كان ذلك كله متأثرا فى كل عصر من العصور بالعقيدة الدينية(١٤) ٠

والدين أحكم مرشد وأهدى قائد للإنسان إلى الحضارة والمدنية القائمة على المعارف الحقه والأخلاق الفاضلة، وهو أقوى دافع للأمم إلى التسابق لغايات المدنية، وأمضى الأسباب بها إلى طلب العلوم والفنون والآداب ٠

والإسلام دين يتجاوب مع أرفع الأنظمة وأفضل التقاليد، ويعمل لخير الإنسانية كافة، ووسعت رحابه الملل والنحل المتباينة، فعاشت تحت ظله فى أمن وهدوء وسكينه، والإسلام يعمل على علاج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى العالم، إذ أنه نظام مؤسس على قواعد اجتماعية وعمرانية لا نظير لها، وهو دين كل عصر وكل مكان ٠

والإسلام يتفق مع التطور الإنسانى والتقدم البشرى، ولا يتعارض مع العقل أو المنطق أو مقتضيات الحياة ٠

٢- الحضارة العربية :

يأتى بعد الدين الإسلامى، ينبوع ثان من الينابيع التى أسهمت فى الحضارة الإسلامية، وذلك هو حضارة العرب، وإن كان بطبيعة الحال أقل شأن من الينبوع الأول، إلا أنه كان ذا أثر واضح فى تلك الحضارة ٠

والعرب يقصد بهم سكان الجزيرة العربية داخلها وأطرافها، وهم العنصر الفعال فى الدولة الإسلامية، وخاصة فى صدر الإسلام، وكان لهم ثقافة انفردوا بها، ومثال لذلك أن حرصهم على أنسابهم أدى إلى قيام على الأنساب، لمعرفة أنساب القبائل والأفراد، وظهرت فى الأنساب كتب لابن الكلبى، وابن حزم وغيرهما(١٥) ٠

وللعرب فى الجاهلية والإسلام العديد من الشعراء الذين حملوا لواء الشعر العربى، وهذا الشعر هو ديوان أخبار العرب وسجل أحداثهم، وكنز لغتهم وبلاغتهم، وللعرب تراث وفير من الأمثال والحكم، سجلت فى كتب أهمها كتاب الأمثال للميدانى(١٦) ٠

وأسهم العرب فى بناء الحضارة الإسلامية بالآداب والعادات التى اتصفوا بها من حيث الشجاعة، والعفة، وحفظ الجوار، والكرم، واحترام المرأة والولع بالشعر، وفصاحة اللسان، وشاعت هذه الصفات الحميدة فى المجتمع الإسلامى[١٧]

وكان للعرب حضارات قديمة فى أطراف الجزيرة العربية ففى :

- الشرق كانت الكلدانيين والأشوريين ٠
- وفى الشمال وجدت حضارة الآرميين والكنعانيين والأنباط ٠
- وفى الجنوب وجدت حضارة معين وسبأ وحمير ٠
- وفى الغرب قامت مدن متقدمة مثل الثموديين والمكيين وغيرهما[١٨] ٠

٣- الحضارة الفارسية والهندية :

وتمثل الينبوع الثالث الذى أثر فى الحضارة العربية الإسلامية فى حضارة بعض الأمم الأسيوية المتحضرة التى دخلت فى الإسلام، ولا سيما الفرس والهنود المسلمين ٠

والفرس أمة ذات حضارة قديمة ازدهرت خلال عصر الدولة الساسانية التى نبغت فى فنون السياسة والإدارة والحروب، ومظاهر الترف والرفاهية، وكان لها دين رسمى هو الزرادشتى ولغة خاصة هى الفهلوية[١٩] ٠

ولما دخل الفرس فى الإسلام أقبلوا على دراسة مبادئه وعلومه، وتعلموا اللغة العربية حتى ساهموا فى الحركة العلمية والتأليف فى مختلف العلوم، ولذا أفادوا الحضارة الإسلامية فوائد جمة، فنحن نجد الكثير من الألفاظ الفارسية نقلت بذاتها إلى اللغة العربية[٢٠] ٠

كما انتقل فن الغناء إلى الحضارة الإسلامية من الفرس ونبغ الكثير من الفرس فى الشعر، مثل إسماعيل بن يسار وأبى نواس، وابن المقفع وغيرهم ٠

وخلال العصر العباسى زادت حركة تأليف الفرس الموالى فى مختلف العلوم الإسلامية وانتقلت إلى الحضارة العربية الإسلامية عن طريق هذه الحركة بعض العلوم عن الهنود وغيرهم من الشعوب الأسيوية المتحضرة[٢١] ٠

٤-الحضارة اليونانية الرومانية :

أما الينبوع الرابع للحضارة الإسلامية فهو الحضارة اليونانية التى كان لها أثرها على الحضارة الإسلامية، فاليونان أمه عريقة فى الفلسفة والعلوم، والفنون والآداب، حيث نبغ منهم سقراط وأفلاطون وأرسطو، ونقل السريان فى الشام والعراق إلى لغتهم السريانية الكثير من المؤلفات اليونانية قبل الإسلام، مثل الفلسفة والطب والرياضيات والكيمياء والفلك والجغرافيا، وعلقوا عليها وشرحوها٠

تم إنشاء المدارس لتعليم الطلاب هذه العلوم فى الحواضر الكبرى، منها انطاكيه وقيصرية ونصيبين والرها، كما قامت بالإسكندرية مدرسة لتعليم الطب٠

وخلال العصر العباسى عهد الخلفاء العباسيون ولا سيما الخليفة المأمون إلى طائفة السريان نقل الكتب اليونانية فى العلوم المذكورة إلى اللغة العربية، فنقلوا الكثير منها إلى العربية عن السريانية، وبعضها عن اليونانية رأسا وبذلك انتقلت الثقافة اليونانية إلى المسلمين[٢٢] ٠

وهكذا رأينا أن الحضارة العربية الإسلامية لم تظهر من عدم، وإنما سبقتها حضارات هى مصادرها، فالحضارة القائمة بوجه عام تكون خلاصة أو انتقاء لما فى الحضارات السابقة ٠

خصائص الحضارة الإسلامية :

١- تميزت بالرقى والتقدم والعدالة الاجتماعية التى استمدت من القرآن والسنة والأخذ بالوسائل التى تؤدى إلى النهوض بالبشر ٠

٢- شمولها – حيث علا شأنها بالإسلام، وازدهار الثقافة العربية وتقدم العمران الذى تجلى فى المنشآت المدنية والدينية ٠

٣- الحضارة الإسلامية حضارة عامة ٠ فلم يكن انتشار الإسلام مقصورا على الدولة العربية، بل امتد وتجاوزت الحدود إلى الصين والهند ٠

٤- الحضارة الإسلامية حضارة عامة فلم تقتصر على عصر معين، ولم يكن من أهدافها القضاء على الحضارات السابقة بل تفاعلت معها فشملتها، وأبقت على أفضل جوانبها، فاستوعبت حضارتى الفرس والروم السابقتين[٢٣] ٠

٥- أنها حضارة إيمانية، انبثقت من العقيدة الإسلامية ٠ فاستوعبت مضامينها وتشربت مبادئها واصطبغت بصبغتها، فهى حضارة توحيدية انطلقت من الإيمان بالله الواحد القهار ٠ فكان الدين الحنيف من أقوى الدوافع إلى قيامها وإبداعها وازدهارها ٠

٦- أنها حضارة معطاء، أخذت واقتبست من الحضارات والثقافات الإنسانية التى عرفتها شعوب العالم القديم، وأعطت عطاء زاخر بالعلم والمعرفة ٠ وكان عطاؤها لفائدة الإنسانية جمعاء، حيث لم تفرق بين أصحاب الديانات المختلفة

٧- أنها حضارة متوازنة، وازنت بين الجانب الروحى وبين الجانب المادى فى اعتدال هو طابع من طوابع الفكر الإسلامى وميزه من مزايا الحضارة الإسلامية، فى كل العصور، فلا تفريط ولا إفراط، ولا غلو بغير حق، ولا اندفاع فى تهور ٠

٨- أنها حضارة إنسانية المنزع عالمية فى آفاقها وامتداداتها لا ترتبط بإقليم جغرافى، ولا بجنس بشرى ولا بمرحلة تاريخية، ولكنها تحتوى جميع الشعوب والأمم، وتصل آثارها إلى مختلف البقاع، فهى حضارة يستظل بظلالها البشر جميعا، وتصل آثارها إلى كل من يصل إليه عطاؤها، فالحضارة الإسلامية قامت على أساس أن الإنسان أهم مخلوقات الله، وأن جميع الأنشطة البشرية لابد وأن تؤدى إلى سعادته ورفاهيته، وأن كل عمل يقصد به تحقيق هذه الغاية٠

٩- الحضارة الإسلامية حضارة دائمة، حيث دوامها واستمرارها من مبادئ الدين الحنيف، لأنها نابعة منها، ولصيقة بها(٢٤) ٠

مصادر ومراجع الفصل الأول

١. **الحضارة** : بكسر الحاء وفتحها، مشتقة من الفعل حضر، وحضر لغة ضد غاب، ومنه الحضر والحاضرة، والحضرة والحضارة بمعنى المدن والقرى والريف، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التى يكون لها بها قرار أى سكن وإقامة، وعليه كانت الحضارة لغة تعنى الإقامة فى الحضر، خلافا للبادية ، **ابن منظور** : لسان العرب مادة حضر ٠

٢. **حسن مؤنس** : الحضارة دراسة فى أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة (٢٣٧)، الكويت، ١٩٩٨، ص١٥ ٠

٣. **المعجم الوسيط** : مادة حضر ، **أحمد حمدى محمود** : الحضارة، ص٦ ٠

٤. **ول ديورانت** : قصة الحضارة، جـ١ ص٣ ٠

٥. **محى الدين صابر** : التغير الحضارى وتنمية المجتمع، ص٤١ ٠

٦. **سعيد عاشور** : مذكرات فى مادة الحضارة العربية الإسلامية، ص١ ٠

٧. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، ص ١١ ٠

٨. **سورة يوسف : آية ٢٠ ٠**

٩. **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص ٢٣ ٠

١٠. **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص ٢٣ ٠

١١. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، ص ١١ ٠

١٢. **محمد ضيف الله** : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٣ ٠

١٣. **إبراهيم العدوى** : الوطن العربى وحضارته فى العصر الإسلامى، ص١٩٠ ، **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، ١٩٩٩، ص١٦ ٠

١٤. **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص ٥٠-٥٣ ٠

١٥. **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة ص٤٠ ٠

١٦. **إبراهيم العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص١٩٠ ٠

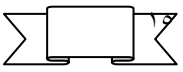

١٧. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٣، ١٤، **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص٢٨

١٨. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية ،ص١٥، **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة، ص١٨

١٩. **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة، ص١٧ ٠

٢٠. **جمال الدين الفندى** : تراث المسلمين فى ميدان العلوم، ص٢٤٦ ٠

٢١. **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع : ص ١٨ ٠

٢٢. **جمال الدين الفندى** : تراث المسلمين فى ميدان العلوم، ص ٢٤٦ ٠

٢٣. **إبراهيم العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص ١٩٦ ٠

٢٤. **علي حسني الخربوطلي** : العرب والحضارة، ص ٤٢

الفصل الثانى

نظم الحكم والإدارة والنظم القضائية

- الخلافة
- مجلس الشورى
- الوزارة
- ولاية الأقاليم
- الحجابة
- ولاية العهد
- الكتابة
- القضاء
- الحسبة
- الشرطة

الفصل الثانى

النظم السياسية

النظام السياسى هو مجموعة من القواعد والأجهزة المتناسقة، والمترابطة فيما بينها التى تبين نظام الحكم، ووسائل ممارسة السلطة، وأهدافها وطبيعتها، ومركز الفرد منها وضماناته قبلها، كما تحدد عناصر القوى المختلفة التى تسيطر على الجماعة وكيفية تعاملها مع بعضها، والدور الذى تقوم به كل منها[١] .

- **الخلافة**

ثلاثة وعشرون عاما مجيدة قاد الرسول ﷺ الأمة الإسلامية هذه السنوات غيرت مجرى التاريخ، وكان لها تأثيرها المباشر بمنطقة شبه الجزيرة العربية حيث انصهر شعبها فى قالب واحد ومكنته هذه الوحدة، وفى ظلها من أن يطل على العالم الخارجى بهدف نشر تعاليم الإسلام بين كافة الناس .

وفى نهاية هذه الأعوام تعرض المجتمع العربى الإسلامى لهزة عنيفة بوفاة الرسول ﷺ القائد الذى كان موفقا فى كل خطواته ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[٢]، كادت هذه الهزة أن تنتهى بنكسة خطيرة، ويتضح أثرها فى موقف الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذى رفع سيفه مهددا كل من يجرؤ على ترديد قول النعى[٣] .

ولكن رد الناس إلى صوابهم قول أبو بكر الصديق ﷺ : من كان يعبد محمد فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، وتلى قوله تعالى : ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[٤] .

وكانت المشكلة هى مشكلة القيادة ومحاولة ملء الفراغ الذى نتج عن وفاة الرسول ﷺ فى الإشراف على شئون الأمة[٥] وشئون الأمة فى هذا الحال دين وشعب ودولة .

- بالنسبة للدين فقد اكتملت أركانه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[٦] .
- والشعب فقد نعم بالعدالة والوحدة والتماسك منذ ارتضى الإسلام دينا .

- أما الدولة فقد شملت شبة الجزيرة العربية وأطلت على قوة خارجية معادية ولذا فلابد لهذه الدولة من يحتفظ لها بسيادتها ولهذا تأكدت الحاجة إلى الخلافة وبدأ التفكير فى اختيار الخليفة ٠

لم يبلغ الرسول ﷺ نصا فى القرآن الكريم يحدد قاعدة اختيار من يخلفه، ولم يرشد الرسول ﷺ فى حديث من أحاديثه الكثيرة من يتولى القيادة من بعده، بالعين أو الوصف، ولذا رجع المسلمون إلى العرف العربى القديم ٠

والخلافة أو الإمامة من أهم أنظمة الدولة الإسلامية التى صاغها المسلمون فى فترة دقيقة من فترات حياتهم، كما أنها تمثل العمود الفقرى للتفكير السياسى الإسلامى، وتعد فى الواقع أعظم ما توصل إليه المسلمون فيما يتعلق بسياسة الأمة وحكم المسلمين على الرغم من الخلاف الذى نشب بينهم حول الخلافة ٠

وبدأت الخطوات الأولى فى اختيار خليفة رسول الله ﷺ، ونشأ فى سقيفة بنى ساعده – إحدى العشائر بالمدينة – حيث كان اجتماع المسلمين فى مؤتمرهم العام الأول بداية عملية لظهور الفكر السياسى الإسلامى ولقد عقد هذا المؤتمر رجال من الأنصار الذين رأوا ضرورة ملحة فى مناقشة قضية الحكم والسياسة للوصول فيها إلى حل حاسم وسريع واجتماع السقيفة يعد من أهم اللقاءات السياسية التى جمعت المهاجرين والأنصار وخاصة شيوخهم المجربين، ومن بينهم أبو بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، واللذان استطاعا أن يمسكا بزمام الأمر وأن يحسما الأمر بالتوصل سلميا إلى إقناع الأمة ممثلة فى عدد لها من المهاجرين والأنصار باختيار الصديق ﷺ خليفة لرسول الله ﷺ فى حكم المسلمين[٧] ٠

هذا ولما كان الأنصار قد رشحوا للخلافة سعد بن عبادة سيد الخزرج، فأسرع إليهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة ابن الجراح وحصل بين الفريقين حوار وجدل، وكان مما احتج به المهاجرون الآتي :-

١- أن النبى ﷺ أوصى بكم خيرا، ولو كانت الإمامة فيكم لم تكن الوصاة بكم

٢- وأنه ﷺ قال : " الأئمة من قريش " ٠

٣- وأنه ﷺ قد رضى أبا بكر لديننا أفلا نرضاه لدنيانا، فإن النبىﷺ لما اشتد عليه المرض قال : " مروا أبا بكر فليصل بالناس "[٨] .

وقيل فى استخلاف أبى بكرﷺ أنه تم بطريقة الانتخاب الاستشارية وأن استخلاف عمرﷺ كان بطريقة العهد إليه من أبى بكر، وكان استخلاف عثمانﷺ تم بطريقة الاختيار والشورى، وقيل فى استخلاف على بن أبى طالبﷺ أنه انتخاب عارضه فريق كبير من الأمة، وهو اختيار لم يتم، كما نرى وفق منهج واحد أو حسب طريقة واحدة منتظمة[٩] .

جاء اختيار الصديق ﷺ تأكيدا صريحا على أن الحكم الإسلامى ليس حكما وراثيا، وإنما الفيصل فى هذا هو العلم بأمور الدين والقدرة على تحمل أعباء السياسة وحكم الرعية بما يضمن إقامة حدود الله تحقيقا للعدالة التى جاء بها القرآن الكريم[١٠] .

والخلافة نظام إسلامى لم يوجد عند غير المسلمين، فالخليفة ينظر فى مصالح الناس الدنيوية والأخروية طبقا لأحوال الشريعة الإسلامية[١١] .

ولذلك نجد أن الشروط التى رأى الفقهاء ضرورة توافرها فيمن يلى هذا المنصب هى :

١- الحرية .
٢- الإسلام .
٣- الرجولة .
٤- العدالة .
٥- سلامة الحواس .
٦- العلم، المؤدى إلى الجهاد .
٧- الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة – الدولة – وجهاد العدو .
٨- النسب القرشى .
٩- سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة .
١٠- الرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح [١٢] .

ومن مهام الخلفاء الآتى :-

- الاهتمام بمصالح الإسلام والمسلمين .
- عمارة الثغور .
- النظر فى أمور الرعية .

- رفع المظالم وقمع الظالمين، وإعانة الملهوف ٠
- اصطناع المعروف – جبر الكسير، إطلاق الأسير ٠
- يستمر عن ساق اجتهاده فى حماية بيضة – دولة – الإسلام ٠
- إقامة حدود الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ[١٣] ٠

ومن مهام الخليفة النظر فى الإيرادات والمصروفات، والإشراف على جميع شئون البلاد، بمعاونة رجال الدولة، وأيضا الإشراف على دور السكة [١٤] وكذلك دور الطراز، ودور الصناعة، وغيرها من المؤسسات التى تعمل بمصالح الأمة عامة وكان الخليفة يخرج فى المواكب العامة مثل الاحتفالات الدينية والقومية، وتوديع الجيوش واستقبال السفارات الخاصة للدول الخارجية وغير ذلك

ظلت الخلافة: انتخابية شورية زمن الراشدين ثم انقلبت إلى ملكية مطلقة على يد معاوية، وكانت مبايعة الخليفة زمن الراشدين تتسم بالبساطة، حيث تتم مبايعة أهل الحل والعقد، وهم أهل المدينة فى ذلك الوقت، وكان الانتخاب مصافحة بالأيدى ولذا سميت بالبيعة[١٥] ٠

وجرت العادة فى الدولتين الأموية والعباسية على أنه متى بويع الخليفة انتقل إلى دار الخلافة فى موكب حافل ثم يرد عليه وفد المهنئين من البلاد[١٦] ٠

وخلال الدولة العباسية حدث أنه إذا تمت البيعة اختار الخليفة لنفسه لقبا من الألقاب التى اختلفت عن الألقاب السابقة، مثل لقب الرشيد، الأمين، المأمون، المعتصم بالله، الواثق، المستعين، المستعصم وهكذا، وكانت الألقاب السابقة تحوى فى معناها التواضع مثل "عبد الله ووليه" ٠

وكان الخليفة فى بادئ الأمر يشرف على جميع شئون الدولة بنفسه وإن استشار بعض المقربين إليه، ولكن مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية لم يستطع الخلفاء الإشراف المباشر بأنفسهم على شئون البلاد، فكانوا يختارون من يساعدهم فى تصريف شئون البلاد وخاصة الإدارية منها، وذلك من كبار موظفيهم الذين أطلق عليهم لفظ الكاتب[١٧]٠

شارات الخلافة ورسومها :

جرت الخلافة فى بادئ الأمر على البساطة والتواضع، وترك مظاهر الترف والأبهة واستمر هذا الوضع خلال عصر الخلفاء الراشدين ٠

وعندما قامت الدولة الأموية ونقل مقر العاصمة الإسلامية من المدينة إلى دمشق ببلاد الشام، بدأت مظاهر الأبهة تظهر وذلك بتأثر من حضارة الروم، وأول من أظهر ذلك معاوية الذى جعل ذلك لإرهاب العدو وإشعاره بتفوق الحضارة الإسلامية ومسايرتها للحضارات المعاصرة ٠

وأهم تلك الرسوم الآتي :

١- الصلاة فى المقصورة الخاصة، ذكر اسمه فى الخطبة، والدعاء له على المنابر

٢- الجلوس على سرير الخلافة فى المواكب، وبدأ ذلك خلال عهد معاوية حيث استأذن الناس فيه وقال لهم أنى قد بدنت فأذنوا له فاتخذه واتبعه الخلفاء المسلمين فيه ٠

٣- ضرب السكة من الدنانير والدراهم ونقش اسم الخليفة عليها [١٨] ٠

٤- ومن شارات الخلافة " الخاتم " وقد استخدم من عهد الرسولﷺ حيث كان له خاتم من فضه نقش عليه (محمد رسول الله) فى ثلاثة أسطر واستعمله أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، وسقط من يد عثمان فى بئر أريس وصنع آخر مثله [١٩]٠

٥- نقش اسم الخليفة على الطراز، من ملابس وكسوة وغيرها [٢٠] ٠

علامات وشارات الخلافة :

البردة – الخاتم – القضيب – الخطبة – السكة – الطراز ٠

١- **البردة :** هى بردة الرسولﷺ التى كان يرتديها إلى أن أعطاها للشاعر كعب ابن زهير بن أبى سلمى، الذى كان قد أعلن توبته وندمه على هجاء الرسولﷺ ثم مدح الرسول بقصيدته المشهورة، وتداول أهل كعب البردة حتى اشتراها منهم معاوية بن أبى سفيان بأربعين ألف درهم وتوارثها الأمويون والعباسيون وتبركوا بارتدائها فى المواكب والمناسبات إظهارا لمكانتهم من أسرة النبىﷺ[٢١] ٠

٢- **الخاتم :** صنع الرسولﷺ خاتما حينما بعث خطابه المشهور إلى كسرى فارس، وكان الأكاسرة لا يقبلون كتبا بدون أختام، فصنع الرسولﷺ خاتمه من فضة ونقش عليه

"**محمد رسول الله**" فى ثلاثة أسطر وانتقل الخاتم إلى أبى بكر ويذكر الطبري أن نقش خاتم أبي بكر ***نعم القادر الله*** ثم إلى عمر ثم إلى عثمان، ولكن الخاتم سقط من يد عثمان فى بئر أريس، فاصطنع عثمان خاتما مثله، وحرص كل خليفة على اصطناع خاتم، يختمون به كتبهم بالطين أو المداد أو الشمع، وكان معاوية أول من انشأ ديوان الخاتم(٢٢) .

٣- **القضيب** : وهو ثالث شارات الخلافة، فإذا تولى الخليفة جاءوا إليه بالقضيب والبردة والخاتم، وكان القضيب عبارة عن عود كان النبىﷺ يأخذه بيده، واتخذه الخلفاء الأمويون ومن بعدهم الخلفاء العباسيون الذين كانوا يظهرون به فى المناسبات(٢٣) .

٤- **الخطبة** : هى الدعاء للخلفاء على المنابر فى الصلاة، وأصلها أن الخلفاء كانوا يتولون إمامة الصلاة بأنفسهم فكانوا يختمون فروض الصلاة بالدعاء للرسولﷺ، والرضى عن الصحابة، فلما فتحوا البلاد وبعثوا إليها العمال صار الولاة يتولون إمامه الصلاة فى ولاياتهم، فكانوا إذا صلوا وختموا الصلاة يقومون بالدعاء للخلفاء(٢٤) .

٥- **السكة** : ومن شارات الخلافة نقش اسم الخليفة على السكة، أى العملة، بطابع من حديد(٢٥) .

٦- **الطراز** : حرص الخلفاء الأمويون ثم العباسيون على رسم أسمائهم أو علامات مميزة على أثوابهم وعلى ثياب كبار الموظفين فى الدولة والجنود، وعرفت هذه العلامات خلال العصرين الأيوبى والمملوكى باسم الرنوك(٢٦) .

مجلس الشورى:

الشورى فى حياة الناس حاجة معلومة وسنة متبعة، ثم جاء الإسلام فأعلى مكانتها وأكد أهميتها، وحض القرآن الكريم عليها، قال تعالى:﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ (٢٧)، وقال تعالى : ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾(٢٨) كما حض الرسولﷺ على الشورى والأخذ بها وكان كثير الشورى لأصحابه .

وسار الخلفاء الراشدين من بعد الرسولﷺ فى هذا الاتجاه، فقد استشار أبو بكرﷺ أصحاب الرسولﷺ فى أمور عدة لم يتضح فيها حكم من الكتاب أو السنة، ومثال لذلك فى ميراث الجدة حينما جاءته تطلب ميراثها فقال : لا أجد لك فى كتاب الله شيئا، وما

علمت أن الرسولﷺ ذكر لك شيئا، ثم سأل أهل الرأى والفقه من المهاجرين والأنصار، وكان ممن ذكر من أهل شوراه عمر بن الخطابﷺ وعبد الرحمن بن عوف ﷺ وعلى بن أبى طالبﷺ وعثمان بن عفانﷺ واسيد بن حضير وطلحة بن عبيد الله ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وسعيد بن الزبير بن العوام، والمغيره بن شعبة وغيرهم[٢٩]، وقام المغيره بن شعبة وقال : سمعت رسول اللهﷺ يعطيها السدس، فقال هل معك أحد، فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها[٣٠] .

واستشار الصحابة حينما عزم على أن يعهد بالخلافة إلى عمرﷺ، أما إذا كان هناك حكم من الكتاب أو السنة فلم يكن أبو بكر ﷺ يلتفت إلى مشورة أحد من الناس على نحو ما جرى منه فى موقفه من مانعى الزكاة لما وجدهم يفرقون بين الصلاة والزكاة[٣١] .

وفى خلافة عمر بن الخطابﷺ اتسعت رقعة الدولة، وكثرت المعضلات وزادت مصالح الناس تعقيدا، فكثرت لذلك الشورى فى عهد عمرﷺ فقد استشار فى حد شارب الخمر وجعله ثمانين جلده، بعد أن رأى على بن أبى طالبﷺ ذلك ووافقه الصحابة على رأيه[٣٢] .

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات، استشار عمرﷺ فيما يفعله فى الأراضى التى أفاء الله على المسلمين من أرض العراق والشام فى اتخاذ الديوان وفرض العطاء للجند والناس وكان من رأى بعض الصحابة أن تقسم هذه الأرض بين الغانمين بعد رفع الخمس وكان رأى عمرﷺ وبعض الصحابة أن تبقى بيد أهلها وأن يوضع عليها الخراج لينفق منه على مصالح المسلمين عامة فى كل جيل وزمان، وبعد نقاش وجدل ومشاورات وافق المسلمون على رأى عمرﷺ .

ولم يخرج عثمان بن عفانﷺ فى الشورى عن طريق سلفيه، فقد استشار فى حدث من أهم الأحداث فى الإسلام، وهو جمع القرآن الكريم فقد قدر خطر ما سيقدم عليه فلم يشأ أن ينفرد برأى فجمع المهاجرين والأنصار وشاورهم فى الأمر، واستقر الرأى على كتابة المصحف وكان لمروان بن الحكم دور كبير فى خلافته فى تصريف الأمور[٣٣] .

وكان على بن أبى طالبﷺ يستشير أصحابه ويستمع أحيانا إلى رأى أنصاره فى تدبير الأمور ومكايدة الخارجين عليه، فقد أخذ برأى الأغلبية فى التحكيم .

وعندما آلت الخلافة إلى بنى أميه لم يكن معاوية بن أبى سفيان ممن يجهل فوائد الشورى فيهمل الأخذ بها، وما كان يصدر المهمات إلا عن شورة فقد كان يشاور ذوى الرأى من الولاة ووجوه الناس وأشراف القوم وأهل العلم فى الكثير من الأمور، وكان ذلك سنة من جاء بعده من الخلفاء من بنى أميه، فكان الأحنف بن قيس زعيم تميم مستشارا لمعاوية، وأيضا كان يستشير المغيره بن شعبة وعمرو بن العاص والوفود التى كانت تأتيه[٣٤] .

وكان روح بن زنباع وهو فقيه وأحد الذين تولوا شئون فلسطين مستشارا لعبد الملك بن مروان[٣٥] .

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه اتخذ فى أثناء ولايته على المدينة مجلسا مؤلفا من عشرة من فقهاء المدينة ليعينوه على الحق، وجعل ألا يقطع أمرا إلا برأيهم أو برأى من حضر منهم، وهم عروة بن الزبير، عبيد الله بن عتبة، أبو بكر بن عبد الرحمن، أبو بكر بن سليمان بن أبى خثيمة، سليمان بن يسار، القاسم بن محمد، سالم بن عبد الله بن عمر، عبد الله بن عبد الله بن عمرو، عبد الله ابن عبد الله بن عامر بن ربيعة، خارجه بن زيد، وكان الخلفاء من بنى أمية يرجعون فى شورى استخلاف السلطان ورد الطامعين به إلى الجماعة الأموية غالبا

ومن هنا يمكن القول بوجود نوعين من الشورى فى العصر الأموى أولهما شورى تتعلق بالأمور والمصالح العامة، وكان الخلفاء من بنى أميه يرجعون فيها إلى ذوى الرأى من أشراف القوم والولاة وغيرهم وثانيهما شورى تتعلق بالسلطان خاصة وكان الخلفاء من بنى أمية يفزعون فيها إلى آل بيتهم ويقضون فيها بينهم[٣٦].

ولما آلت الخلافة إلى العباسيين واستقرت فيهم ما يقرب من ثمانية قرون أخذت بطانة الخليفة تظهر بوضوح من حيث العناصر التى تتآلف منها والدور الذى تمارسه فى أمور الدولة، فمن جهة كان بنو هاشم، عباسيين وعلويين وموالى العباسيين وشيعتهم والوزراء والقادة العسكريون والكتاب والقضاة والفقهاء يشكلون بطانة الخليفة، وصار هؤلاء فى الغالب أهل الحل والعقد، ومن جهة أخرى كانت هذه البطانة الجهة التى يرجع إليها الخليفة فى تصريف أمور الدولة، وسياسة الرعية وحفظ الأمن والنظام وضبط الأمور،

ومراقبة الأموال فى الإيرادات والمصروفات واستخلاف القائمين بأمر الخلافة، ومثال لذلك، لما أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يبايع لابنه المهدى كلم الجند فى ذلك ولما تتابعت الأحداث عليه وثار محمد النفس الذكية العلوى عليه أحضر القواد وأهل بيته واستشارهم فى ذلك[٣٧]، ولما أراد موسى الهادى أن يخلع هارون الرشيد ويبايع لابنه جعفر تابعة على ذلك القواد، ودسوا إلى الشيعة – الشيعة العباسية – فنكلوا فى أمره وتنقصوه فى مجلس (لجماعة) وكما بايع المتوكل لأولاده كتب كتابا وأشهد عليه أهل بيته وشيعته وقواده وقضاته وفقهائه[٣٧] واجتمع فى البيعة لجعفر المتوكل القادة والقضاة إضافة إلى الوزير وعندما خلع المستعين وبويع للمعتز شهد على البيعة بنو هاشم والقضاة والفقهاء والقواد، ولما ثقل المكتفى فى علته فكر العباس بن الحسن وهو الوزير فيمن يقلده الخلافة، وكان يركب إلى دار السلطان ويسايره واحد من الأربعة الذين يتولون الدوارية وهم محمد بن داود بن الجراح ومحمد بن عبدون وأبو الحسن بن الفرات وعلى بن عيسى[٣٨] .

ثم ما لبث أن رجحت كفة العسكريين من بين بطانة الخليفة، واندفعت هذه الفئة بدافع المنافسة مع العناصر الأخرى فى بطانة الخليفة من جهة وبدافع الخوف من تحركات الخليفة ومحاولات فى المحافظة على توازن بينه وبين هذه البطانة يكون فى صالحه، واندفعت تعمل على تشديد قبضتها على أمور الدولة والدفاع عن مصالحها وامتيازاتها، وصارت منذ القرن الثالث الهجري تستبد غالبا بمؤسسات الدولة ابتداء بالخليفة الذى صار خلعه وتعيينه فى كثير من المرات مرهونا بإرادتهم، واستبدت فترات بالأمور فى الدولة، وكانت سلطة الخليفة فى هذه الظروف لا تتعدى بغداد، فعلى سبيل المثال أن الخليفة الراضى بالله قال : "كأنى بالناس يقولون أرضى هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد تركى، حتى يتحكم فى المال وينفرد بالتدبير، ولا يدرون أن هذا الأمر أفسد قبلى أو أدخلنى فيه قوم بغير شهوتى"[٣٩] .

ولما توفى الخليفة الراضى كان أمير الأمراء بجكم فى واسط فأرسل بجكم كاتبه ليشرف على اختيار الخليفة الجديد، فعقد مجلسا برئاسة الوزير حضره كل وزير وكاتب وحضره الأشراف العلويون والعباسيون والقضاة والوجوه ليكون الانتخاب فى شكله الكامل وجعل كل اثنين منهم يصونان معا ولكنهم كانوا يعرفون مرشح بجكم فانتخبوه وهو

المنفى[٤٠] وفوض الخليفة الطائع لله أمور الخلافة إلى عضد الدولة البويهى، وصار البويهيون يشاركون الخليفة كل شارات الخلافة ومميزاتها، ولم يختلف الحال أيام السلاجقه عما كانت عليه الأمور فى عصر البويهيين، رغم حسن معاملة السلاجقه للخلفاء ورغم محاولات بعض الخلفاء استعادة ما كان لهم من نفوذ[٤١] .

وخلال العصر الفاطمى يمكن القول أن الخلفاء الفاطميين أصابهم مثلما أصاب العباسيين، ووقعوا تحت سيطرة بطانتهم وبخاصة العسكريين منهم حيث وجهوا مؤسسات الدولة توجيها لم يكن للخليفة الفاطمى فيها أحيانا سوى الاسم[٤٢] .

وخلاصة القول أن حكام المسلمين مارسوا الشورى فى تصريف أمور الدولة على اختلاف بينهم فى الأغراض، ومع أن الحكام لم يسموا أشخاصا بعينهم يجعلونهم فى الشورى خاصة، ولم يحصروا أنفسهم بفئة معينة يجعلونهم دون غيرهم موضع شوراهم، مما لم يؤد إلى تطور مجلس الشورى فى الدولة الإسلامية إلى مجلس نواب دول القرن الحادى والعشرين، ومع ذلك فإن مجلس الشورى الإسلامى إذا استثنينا جانب التشريع يكون قد مارس المهمة التى تمارسها المجالس النيابية المعاصرة

الوزارة:

تمثل الوزارة فى الحضارة الإسلامية قسما أساسيا من أقسام السلطة التنفيذية فى الدولة، وقد انتقلت نظم الفرس إلى الدولة الإسلامية خلال العصر العباسى فاتخذوا منها نظاما يساعدهم على تصريف جميع شئون الدولة حتى السياسية منها وهو نظام الوزارة[٤٣] .

وقد ورد لفظ الوزير فى القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[٤٤]، وكذلك في قوله تعالى﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً**﴾ [٤٥] وروى عن النبى ﷺ أحاديث يذكر فيها لفظ الوزير فعن الترمذى أنه كان للنبى ﷺ أربعة وزراء، اثنان من أهل السماء واثنان من أهل الأرض هما أبو بكر وعمر[٤٦] .

وذكر الماوردى أنه روى عن النبىﷺ أنه قال : "ما من رجل من المسلمين أعظم أجرا من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى " [٤٧] وروى عن عائشة رضي الله عنها

أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : "إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق، إن نسى ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسى لم يذكره، وإن ذكر لن يعنه"(٤٨) .

وقد ورد أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال للأنصار فى اجتماع السقيفة " نحن الأمراء وأنتم الوزراء "(٤٩) .

أختلف فى أصل كلمة الوزارة فالبعض ذكر أن أصل الكلمة فهلوى مأخوذ من فيشيرا ومعناه الأمر والتقرير، وقيل أن أصلها عربى وأختلف فى اشتقاقها حيث ذكرت على أنها مشتقة من ثلاثة أوجه هى :

١- أنها مأخوذة من الوزر : بمعنى الحمل الثقيل، لأنه يحمل عن الملك أثقاله

٢- أو من الوزر: وهو الملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته لأن عليه مدرار السياسة وإليه تفوض الأمور، وهى من قوله تعالى ﴿**كَلَّا لا وَزَرَ**﴾(٥٠) أى لا ملجأ.

٣- أو من الأزر : وهو الظهر، لأن الملك يتقوى بوزيره كقوة الجسم بالظهر(٥١)

ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين فى بداية الأمر، ولم يتحدد اختصاصه إلا بعد فترة من قيام الدولة العباسية، حيث أن بساطة الإسلام وبساطة الدولة فى أول عهدها جعلت الحاجة إلى هذه الوظيفة معدومة(٥٢) فالرسولﷺ كان يستعين ببعض من يحسن الكتابة، ويخصص لكل فريق عملا يقوم به، فعلى سبيل المثال كان على بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما يكتبان الوحى، وكان خالد بن سعيد بن العاص، ومعاوية بن أبى سفيان يكتبان بين يديه حوائجه وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن النميرى يكتبان ما بين الناس، وعبدالله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء، وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحى(٥٣) .

وبعد وفاة الرسول ﷺ كان أبو بكر يستعين بعمر بن الخطاب وبالصحابة حيث كان عمر يلى القضاء لأبى بكر، وأبو عبيده على بيت المال، ومن كتابه على بن أبى طالب، وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان(٥٤) وكان عمر بن الخطاب ﷺ يستعين بعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان وكان له خاصة من كبار أولى الرأى منهم العباس بن عبد

المطلب وابنه عبد الله، وكان لا يكاد يفارقه فى سفر وحضر، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم[٥٥] ٠

واعتمد عثمان بن عفان ﷺ فى أول خلافته على مشورة كبار الصحابة ثم مال إلى الاعتماد على أهله وعشيرته من بنى أمية، واختص مروان بن الحكم ٠

وكذلك على بن أبى طالب كرم الله وجه فقد استعان فى أموره بالصحابة وكان الكتاب فى عهد الأمويين بمثابة الوزراء، وقد كان عبد الحميد ابن يحى الكاتب كاتبا ووزير آل مروان بن محمد[٥٦] ٠

ولم يسم أى من معاونى الخليفة خلال عصر الراشدين أو العصر الأموى باسم الوزراء، ولم يضف اسم وزير إلى أحد من معاونى الخليفة إضافة دائمة ولازمة ٠

أما فى العصر العباسى ظهرت الوزارة بالشكل المعروف، كما كتب عنها فقهاء المسلمين، وحدثوا عن أقسامها واختصاصاتها وأنواعها، وبذلك يكون المنصب الذى كان معروفا لدى الأمويين بالكاتب أو الكتابة قد تطور إلى منصب الوزير والوزارة فى خلافة بنى العباس ٠

وفى ذلك يذكر بن خلدون : "فلما جاءت دولة بنى العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه عظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة من إنفاذ العقد والحل، وتعينت مرتبته فى الدولة، فصار اسم الوزير جامعا لخطتى السيف والقلم وسائر معانى الوزارة والمعاونة"[٥٧] ٠

وكان أول وزير فى دولة بنى العباس هو أبو سلمة الخلال، وكان فصيح اللسان عالما بالأخبار والأشعار وتفسير القرآن، حاضر الحجة كثير الخير، اختير فى الكوفة سنة ١٣٢ هـ/ م، حيث سلمت إليه الرئاسة وسمى وزير آل محمد، وصار يدبر الأمور ويفرق المال، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ منه وترد عليه [٥٨] ولما ظهر ميله للعلويين انتهى الأمر بأن قتله أبو العباس السفاح ٠

ويبدو أن مكانة الوزير فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الوزارة فى عصر بنى العباس، لم تختلف كثيرا عن مكانة الكاتب أواخر عهد بن أمية وذلك نظرا لهيبة الخلفاء مثل أبو جعفر المنصور الذى استبد بالأمور[٥٩] وإذا بلغنا عهد هارون الرشيد وجدنا الوزير

احتل مكانة راسخة فى الحل والعقد، فحينما استوزر هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكى، وقال له : " يا أبة أنت أجلستنى هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك، وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى إليك، فأحكم بما ترى واستعمل من شئت واعزل من رأيت ... فأنى غير ناظر معك فى شئ " وجعل إليه الدواوين كلها مع الوزارة سوى ديوان الخاتم، وهكذا فوض هارون الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد البرمكى، الذى استعان فى القيام بوزارته بولديه الفضل وجعفر[٦٠]، ودعى جعفر بن يحي بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة ....

وعرف الفاطميون أيضا الوزارة والوزراء، ويذكر القلقشندى : الوزارة هى أرفع وظائفهم وأعلاها رتبة، وأعلم أن الوزارة فى الدولة الفاطمية كانت تارة فى أرباب السيوف وتارة فى أرباب الأقلام، وفى كلا الجانبين كانت الوزارة تارة تعلو فتكون وزارة تفويض، وتارة تنحط فتكون وزارة تنفيذ أو تكون غير ذلك فتكون ما عرف باسم الوساطة[٦١] .

أما الأمويون فى الأندلس فقد أنفوا أول الأمر اسم الوزير وقسموا المهمات التى يقوم بها عادة أصنافا، وأفردوا لكل صنف وزيرا، فوزير للمال، ووزير للترسيل، ووزير للنظر فى حوائج المتظلمين وهكذا، وجعلوا لهم بيتا يجلسون فيه يتداولون المهمات المفوضة إليهم، وكان يتردد بينهم وبين السلطان الأموى واحد منهم ارتفع مجلسه عن مجالسهم بما سره السلطان فى كل وقت أخصوه باسم الحاجب[٦٢] .

وقد راعى الخلفاء عند اختيار وزرائهم بعض الخصال التى تتوافر فيهم، فيجب أن يختاره من البرية وينتخبه من الرعية ويختبر عقله ويعتبر دينه ونقله فإن وجد له طمعا فى مال الرعية وميلا إلى إصلاح حاله بفساد أحوالهم ويسئ التدبير فلا يركن إليه ولا يعتمد عليه .

ويجب أن يكون الوزير عنده تيقظ ودين وورع وعفه ورزانة وحلم ورأى أصيل وأن الرأى لا يصح إلا بثلاثة أشياء دراية بالأمور وبصيرة بالسياسة وفكرة فى العواقب، ويستحب أن يكون الوزير ناصحا مشفقا ومؤمنا مؤتمنا ومن الله خائفا فإذا كملت له هذه الخصال تقبل مشورته ويستمع قوله ولا يخالف أمره[٦٣] .

ويجب أن يكون الوزير مقدما فى صناعته، حاذقا بالحساب، خبير بآداب الرياسة وقواعد الملك وآداب السلاطين، عارفا بأحوال الرعية والأعمال ضباطا للأموال، حسن الخط، وأن يتميز بالذكاء والفطنة والتيقظ والحزم والحلم، والوقار، والأمانة، والصدق والشهامة والعفة، وأن يكون عزيز النفس كبير الهمة[٦٤] .

وهذه الخصال المحمودة لم تجتمع لأحد من الوزراء وكان التفاوت فيها واضحا بين وزير ووزير، وهناك من وصف بأنه لا علم عنده ولا معرفة، وكان ردئ السيرة جهولا بالأمور، إضافة إلى من اشترى منصب الوزارة بالمال مثل ابن مقله وزير الخليفة العباسى الراضى بالله[٦٥] .

أنواع الوزارة :

تنقسم الوزارة إلى نوعين :

الأول : وزارة التفويض وهى أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده، ولا يستشير الوزير فيها الخليفة، أى أن الخليفة لا يملك ولا يحكم[٦٦] .

والثانى : وزارة تنفيذ وهى أن الوزير ينفذ أمر الخليفة الذى يشرف على جميع تصرفاته، ولا ينفذ الوزير شيئا إلا بعد مشورة الخليفة أو السلطان[٦٧] .

وبالنسة لوزير التفويض فإن كل ما يصح للخليفة يصح له إلا ثلاثة أشياء هى : ١- ولاية العهد ذلك أن الامام يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير .

٢- أن للخليفة أن يستعفى الأمة من الخلافة وليس ذلك للوزير .

٣- أن الخليفة يعزل من قلده الوزير وليس ذلك للوزير [٦٨] .

أما الشروط التى يجب أن تتوافر فى وزير التفويض فهى :

- الحرية ☐ الإسلام ☐ العلم بالأحكام الشرعية
- المعرفة بأمرى الحرب والخراج[٦٩] .

وبالنسبة لوزير التنفيذ فقد وجب أن تتوافر فيه عدة شروط هى :

☐ الأمانة ☐ صدق اللهجة ☐ قلة الطمع

☐ أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة

- أن يكون ذكورا فيما يؤدية إلى الخليفة لأنه شاهد له وعليه ٠
- الذكاء والفطنة حتى لا تلتبس عليه الأمور
- الحنكة والتجربة ٠
- ألا يكون من أهل الأهواء فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل ٠

لا يشترط الإسلام فى وزير التنفيذ لأنه لا يمتد سلطته إلى ولاية أمر المسلمين وتولى وزارة التنفيذ ذميون[٧٠] ٠

الفرق بين وزارة التفويض والتنفيذ :

يكون الفرق بين هاتين الوزارتين فى الآتى :

١- أنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر فى المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ ٠

٢- أنه يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة، وليس ذلك لوزير التنفيذ

٣- أنه لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحرب وليس ذلك لوزير التنفيذ ٠

٤- أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف فى أموال بيت المال بقبض ما يستحقه له ويدفع ما يجب منه، وليس ذلك لوزير التنفيذ ٠

وكان للوزير لباس رسمى شمل الدرعة وقميصا ومبطنه وخفا واختلف راتبه على مر العصور أو اختلاف الأشخاص ٠

أما مهام الوزير :

فقد اختلفت الوظائف التى يقوم بها من عهد لأخر، ومن خليفة لخليفة، وبين دولة ودولة، ومن الوظائف التى كان الوزير يقوم بها سواء كان وزير تنفيذ أم وزير تفويض – الإشراف على الشئون الإدارية، فكان العمل اليومى له شاقا مجهدا، حيث كان من مهامه أن يغدوا إليه الكتاب فيوافقهم على الأعمال ويسلم إلى كل منهم ما يتعلق بديوانه أو يوجهه بما يريد وصايته به، ثم يروحون إليه بما يعطونه من أعمالهم فيوافقهم عليه، وإذا خف العمل، نهض من مجلسه وانصرف الجماعة بعد قيامه، ويذهب الوزير إلى دار الخلافة فى أيام معينة من كل أسبوع للمثول بين يدى الخليفة وإطلاعه على شئون الدولة وتلقى الأوامر منه[٧١] .

– ومن مهامه النظر فى ديوان الحسبان لما يحتاجه إليه خطته من قسم الأعطيات فى الجند، فاحتاج إلى النظر فى جمعه وتفريقه .

– والإشراف على القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة .

جعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها [٧٢] .

وهذه الوظائف التى استندت إلى الوزير كانت تتفاوت بين وزير وآخر تبعا لطبيعة شخصية الوزير من جهة وطبيعة شخصية الخليفة من جهة أخرى، وكذلك طبيعة العلاقة بين الخليفة والقوى الآخرى فى المجتمع، وقد سجلت بعض الفترات نفوذا قويا للوزراء بلغ درجة التدخل فى تعيين الخلفاء والاشتراك فى عزلهم[٧٣] .

ولاة الأقاليم "الأمراء" :

يأتى الخليفة على رأس السلطة التنفيذية فى الدولة الإسلامية ولما كان الخليفة يجمع فى يده كل السلطات فهو يحكم الطبيعة البشرية وظهرت الحاجة إلى الاستعانة بالولاة على البلدان منذ أن انتشر الإسلام خارج المدينة، وصارت رقعة الدولة الإسلامية تضم إلى جانب مدينة الرسول ﷺ مدنا وبلاد أخرى، ومن ثم فوض بعض السلطة التنفيذية إلى ولاته وعماله – أمراء الأقاليم[٧٤] مثال ذلك فقد جعل الرسول ﷺ عتاب بن أسيد واليا على مكة، ومن أهم عمال الرسول ﷺ على الأقاليم :-

عثمان بن أبى وقاص على الطائف، العلا بن الحضرمى على البحرين، زياد بن لبيد الأنصارى على حضر موت، المهاجر بن أبى أمية بن المغيره على صنعاء، وعين غيرهم من الولاة على بلدان أخرى(٧٥) ٠

وكان أول راتب فرضه الرسول ﷺ للعمال هو راتب عتاب بن أسيد والى مكة وكان درهما فى كل يوم ٠

وفى عهد أبى بكر رضي الله عنه كانت ولايات الجزيرة العربية هى البلاد التى تحت الإدارة الإسلامية نهائيا وقد جعلها عدة وهى :

١- مكة وعليها عتاب بن أسيد ٠
٢- الطائف وعليها عثمان بن أبى وقاص ٠
٣- حضرموت وعليها زياد بن لبيد ٠
٤- صنعاء وعليها المهاجر بن أبى أمية ٠
٥- البحرين وعليها العلاء بن الحضرمى ٠
٦- خولان وعليها يعلى بن أميه ٠
٧- زبيد ورمع وعليها أبا موسى الأشعرى ٠
٨- الجند وعليها معاذ بن جبل ٠
٩- نجران وعليها جرير بن عبدالله البجلى ٠
١٠- جرش وعليها عبدالله بن ثور ٠

وفى عهد عمر قسم الدولة أقسام ادارية كبيرة ولى على كل قسم منها والى يتولى شئونها والإشراف عليها، وكان يختار الولاة من أماثل القوم وأفضلهم سيرة وكان يتعدهم بالنصح والإرشاد ومن ذلك نصيحته لبعض عماله التى يقول فيها : "انى لم أبعثكم جبابرة ولكن بعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهن، ولا تجمروهن فتنتنوهن ولا تمنعوهم فتظلوهن، وأروا لفحة المسلمين" وأهم الأمصار فى عهد عمر رضي الله عنه وولاتها :-

١- نافع بن عبد الحارث الخزاعى على مكة ٠
٢- سفيان بن عبدالله الثقفى على الطائف ٠
٣- يعلى بن منبه على صنعاء ٠

٤- عبدالله بن أبى ربيعه على الجند ٠
٥- عثمان بن أبى العاص الثقفى على البحرين ٠
٦- المغيرة بن شعبة الثقفى على الكوفة ٠
٧- أبو موسى الأشعرى على البصرة ٠
٨- معاوية بن أبى سفيان على دمشق ٠
٩- عمير بن سعد على حمص ٠
١٠- عمرو بن العاص على مصر[٧٦] ٠

واتخذ ولاة على غير مكة من البلاد واتبع سياسة تقسيم البلاد إلى ولايات واتخذ الولاة عليها كل من الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين وغيرهم من حكام المسلمين على اختلاف عصورهم[٧٧] ٠

وفى عهد أبى بكر كانت الدولة الإسلامية تقتصر على شبة الجزيرة العربية ولم يكن مصير بلاد العراق والشام قد تحدد تماما فكانت الولايات فى عهد أبى بكر هى : البحرين – اليمامة – عمان – خولان – حضر موت – الجند – صنعاء – زبيد – رمع – جرش – نجران – الطائف – دومة الجندل[٧٨] ٠

ثم اتسعت الدولة فى عهد عمر، وعهد عثمان، وخلال العصرين الأموى والعباسى والعصور الإسلامية الأخرى ولن ندخل فى تفاصيل اتساع الدولة الإسلامية وذكر ولاياتها، لأن ما يهمنا هنا – هو اختيار الوالى ومهامه فى ولايته وعلاقته بالخلافة ٠

أولا : اختيار الولاة :

حينما كان الخليفة أو الامام يختار الوالى، ولم يتركه مطلقا بل قيده بالقيود التى تضمن عدم استبداد ولاة الأقاليم بالسلطة ٠

وكان يختار الولاة من أماثل القوم وأفضلهم سمتا وهديا سيرا على سنن النبىﷺ فى اختيار الأصلح للولاية، وكان عمر رضي الله عنه يتعدهم بالنصح والإرشاد، ومن ذلك نصيحته لبعض عماله التى يقول فيها : "إنى لم أبعثكم جبابرة ولكن بعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم فتظلموهم وأدروا لفحة المسلمين"[٧٩] ٠

الولايـة : هـى أن يقلد أميرا علـى إقليم أو بلـد، وقد يطلـق علـى هذا الأمير لقب وال أو عامل، وقد نشأت الإمارة على البلدان مبكرة فى الإسلام، فكان الرسول ﷺ، ينيب عنه عمالا على القبائل والمدن فى الحجاز واليمن، واستمر هذا النظام واتسع فى عهد الخلفاء الراشدين وما بعده من عصور[٨٠] .

وإمارة الاستكفاء فهى أن يختار الخليفة الرجل الكفء ليفوض إليه إمارة بلد أو إقليم فيضطلع هذا الأمير بتدبير الجيوش وتقليد القضاة، وجباية الخراج، وحماية الدين وإقامة الشرع وإمامة الصلاة، والإشراف على شئون الحج، ثم حماية هذا الإقليم إن كان من الثغور[٨١] .

أما النوع الثالث من الإمارة فهو إمارة الاستيلاء التى تعقد عن اضطرار فهى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه منفذا لأحكام الدين ليخرج من الفساد إلى الصحة ومن الحظر إلى الإباحة[٨٢] .

الفرق بين إمارة الاستكفاء العامة وإمارة الاستيلاء :

١- أن إمارة الاستيلاء متعينة فى المتولى، وإمارة الاستكفاء مقصورة على اختيار المستكفى .

٢- أن إمارة الاستيلاء مشتملة على البلاد التى غلب عليها المستولى، وإمارة الاستكفاء مقصورة على البلاد التى تضمنها عهد المستكفى .

٣- أن وزارة التفويض تصح فى إمارة الاستيلاء، ولا تصح فى إمارة الاستكفاء لوقوع الفرق بين المستولى ووزيرة فى النظر .

وهذه القيود تتلخص فيما يلى :

١- حسن اختيار الإمام لولاة الأقاليم .

٢- محاسبة عمال الأقاليم ومراقبة أعمالهم .

٣- فصل السلطة القضائية وحماية استقلالها .

٤- اختيارهم ممن لهم دراية بأمر السياسة والحرب والخراج .

٥- وصايا الرسول لأمرائهم باتباع سنة رسول الله ﷺ[٨٣] .

وكان اختيار الولاة من الأمور التى يقوم الخليفة بها، ومع ذلك فإن دور أهل الولاية كان واضحا فى اختيار الولاة وسياستهم وتقويمهم، ومثال لذلك : شكا أهل الكوفة عمار بن ياسر إلى الخليفة عمر بن الخطاب وقالوا أنه ليس بأمير ولا يحمل ما هو فيه فعزله عمر، وقال لهم من تريدون بأهل الكوفة، فقالوا أبا موسى الأشعرى، فولاه عليهم وجاءوه بعد سنة وقالوا، لا حاجة لنا فى أبى موسى، فقال لهم أقوى متشدد أحب إليكم أم ضعيف مؤمن ؟ وكان يكتب إلى الولاة بتوقير وجوه الناس الذى جعلوا أنفسهم وسطاء بينهم وبين الناس، وسفراء يرفعون حوائجهم ومطالبهم إلى الولاة، وكان يقول من ظلمه أمير فلا أمرة عليه(٨٤)

وولى هارون الرشيد على بن عيسى بن ماهان على خراسان فلما عاث فيها واستخف برجالها، كتب أهل خراسان، إلى الرشيد يشكون سوء سيرته فعزله الرشيد وولى هرثمة بن أعين(٨٥) .

وكان على الخليفة أو الإمام مراقبة الوالى وأن يسأل عن سيرته ويفحص عن حالته وسريرته فإن كان عادلا أكرمه ورفعه وإن كان ظالما أهانه وعزله فإنه لا صلاح لرعية واليها فاسد .

كما روعى ألا تكون الولاية أكبر من الوالى فتقهره، فإن الوالى إذا ولى ولاية هى أكبر منه يضيع فيها ويبقى حائرا كالفارس الذى بيده رمح لا يقدر على نقله والعمل به، وقيل سئل بعض خلفاء بنى أميه "ما كان سبب زوال ملككم، فقال استعنا بصغار العمال على أكابر الأعمال فآل أمرنا إلى ما آل"(٨٦) .

والإمارة كانت على ثلاثة أنواع : الإمارة العامة، والإمارة الخاصة وإمارة الاستيلاء .

- الإمارة العامة وهى تشمل الصلاة وإدارة الإقليم والحرب والخراج .
- أما الإمارة الخاصة : فهى محددة فى إمارة الجيش، إمارة الحج – إمارة على الصلاة والحرب دون الخراج(٨٧) .

مهام الوالى فى ولايته :

كان الولاة نوابا عن الخليفة فى ولاياتهم وحكاما، وكان كل منهم يقوم فى ولايته بالمهام التى من شأن الخليفة أن يقوم بها، وله من صلاحية النظر فى أمور الولاية ما للخليفة من صلاحية النظر فى أمور الدولة[٨٨]، وتمثلت مهامه فى الآتى :

١- النظر فى تدبير الجيوش وقيادتها ٠

٢- النظر فى الأحكام وتقليد الولاة ٠

٣- جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال ٠

٤- حماية الدين والذب – الدفاع – عن الحريم ٠

٥- إقامة الحدود ٠

٦- تسيير الحجيج ٠

٧- الإمامة فى الجمع والجماعات[٨٩] ٠

وكان من مهام الوالى أيضا حق الإشراف على شئون الشرطة، وكان هو الذى يعين صاحب الشرطة[٩٠] ٠

ونلاحظ أنه فى بعض فترات العصر العباسى أرسل الوالى من ينوب عنه فى حكم الولايات، وكان لكثرة تغيير الولاة خلال العصر العباسى أثرة السلبى على أحوال الأقاليم[٩١] ٠

وكان بقاء الوالى فى ولايته متوقفا على تنفيذه لمطالب الخلفاء وفقا لسياستهم حيث أن حكم الولاة كان يختلف لينا وشدة تبعا لاختلاف ميولهم فقد اشتهر البعض منهم بالعدل والجود والإصلاح، والبعض الآخر اتسمت سياسته بالعنف والجور والقسوة ٠

وكان للولاة مجالس فى ولاياتهم تضم إلى جانب كبار رجال الولاية وموظفيها جماعة من وجوه الناس وعلمائهم وأهل المعرفة بأحوال الولاية، وكان الوالى يرجع إليهم ويستشيرهم، ومثال لذلك مجلس سعيد بن العاص فى الكوفة فى عهد عثمان بن عفان ﷺ ومجلس عمر بن عبد العزيز فى المدينة خلال عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك[٩٢] ٠

الحجابة :

الحجابة فى اللغة لفظ مشتق من حجب بمعنى حال دون أو منع أو ستر ٠ يقال حجب الشئ أى ستره[٩٣] ٠

وفى الاصطلاح هى احدى الوظائف المعاونة للحاكم وصاحب الحجابة يسمى حاجبا، وهو من يحجب السلطان عن العامة والخاصة ٠

وهذا المنصب لم يعرفه صدر الإسلام، عندما كان الإسلام بسيطا لا يتشبه حكامه بالملوك ٠ وكان الخلفاء الراشدون لا يحتجبون عن رعاياهم، فكانوا يجلسون طوال يومهم فى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، ويلتقون بالمسلمين على اختلاف مراتبهم بدون حجاب[٩٤] ٠

وقد كان أول من اتخذ الحجاب معاوية بن أبى سفيان، وذلك بعد مصرع على بن أبى طالب رضي الله عنه، ومحاولة اغتيال معاوية، واتساع الفتن وازدحام الناس على أبواب قصره فى دمشق وحذا الخلفاء الأمويون حذو معاوية فى الاحتجاب عن الناس [٩٥] والحاجب موظف كبير يشبه كبير الأمناء فى العصر الحديث وكان يقوم بإدخال الناس على الخليفة حسب مراتبهم ومراكزهم فى المجتمع ٠

- ومن اختصاصات الحاجب أيضا : تنظيم مثول الناس أمام الخليفة ٠
- وأنهم كانوا يمثلون همزة الوصل بين الناس والخليفة[٩٦] ٠

واتخذ الخلفاء العباسيون الحجاب، فلم يقابلوا رعاياهم إلا من قدم لأمر خطير وصار بين الناس والخليفة داران : دار الخاصة ودار العامة، يقابل الخليفة كل طائفة فى كل مكان معين، كما يحدده الحاجب[٩٧] ٠

واتخذ العباسيون الحجاب وبالغوا فى ذلك تشبها بالأكاسرة وحماية لأنفسهم من الساخطين عليهم وزادوا فى منع الناس عن ملاقاتهم ٠

أما فى بلاد الأندلس فيلاحظ أن منصب الحجابة كان يماثل منصب الوزارة فى الدولة العباسية، فقد كان اختصاص الحاجب فى عصر بنى أمية واسعا يشتمل على الإشراف على الشئون المدنية والعسكرية، وبلغ الحاجب درجة كبيرة من النفوذ حتى أن الخلفاء حافظوا على التلقب بلقب الحاجب بعد وصولهم إلى كرسى الخلافة[٩٨] ٠

وكان يشغل وظيفة الحاجب كبار العسكريين، وبلغ نفوذهم إلى درجة كبيرة حيث كان يتم مشورتهم فى الكثير من الأمور فى الدولة، واستبد بعضهم بالأمر دون الوزير، وتدخل بعضهم فى تعيين الوزراء[٩٩]، ومثال لذلك الربيع بن يونس حاجب المنصور والمهدى، ونلحظ مدى مكانته بأنه أخفى نبأموت المنصور حتى أخذ البيعة للمهدى، وتخلص من الوزير معاوية بن يسار حيث عزله المهدى بمشورة من الربيع، ثم رشح الربيع للمهدى يعقوب بن داود ليتولى الوزارة[١٠٠] ولعب دورا كبيرا فى الإيقاع بين هارون الرشيد والبرامكة[١٠١] .

هذا ونجح بعض الحجاب فى تأسيس أسر حاكمة مثل الحاجب أق سنقر والد عماد الدين زنكى الذى أسس الأسرة الزنكية فى الموصل وأعمالها وتوابعها "الجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها"[١٠٢] .

وخلال العصر الفاطمى لم يتمتع الحاجب بتلك المكانة التى كان يتمتع بها خلال العصريين الأموى والعباسى، وكان يلقب بصاحب الباب[١٠٣] .

وزاد نفوذ الحاجب حتى صار الواحد منهم يلقب بذى الوزارتين، وذلك إشارة إلى إشرافه على الأمور المدنية والعسكرية، وكان ذلك راجعا إلى الثقة التى أولاها له الحكام حيث كان يتم اختيار الحاجب من مقدمى رجال الدولة وخاصة الخليفة ويختار من أغزرهم عقلا وأشدهم دينا وأوفاهم روعا، وأعظمهم من الله خوفا، وأصوبهم رأيا وأرحمهم قلبا وأصدقهم لهجة وأذكاهم نفسا[١٠٤] .

وكان على الخلفاء ألا يجعلوا زمام الأمور بأيدى حجابهم، ولا يركنوا بالكلية إليهم، ولا يعتمدوا فى جميع أمورهم عليهم، فربما داخلهم الطمع فينقلون إلى الخليفة ما يريدون، ويكتمون عنه ما يختارون وهذا يؤدى إلى اختلال الملك وفساد النظام وهلاك الرعية، بل كان عليه أن يباشر الأمور بنفسه ويسمع من المظلوم شكايته، ويتولى أمور الرعية حقيرها وخطيرها بنفسه ولا يهمل شيئا منها[١٠٥] .

ولاية العهد :

أثارت مشكلة ولاية العهد أو الاستخلاف كواحدة من نظم الدولة الإسلامية كثيرا من الجدل والخلاف بين المفكرين والعلماء والفقهاء المسلمين، فمنهم من أدان هذا الاتجاه

ونادى ببطلانه، ومنهم أوجد له المبررات ووضع له من القواعد ما يجعله مشروعا متمما للخلافة ٠

وكانت البداية التاريخية لولاية العهد سنة ٤٠ هـ/٦٦٠ م حين تولى الحسن بن على خلافة المسلمين، إلا أنها لم تتم على يد على بن أبى طالبﷺ ولم يوص بها، فقد ترك هذا للمسلمين يرون فيه رأيهم، ومع ذلك يمكن القول أن تولية الحسن بن على كانت البداية لقاعدة جديدة من قواعد الحكم ونظم الدولة، ربما كانت سابقة سار عليها معاوية بن أبى سفيان فأخذ البيعة لابنه يزيد[١٠٦]

وعلى الرغم مما فى البيعتين من بعد عن أسس الخلافة الإسلامية التى وضعها الرسولﷺ فقد أقحم هذا التقليد على الخلافة وأصبح ملازما لها ٠

وقد عارض بعض المسلمين بيعه يزيد، بل أن معاوية أكره الناس أو بعضهم على البيعة، فقد ثار الحجاز، وعندما تولى يزيد خلافة الأمة بعث إلى واليه على المدينة الوليد بن عقبة يأمره فى كتاب يقول فيه : خذ حسينا وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة والسلام[١٠٧] ٠

إن القاعدة التى وضعها الأمويون، وساروا عليها منذ خلافة معاوية وحتى مقتل مروان بن محمد لم تمر دون أن تحرك الثورة فى النفوس، وعندما مات معاوية ازدادت الثورة اشتعالا ورأى الحسين بن على أن يطالب بحقه فى الإمامة وسادة أهل العراق وانتهى الأمر بقتله سنه ٦١هـ / ٦٨٠م فى كربلاء[١٠٨] ٠

ولم تكن كربلاء نهاية المشكلات بالنسبة ليزيد، فقد كان عبدالله بن الزبير بمكة كما لم تكن المدينة بأقل رفضا للموقف، وسير يزيد جيشه إلى الحجاز حيث دارت الحرب مع أهل المدينة فى موقعة الحرة وقتل فيها كثيرون[١٠٩] وسارت الجيوش الأموية بعد ذلك إلى مكة وبها عبدالله بن الزبير ولم تنجح هذه المحاولة، كما لم تنج المدينة من نار الأمويين[١١٠]، واستمرت ولاية العهد تنتقل بين أولاد الخلفاء وأخوتهم وأقاربهم الأقربين ٠

مكن الأمويون لأنفسهم ووضعوا أسس ولاية العهد، وبذلك تحولت نهائيا إلى حكم وراثى[١١١] وازداد الصراع على ولاية العهد خلال العصر العباسى، ولجأ الخلفاء إلى أخذها لأكثر من واحد من الأبناء، ولم يتورع كل أولئك فى الدخول فى حروب دامية وصولا

للانفراد بها تمهيدا للوصول إلى الخلافة، فقد عهد أبو العباس السفاح إلى المنصور وجعل ولاية العهد من بعده لعيسى بن موسى[١١٢] فأراد المنصور تقديم المهدى فاستنزله عن العهد عفوا لحقه فيه، ويذكر الماوردى أنه ليس من حق الخليفة أن يكره ولى العهد على التنازل، إذ يجب أن يتنازل طائعا راضيا[١١٣] .

وقد حرص الخلفاء العباسيون على ولاية العهد، فيذكر أن الرشيد رتب الخلافة فى ثلاثة من أبنائه هم الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن وذلك بناء على مشورة من عاصره من فضلاء العلماء[١١٤] .

فإذا عهد الخليفة إلى ثلاثة ورتب الخلافة فيهم ومات والثلاثة أحياء كانت الخلافة بعده للأول، ولو مات الأول فى حياة الخليفة كانت الخلافة بعده للثانى، ولو مات الأول والثانى فى حياة الخليفة فالخلافة بعده للثالث لأنه قد استقر لكل واحد من الثلاثة بالعهد إليه حكم الخلافة من بعده[١١٥] .

وفى عام ١٨٧هـ/ ٨٠٢م بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون شريطة أن يكون الأمر للمأمون ان أراد أقره فى ولاية العهد وان شاء أن يخلعه خلعه[١١٦] .

وعندما تولى الأمين الخلافة أراد أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد وسير إليه من يحاربه فى خراسان، وتصدى لذلك طاهر بن الحسين الذى تمكن من انزال الهزيمة بجيش الأمين وعلى رأسه القائد على بن عيسى بن ماهان[١١٧].

وتعرضت بغداد بسبب ولاية العهد للحصار ودارت الحرب التى انتهت بمقتل الأمين، وحملت رأسه إلى أخيه المأمون فى خرسان، ولقد بكى المأمون واشتد حزنه على أخيه، ثم قدم من خرسان إلى بغداد ليتولى أمر المسلمين[١١٨].

ويتصل النزاع على ولاية العهد حتى أننا نرى تدخل الموالى لتأييد ولى العهد وهذا ما حدث خلال عهد الخليفة المعتز الذى علم أن المؤيد يتآمر عليه وذلك بالاتصال بالموالى فقبض عليه وطلب إليه أن يخلع نفسه من ولاية العهد ولم يهدأ إلا بعد أن قتله مسموما[١١٩] .

واستمرت ولاية العهد قضية من قضايا الخلاف حتى نهاية العصر العباسى وسقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .

ولذا يمكن القول أن ولاية العهد ظلت أسلوبا من أساليب اختيار الخليفة، وذلك منذ العصر الأموى وحتى انتهاء الخلافة العباسية، وإذا اعتبرنا أن هذا التطور قد أملته الظروف التى عاشت خلالها نظرية الدولة الإسلامية فإن هذا الأسلوب يضاف إلى ما سنه الخلفاء الراشدون ابتداء بالاختيار دون نص أو عهد مكتوب إلى نص وعهد مكتوب إلى قيام مجلس الشورى وانتهاءا بولاية العهد لواحد ثم لأكثر من واحد [١٢٠] تحولت الخلافة فى عهد الأمويين من نظام الشورى والانتخاب إلى النظام الملكى الوراثى، فقد بايع معاوية بن أبى سفيان لابنه يزيد بولاية العهد دون أبناء الصحابة مثل الحسين بن على، وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن العباس وغيرهم، وكان الخلفاء الأمويون يولون العهد أحيانا لأكثر من واحد ٠

واتبع العباسيون هذا النظام وغالوا فيه، فقد عهد أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ) بالخلافة أبى أخيه إلى جعفر المنصور (١٥٨-١٣٦هـ/ ٧٥٣-٧٧٤م) ثم إلى أخيه عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس، فلما تولى المنصور الخلافة خلع عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى، ثم لعيسى بن موسى من بعده، ولما تولى المهدى الخلافة (١٦٩-١٥٨هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م) خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وولى ولديه الهادى ثم هارون الرشيد ٠

كذلك أراد الهادى (١٨٠-١٦٩هـ) خلع أخيه هارون والبيع لابنه جعفر مثلما فعل المهدى مع عيسى بن موسى، لولا أن مات الهادى قبل أن ينفذ ذلك ٠

كما حاول الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، والبيعة لابنه مما أدى إلى النزاع بين الأخوين، وانتهى الأمر بقتل الأمين ٠

وكان لنظام ولاية العهد نتيجة سيئة على العباسيين والأمويين من قبلهم، حيث نشب الخلاف بين الكثيرين مما أضعف الخلافتين[١٢١] ٠

الكتابة :

الكتابة فى اللغة : لفظ مشتق من كتب وهو يدل على جمع شئ إلى شئ والكتاب بمعنى الفرض أيضا وذلك فى قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾

يقصد بالكتابة هى احدى الوظائف المعاونه للحاكم تشاركه مسئوليات الحكم بتدوين وكتابة ما يعهد الحاكم إليها من رسائل وغيرها القيام بالأعمال الإدارية التى تعين الوزير فى أدائه لعمله، فقد كان عبء الوزارة يضطلع به شخص واحد فى العادة وهو من يطلق عليه فى عصرنا الحالى لقب "رئيس الوزراء"، ولكن أعباء الوزير أخذت تتزايد بحيث لم يعد من الممكن أن يقوم بها وحده، ولذا استعان بموظفين أو كتاب يشرفون معه على الدواوين المختلفة أى الوزارات بالمفهوم الحديث[١٢٢] وقد عرف المسلمون الكتابة فى صورتها البسيطة الأولى فى عهد الرسولﷺ، حيث كان يتخذ له كتاب من الصحابة الذين يجيدون القراءة والكتابة يدونون القرآن الكريم ويكتبون الرسائل والعهود والمعاهدات المختلفة، كان على بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما يكتبان الوحى فان غابا كتب أبى بن كعب وزيد بن ثابت، وكتب خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان بين يدى الرسول فى حوائجه، واتخذ الرسولﷺ المغيرة بن شعبة والحصين ابن غير كتبة يكتبان ما بين الناس من المداينات والمعاملات، وجعل عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء وأضاف إلى زيد بن ثابت كتابة الكتب إلى الملوك، وجعل كتابة المغانم إلى معيقيب بن أبى فاطمة حليف بنى أسد، وكان حنظلة ابن الربيع خليفة كل كاتب من كتاب النبىﷺ إذا غاب عن عمله حتى غلب عليه اسم الكاتب، وكان الرسول يضع خاتمه عنده، وبلغ كتاب الرسولﷺ اثنين وأربعون رجلا[١٢٣] فمنهم عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب (رضى الله عنهم)، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة[١٢٤] .

وسار على نهجه الخلفاء الراشدون حيث اتخذوا لهم كتابا أيضا، وكانت الكتابة فى عهدهم مازالت بسيطة فى وظيفتها ففى عهد أبى بكر اتخذ عثمان بن عفان كاتبا له وكذلك زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن خلف الخزاعى وحنظلة بن الربيع[١٢٥]

وفى عهد عمر بن الخطاب ﷺ . وتم تعيين كاتب بكل ولاية كانت مهمته تنحصر أولا فى كتابة الرسائل، وتدوين الدواوين ثم أصبحت المهمة تتسع لتشمل حسابات الدواوين وتسجيل أسماء الجند وأعطياتهم وكاتب للخراج وكاتب للقضاء[١٢٦] .

وعندما انتقلت الخلافة إلى الأمويين تعددت الدواوين وأصبحت خمسة هى: ديوان الرسائل والخراج والجند والشرطة والقضاء وكان لكل ديوان من هذه الدواوين كاتب، وكان يتصدرهم فى الأهمية كاتب ديوان الرسائل[١٢٧] .

وخلال العصر العباسى زادت مكانة الكاتب نتيجة لكثرة أعمال الوزارة، حيث أصبح من الضرورى تعيين موظفين لمعاونة الوزير للإشراف على الدواوين المختلفة وإدارة شئونها، وكان من أشهر الكتاب فى ذلك العصر كاتب الرسائل الذى يتولى مكاتبة الأمراء والملوك عن الخليفة، وقد حرص الخلفاء على أن تدون الرسائل بأسلوب شائق وبليغ، كما حرصوا على اختيار كتابهم من رجال الأدب من أعرق الأسر وممن عرفوا بسعة العلم ورصانة الأسلوب[١٢٨] .

وكان كاتب الرسائل يجلس مع الخليفة فى مجلس القضاء وينوب عن الخليفة أو الأمير فى بعض الأحيان، وعندما استقرت وظيفة الوزير وزادت أهمية شاغلها صار الكاتب مجرد موظف فى الدواوين[١٢٩] .

وعرف نظام الكتابة فى الأعمال والولايات الإسلامية فكان بكل ولاية كاتب للخراج والمال وكاتب الرسائل .

وكانت طائفة الكتاب تؤلف وحدة على رأسها الوزير، بل وتتدرج فى الرقى إلى الوزارة، معتمدة على كفايتها وبلاغتها، وكان لهؤلاء الكتاب أثر كبير فى نشر نوع من الثقافة خاص، وذلك أن ثقافتهم كانت أوسع من ثقافة غيرهم، وكانت معارفهم ودائرة إطلاعهم واسعة شاملة، وأنهم بحكم مناصبهم مضطرون أن يعرفوا أحوال الناس الاجتماعية وتقاليدهم، وأن يعرفوا من اللغة والأدب وعلوم الدين والفلسفة والجغرافية والتاريخ طرفا لأن كثيرا من مواقفهم يحتاج لذلك[١٣٠] .

وكان هناك صفات ينصح أن يتحلى بها الكتاب من هذه الصفات والخصال الحلم والفقه والعفاف والعدل والإنصاف والأمانة وكتم السر والوفاء والبعد عن السعاية والنميمة

والكبر والعظمة والبعد عن المطامع، والنظر فى كل صنف من صنوف العلم، واجادة الخط وراوية الأشعار، ومعرفة أيام العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها والنظر فى الحساب[١٣١] .

وكان لابد أن تكون هناك مؤهلات خاصة بفئة من الكتاب دون الأخرى، وذلك لخصوصية الدواوين وتميزها عن بعضها فى الوظائف فمثلا، كان لا غنى لصاحب ديوان الخراج عن معرفة الحساب والمساحة .

- ولا غنى لصاحب ديوان الصدقات عن الإلمام بعلوم الفقه .
- ولابد لصاحب ديوان الجيش من معرفة عرض الرجال وشيات الدواب ودار السلاح .
- ولابد لصاحب ديوان النفقات من الإلمام بالحساب والمكاييل والأوزان والأسعار وأمثالها، وهكذا فى الدواوين الأخرى[١٣٢] .

وكانت الدولة تقوم بصرف الرواتب والأرزاق للكتاب وعمال الدواوين، وعلى سبيل المثال كان راتب كاتب عبد الله بن على العباس فى خلافة المنصور عشرة دراهم كل شهر[١٣٣] .

وكان الأمويون والعباسيون يصرفون راتبا سنويا لرؤساء الكتاب والعمال ثلاثة مائة درهم وزادت رواتبهم عن ذلك خلال عهد المأمون[١٣٤] .

ويذكر المقريزى رواتب أرباب الدواوين خلال العصر الفاطمى كالآتى :

- الراتب الشهرى لصاحب ديوان النظر سبعين دينارا .
- وصاحب ديوان التحقيق خمسين دينارا .
- وأربعين دينارا لصاحب ديوان المجلس .
- وخمسة وثلاثين دينارا لصاحب دفتر المجلس .
- وأربعين دينارا لصاحب ديوان الجيش [١٣٥] .

وكانت كتابة الدواوين فى صدر الإسلام فى صحف مدرجة تسمى قراطيس وإذا كانت طويلة سميت طوامير، وأول من اتخذ الطوامير وكتب فيها الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٩٦-٨٩هـ/ ٧٠٧-٧١٤م) وكره الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م) استعمالها وجعل كتبه فى شبر من الصحف أو نحوه[١٣٦] وظلت الكتب

تثبت فى صحف وتحفظ فى هذه الصحف فى الدواوين حتى كانت خلافة أبى العباس السفاح، فجعلها خالد بن برمك فى دفاتر واتخذت الدفاتر من الجلود، ثم استعمل جعفر بن يحى بن خالد برمك بن الكاغد فى خلافة هارون الرشيد وتداوله الناس من بعده[١٣٧] .

القضاء :

القضاء فى اللغة مصدر من قضى وهو أصل يدل على أحكام أمر واتقانه وانفاذ لجهته كما يتضح من قوله تعالى : ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾[١٣٨] أى أحكم خلقهن، والقضاء هو الحكم قال تعالى:﴿ **فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**﴾[١٣٩] أى أحكم ولذلك سمى القاضى قاضيا لأنه يحكم وينفذ الأحكام، وسميت المنية قضاء لأنه ينفذ فى بنى آدم وغيره من الخلق[١٤٠] .

والقضاء من أعظم المناصب ومرتبته تلو مرتبة النبوة، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وكلفهم الأخذ بالشرائع، وبعث الرسل قضاة ليحكموا بين الناس . قال تعالى : ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيه**﴾[١٤١] وقال تعالى لرسوله محمدﷺ ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾[١٤٢] .

والقضاء من عمل الخليفة لأن معناه الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع، على حسب القانون الشرعى المأخوذ من الكتاب والسنة[١٤٣] وقد كان سنة متبعة عند العرب قبل الإسلام وكانوا يعرفون بالحكام[١٤٤]

ولما جاءت دولة الإسلام صار الرسولﷺ يفصل فى الخصومات بين الناس فى المدينة وصار مرد كل حدث أو اختلاف بينهم إلى الله وإلى محمد رسول اللهﷺ[١٤٥] .

ثم صار القضاء بعد الرسولﷺ فى عداد الوظائف الداخلة تحت الخلافة، وفى ذلك يذكر الهروى أنه على الخليفة ألا يهمل أمر القضاة والعدل وأصحاب المناصب لان بأيديهم أزمة الأمور وصلاح الرعية، ولهم الحكم على الأرواح والأشباح والأموال وأمور الدين والدنيا بل يمتحنهم فى مجلسه ويسألهم عن أمور دينهم ودنياهم وليجعل عليهم عينا ورقيبا ليعلم أمرهم، فان أهمل أمرهم فسد حاله[١٤٦] .

فكان الخلفاء يباشرون هذا العمل بأنفسهم ويستفتون فى الحكم ان كانت هناك حاجة إلى الاستفتاء، وعندما استخلف أبو بكرﷺ قال له عمر بن الخطابﷺ "أنا أكفيك القضاء" (١٤٧)، ولما تولى عمر بن الخطابﷺ عين على بن أبى طالبﷺ قاضيا، وجعل على الأمصار والولايات قضاة ينظرون فى الخصومات بين الناس، وصار ذلك سنة فى الذين جاءوا من بعده من الخلفاء، حيث كان يتخذ كل منهم قاضيا فى حاضرة الخلافة وقضاة آخرين فى الولايات والأمصار(١٤٨)

والسبب فى ذلك هو كثرة مشاغل الخلفاء بالفتوح وانشغالهم بالجيوش وتدبيرها مما جعلهم يفوضوا هذا العمل إلى من فى استطاعتهم الاستنباط، ولكنهم لم يتسموا باسم القضاة إلا منذ عهد عمر بن الخطابﷺ حيث بعث قضاة إلى الأمصار والولايات فولى أبا الدرداء قضاء المدينة، وشريحا قضاء البصرة، وأبا موسى الأشعرى، قضاء الكوفة، وقيس بن أبى العاص قضاء مصر، ووضع لهم نموذجا يسيرون عليه، واستمر الحال على ذلك إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين(١٤٩) وكان القضاء فى الأمصار أول الأمر مضاف إلى الولاة، حتى كانت خلافة عمر بن الخطابﷺ فجعله مستقلا عن نظر الوالى، وعين له من ينفرد بالنظر فيه، وكان تقليد القضاة فى الولايات يتم فى الغالب عن طريق الولاة وذلك بتفويض الخليفة لهم(١٥٠)، ولم يكن لأمراء الأمصار سلطان عليهم فى قضائهم ٠

وخلال العصر العباسى ظهر منصب قاضى القضاة وذلك زمن هارون الرشيد وتولاه القاضى أبو يوسف صاحب كتاب الخراج وصار لقاضى القضاة حق الإشراف نيابة عن الخليفة على النظام القضائى من حيث النظر فى تعيين القضاة ومراقبتهم فى عاصمة الدولة وخارجها(١٥١) ٠

وذلك لأنه كان لا يوجد إلا خليفة واحد للمسلمين فى بغداد هو الخليفة العباسى، ونتيجة لتعدد الخلفاء بعد قيام الدولة الفاطمية بدأ تعدد قاضى القضاة فى عدة عواصم(١٥٢) ٠

وقد ظهر الأئمة الأربعة ابتداء من القرن الثانى الهجرى وبتدوين مذاهبهم وانتشارها اخذ القضاة يتقيدون فى قضائهم بمذهب مشهور، فانتشر مذهب الإمام أبو حنيفة النعمان (٨٠-١٥٠هـ/٦٩٩-٧٦٧م) فى سائر بلاد العراق(١٥٣) كما انتشر مذهب الإمام مالك وهو

مذهب أهل الحديث فى بلاد الحجاز، والإمام مالك هو ابن انس الأصبحى ولد سنة ٩٣هـ/٧١١م وتوفى سنة ١٧٩هـ/٧٩٥م

- أما المذهب الشافعى نسبه إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعى القرشى المولود بغزة سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م والمتوفى بمصر سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م فقد انتشر فى مصر والشام .
- وقد انتشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل المولود ببغداد سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م والمتوفى بها سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م فى بغداد فى بلاد الشام ونجد .

وهكذا كان لكل مذهب من هذه المذاهب قاضى قضاة يقوم بدوره بتعيين القضاة فى الأمصار والمدن وفقا لمذهبه[١٥٤] .

وكان الخلفاء يتحرون عند اختيار القضاة أن يكون القاضى من أهل العدالة والعلم وقد ذكر المصنفون لكتب "أدب القضاء" الشروط التى يجب توافرها فيمن يقلد منصب القضاء استقوها من الشواهد القرآنية والسوابق من عهد الصحابة ومن تلاهم فقد ذكر الماوردى سبعة شروط هى : الذكورة حيث يشترط فيمن يتولى القضاء أن يكون رجلا، وأجاز أبو حنيفة تولى المرأة القضاء فيما يجوز فيه شهادتها ويرى الكاسانى أن الذكورة ليست من جواز التقليد فى الجملة لأن المرأة من أهل الشهادات فى الجملة، إلا أنها لا تقضى فى الحدود والقصاص لأنه لا شهادة لها فى ذلك، وأهلية القضاء تدور مع أهلية الشهادة وأجاز ابن جرير الطبرى تولى المرأة القضاء فى جميع الأحكام[١٥٥] مع البلوغ، والإسلام، والعقل، والعدالة والحرية والعلم بالأحكام الشرعية، وسلامة الحواس والعلم بآراء السلف[١٥٦]، حيث يجب فيمن يتولى القضاء أن يسمع ويبصر حتى يستطيع تمييز الحق من الباطل وهذا بخلاف سلامة الأعضاء فهى غير معتبره فى القضاء ولكنها معتبرة فى الولاية العامة[١٥٧] .

واهتم الخلفاء والولاة بتصفح أحوال القضاة وتتبع أخبارهم والاطمئنان على سلامة إجراء أحكام العدل بين الناس، وكان دور بعض الخلفاء مشهودا فى بيان معالم القضاء وكشف غموضه وإزاحة علله[١٥٨] .

كان النبى ﷺ هو الذى يتولى القضاء، وكان يعتمد فى قضائه على الوحى والاجتهاد فيما لا نص فيه، وقد درب ﷺ أصحابه على ذلك فعندما بعث بمعاذ بن جبل إلى اليمن قال له : "كيف تقضى إذا عرض عليك قضاء ؟ قال أقضى بكتاب الله قال فإن لم تجد قال أقضي بسنة رسول الله، قال فإن لم تجد فى سنة رسول الله قال أجتهد فى رأيى ولا آلو فقال له الحمد لله الذى وفق رسول الله إلى ما يرضى الله"(١٥٩) .

وفى عصر الخلفاء الراشدين كانت المصادر هى الكتاب والسنة والإجماع والقياس وذلك على الترتيب السابق، على أنه إذا كان القاضى من أهل الإجتهاد كما كان فى صدر الإسلام، فإنه يأخذ الحكم نفسه من هذه المصادر السابقة مباشرة وعلى الترتيب السابق، أما إذا لم يكن كذلك فإنه يأخذ الحكم منها بواسطة المجتهدين، واستمر الأمر كذلك حتى ظهور المذاهب الفقهية فقل اجتهاد القاضى وأصبح يحكم وفق قواعد مذهب من المذاهب .

وكان القضاة يرجعون فى الفصل فى الخصومات بين الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يستنبطون الأحكام، وكانت السنة النبوية لم تدون ولم تجمع حتى عهد عمر بن عبد العزير، فكان إذا تعثر أمرا أمام القضاة رجعوا فيه للخلفاء(١٦٠) .

ولم يكن القاضى فى أحكامه موكولا إلى الاجتهاد الصرف وإنما كان موكولا إلى الاجتهاد فى فهم الشريعة الإسلامية، وتطبيقها على الحوادث والواقعات(١٦١) وعلى الرغم من ذلك صارت أصول الأحكام فى الغالب مبنية على أربعة أمور هى كتاب الله وسنة رسوله، والإجماع والقياس(١٦٢) وصار القاضى يجد من خلالها طريقه إلى العلم بأحكام النوازل وتمييز الحق من الباطل.

وكانت وظيفة القاضى فى عهد الخلفاء الراشدين مقصورة على الفصل فى الخصومات المدنية، أما القصاص والحدود فكانت ترجع إلى الخلفاء وولاة الأمصار(١٦٣) إلا أنه مع مرور الزمن لم تقتصر سلطة القاضى على الأعمال القضائية البحتة، بل امتدت إلى أمور دينية أخرى ليس لها علاقة بالقضاء وإنما ضمت إليه لمعرفته بالضرورة للشرع الإسلامى(١٦٤) .

وهذه الأعمال تتمثل فى الآتى :

النظر فى أموال اليتامى ومثال لذلك أن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج قاضى مصر أثناء ولاية عبد العزيز بن مروان بن الحكم على مصر (٨٦هـ /٧٠٥م) من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان (٨٩-٨٦هـ/ ٧٠٥-٧٠٧م) عين عريف على كل قوم للنظر فى أموال اليتامى وأضيف إلى عمله هذه الوظيفة[١٦٥]

وأيضا النظر فى الأحباس ومثال لذلك توبة بن نمر قاضى مصر أثناء ولاية الوليد بن رفاعة على مصر (١٢٠-١١٥هـ/ ٧٣٣-٧٣٧م) من قبل هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) وكانت الأحباس من قبل فى أيدى أهلها وفى أيدى أوصيائهم، ولم يمت توبة حتى صار للأحباس ديوانا عظيما[١٦٦] .

وأضيفت إلى القضاء ولاية الشرطة، ومن القضاة الذين تولوا الشرطة مع وظيفتهم عابس بن سعيد الذى تولى القضاء من قبل مسلمة بن مخلد الأنصارى (٦٠-٦٨هـ / ٦٧٩-٦٨٧م) وأقره مروان بن الحكم عندما جاء إلى مصر وجمع له القضاء والشرطة، وأيضا يونس بن عطية الذى تولى القضاء من قبل عبد العزيز بن مروان (٨٤-٨٦هـ / ٧٠٣-٧٠٥م)[١٦٧] .

ومن الأعمال التى أضيفت إلى القاضى امامة المصلين والخطابة وولاية الحج، وأخذ البيعة للخليفة أو السلطان، ومصاحبة الجيوش[١٦٨]، وتولى بعضهم قيادة الجيوش[١٦٩] وأيضا الإشراف على الأحوال الدينية، والإشراف على المكاييل والعملة[١٧٠] .

ومن الأعمال التى أضيفت إلى القاضى خروجه لرؤية هلال شهر رمضان مع الشهود وقد أضيفت هذه السلطة إلى القاضى فى ولاية عبد الله بن لهيعة على القضاء (١٥٥-١٦٤هـ/ ٧٧١-٧٨٠م) من قبل الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور، وكذلك أثناء ولاية هاشم بن أبى بكر البكرى قضاء مصر (١٩٦-١٩٤هـ/ ٨٠٩-٨١١م) من قبل محمد الأمين خرج لرؤية هلال رمضان[١٧١].

وكان بعض القضاة على درجة كبيرة من الكفاية والخبرة التى جعلت بعض الخلفاء يولونهم أمورا خارجة عن اختصاص القضاء، فقد خول الخليفة عمر بن عبد العزيز أبا إدريس الخولانى فى النظر فى المظالم[١٧٢] وجمع هشام بن عبد الملك الشرطة والأحداث مع القضاء إلى بلال بن أبى بردة[١٧٣] .

وقد كانت وظيفة القضاء من الوظائف السامية التى تحاط بالهيبة والإجلال كما كان لصاحبها نفوذ كبير يتفق مع خطورة العمل الذى يؤديه ٠

ونتيجة لكثرة الأعمال المسندة للقاضى فقد اتخذ له نوابا فى الأقاليم[١٧٤] واتخذ القاضى الشهود ليعاونوه فى عمله القضائى البحت، وكان يطلق على الشهود اسم الشهود العدول حيث يتصفون بالأمانة والعدل ولا يشك فى ذمتهم وكان القاضى يراقب تصرفاتهم[١٧٥] ٠ ولهم رئيس يسمى مقدم الشهود[١٧٦] ٠

واتخذ القاضى بوابا وحاجبا وأعوانا لإحضار الخصوم وكتابا ومترجمين ومستمعين، وصار العلماء يحضرون مجلس الحكم للمشاورة فى المشكلات والمناظرة فى المجتهدات[١٧٧] ٠

وكان المكان الذى يجتمع فيه القاضى بالخصوم يعرف باسم مجلس الحكم وكان مقره مسجد العاصمة الكبير، وكان القاضى أحيانا يفصل فى أمور الناس وهو فى داره، وكان مجلس الحكم يعقد علنا فى أيام محدودة[١٧٨]، ويتكون هذا المجلس من القاضى والشهود العدول، والموقعين الذين يكتبون ما يدور فى الجلسة، والحجاب الذين ينظمون دخول المتخاصمين[١٧٩] ٠

وكان تعيين القضاة وعزلهم لا يتأثر بتعاقب الخلفاء وتبدل الولاة وتغيير الدول، ومثال لذلك فقد ولى شريح بن الحارث الكندى قضاء الكوفة منذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحتى خلافة عبد الملك بن مروان[١٨٠] وولى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى القضاء لبنى أمية ثم ولى القضاء لبنى العباس[١٨١] ٠

وهذا يدل دلالة واضحة على استقلال القضاء وعدم تأثره بالاتجاهات السياسية، وحرص الدولة الإسلامية مع تعاقب حكامها على نزاهة القضاء وإجراء أحكام العدل بين الناس من جهة أخرى ٠

واستتماما لاهتمام الخلفاء بأمر القضاء صرفوا للقضاة الرزق والعطاء، وكانت رواتبهم تختلف بين خليفة وآخر وبين عهد وعهد وبلد وبلد وذلك وفقا للأحوال المعيشية٠

ومثال لذلك القاضى عبد الرحمن بن حجيرة كان على قضاء مصر من قبل عبد العزيز بن مروان (٨٣-٦٩هـ/ ٦٨٨-٧٠٢م) وكان راتبه فى السنة ألف دينار[١٨٢]، وكان

للقاضى زى معين يتميز به ويمنع القاضى من أخذ الهدايا، وكان يركب بغلة شهباء ولا يسمح لأحد باتخاذ بغلة مثلها[١٨٣] .

قضاء المظالم :

نظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة[١٨٤]، فهى وظيفة ممتزجة بين سطوة السلطنة ونصفه القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدى وكأنه يمضى ما عجز القضاة أو غيرهم عن إمضائه[١٨٥] .

وفى بداية الأمر كانت ولاية المظالم متداخلة مع ولاية القضاء وفرعا منها ومنذ نهاية القرن الأول الهجرى نظم القضاء وتحددت اختصاصاته، كما نظمت ولاية المظالم، وتحددت اختصاصاتها، وهكذا أصبحت ولاية المظالم تجمع بين خصائص القضاء والتنفيذ معا، ولذلك لا يسمى من يتولها قاضيا بل بسمى صاحب المظالم أو ناظر المظالم[١٨٦] .

وكان السبب فى ظهور ذلك هو تضخم ظروف الحياة فى الخلافة الإسلامية ويعتبر هذا النظام من أعظم أمور القضاء لأنه يمكن المتخاصمين من اللجوء إليه فى حالة التظلم من حكم أصدره القاضى وخلال عهد الرسولﷺ لم تدع الحاجة إلى النظر فى المظالم، وكذلك خلال عهد الخلفاء الراشدين، لأن الوازع الدينى فى عهدهم كان له سلطان على نفوس المسلمين حيث لم ينتدب أحد من الخلفاء الراشدين للمظالم، وكان أول من نظر فيها هو عبد الملك بن مروان حيث جعل يوما يتصفح فيه قصص المتظالمين، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يقوم بنفسه للنظر فى المظالم ورد الحقوق لأصحابها، كما جلس لها من الخلفاء العباسيين الخليفة المهدى، والهادى، وهارون الرشيد، والمأمون والخلفاء من بعدهم[١٨٧] ونشأ ديوان خاص للنظر فى المظالم خلال العصر العباسى، كان بمثابة هيئة تحكيم أو محكمة استئناف يلجأ إليها المتخاصمون عند اعتراضهم على حكم أصدره القاضى .

وكان مقر نظر المظالم هو مقر الخليفة فى العاصمة، ويكون عادة فى القصر أو أثناء سيره فى المواكب، فعلى سبيل المثال كان ناظر المظالم فى القصر الفاطمى يجلس فى مكان خاص بقصرهم يعرف بباب الذهب[١٨٨] .

ويذكر الماوردى أن مجلس والى المظالم لا يستغنى عن خمسة أصناف ولا ينتظم نظره إلا بهم، وهذه الأصناف هى :-

١- الحماة والأعوان : لتنظيم المجلس وحمايته ٠

٢- القضاة والحكام : لاستعلام ما يثبت عندهم من الحقوق ومعرفة ما يجرى فى مجالسهم بين الخصوم ٠

٣- الفقهاء : ليرجع إليهم فيما أشكل ويسألهم عما اشتبه وأعضل ٠

٤- الكتاب : ليثبتوا ما جرى بين الخصوم وما لهم وما عليهم من حقوق ٠

٥- الشهود[١٨٩] ٠

وفيما يتعلق باختصاصات قضاة المظالم فهى الفصل فى النزاع بين الناس والدولة أو أحد أفراد موظفيها فى أى عمل من أعمالها سواء كان فى الحكم أم الإدارة أو فى غيرها، وقد فصل الماوردى هذه الاختصاصات بالآتى :

- تعدى الولاة على الرعية ٠
- جور العمال فى جباية الأموال من الرعية ٠
- التظلمات المتعلقة بالميزانية وقضايا الدخل والخرج منها ٠
- تظلمات الموظفين فى رواتبهم من نقص أو تأخير فى تسليمها ٠
- رد الغصوب التى استولى عليها ذوى السلطان والأيدى القوية ٠
- تنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه فى ميدان الأحكام والحسبة والعبادات الظاهرة
- النظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة فى مصالح العامة ٠
- مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع، والأعياد، والحج والجهاد ٠
- النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين[١٩٠] ٠

ويشترط فيمن يتولى قضاء المظالم أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، وله من علو اليد وعظيم الرهبة ما يقمع به الظالم ويمنعه عن التغلب والتجاذب[١٩١]، لأنه يحتاج فى نظره إلى سطوة الحكام، وثبات القضاة، فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر فى الجهتين ٠

الحسبة :

الحسبة نظام إسلامي قديم قدم الإسلام وتطور بتطور الحضارة الإسلامية، وصار له قواعد وقوانين شملت معظم مناحى الحياة، وأساس هذا النظام هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهذا الأساس له سند شرعى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[١٩٢] .

ويجب الأمر بالمعروف إذا ظهر فى المجتمع تركه، وكذلك النهى عن المنكر إذا ظهر فعله، ولذا فإن نظام الحسبة مبنى على الشدة والسرعة فى الفصل[١٩٣] ولذا ما لبث نظام الحسبة أن تطور وتعدى ذلك، إلى واجبات عملية تتفق ومصالح المجتمع وبخاصة سكان المدن حيث كان معظمهم من أرباب الحرف والتجارة .

وهذا النظام باشره الرسولﷺ بنفسه، حيث كانت أقواله وأفعاله مليئة بنهيه عن المنكر وبأمره بالمعروف حيث نهى عن عبادة الأوثان وأمر بعبادة الله الواحد الأحد، كما نهى عن أكل الربا، ونهاهم عن بيع المعدوم، وهو بيع الشئ قبل أن يكون أمام المشترى، ونهى عن أشياء عديدة كانت منتشرة فى المجتمع[١٩٤] .

وكانﷺ يمر فى الأسواق ويتفقد حال السلع ومدى سلامتها، حتى أنه رأى بعض السلع وقد أصابها التلف وصاحبها يغش بها الناس، فقالﷺ " **من غشنا فليس منا** " وأن الغاش ليس بمؤمن .

وقالﷺ: "إياكم والجلوس فى الطرقات"، كما نهى القرآن الكريم عن التطفيف فى الموازين والمكاييل، ونهى الرسولﷺ عن الاحتكار والتسعير [١٩٥]

عن أبى سعيد الخدرى أن الرسولﷺ نهى عن المنابذة، وهى طرح الرجل ثوبه بالبيع إلى الرجل قبل أن يقلبه أو ينظر إليه، ونهى عن الملامسة، والملامسة لمس الرجل الثوب لا لينظر إليه .

ومن وسائل الرسولﷺ فى حفظ حقوق العاملين وزجره عن استغلال جهلهم بحال الأسواق والأسعار، أنه منع تلقى الركبان وبيع الحاضر للبادى – للسمسار – وبيع الرجل على بيع أخيه[١٩٦] .

وقد سار الخلفاء الراشدون على نهج الرسولﷺ فى إقامة الحسبة بين الناس، وقد روى أن عمر بن الخطاب ضرب جمالا وقال له حملت جملك ما لا يطيق وروى أنه حرق بيت الرويشد الثقفى لأنه كان يبيع الخمر، وقال له أنت فويسق ولست برويشد.

وفى العصر الأموى اتسعت الدولة الإسلامية وكثرت مشاكلها وشغل الخلفاء بالأمور الإدارية فأخذوا يعينون من يقومون بعمل الحسبة، ، ويدعى المحتسب، وأصبح نظام الحسبة فى العصر الأموى له جهاز كبير يتبعه كثير من الموظفين يعاونون المحتسب(١٩٧) .

وقد اشترط الفقهاء فى المحتسب عدة شروط هى أن يكون مسلما، حرا، بالغا، عاقلا، قادرا والشرط الأخير مهم لأن الحسبة موضوعه للرهبة، وأن يكون عالم بالمنكرات الظاهرة(١٩٨) .

ومن صفات المحتسب :-

- يجب أن يكون بارعا فى الاجتهاد .
- وأن يعمل بما يعلم ولا يكون قوله مخالفا لفعله حتى لا يتعرض لسخرية الناس من ناحية وتكون دعوته مقبولة من ناحية أخرى لأنه لا يجوز أن يدعوا لشئ يفقده(١٩٩)، وأيضا ليتجنب قول الله تعالى فى ذم مثل هذا ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُم**﴾"(٢٠٠) .
- كما اشترط أن يكون مرتب المحتسب من بيت المال، وكان له زى مميز، حيث كان يرتدى زى العلماء(٢٠١) .

مهام المحتسب :

كانت المهام الداخلة تحت وظيفة المحتسب عديدة والجهات الموكلة إلى نظرة كثيرة ولذلك كان يتخذ الأعوان للوفاء بعمله والقدرة على القيام به، وكان من جملة الأعمال التى ينظر فيها ما يلى :

مهام المحتسب الاقتصادية :

كان من مهام المحتسب الاقتصادية إشرافه على أصحاب الحرف والمهن التى تتعلق بالمجال الاقتصادي فكان يراقب عملية صنع الخبز حيث كان له دفتر خاص يسمى "دفتر المحتسب" يسجل فيه أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم، وكان يخصص لكل

حانوت من هذه الحوانيت كمية معينة من الدقيق كل يوم لئلا يختل اقتصاد البلد من قلة الخبز ويلزمهم بذلك[٢٠٢] .

وكان المحتسب يزن الخبز حيث كان له وزنا معلوما، وكان يلزم الفرانين بألا يخرجوا الخبز من بيت النار إلا بعد تمام نضجه[٢٠٣] .

وكان يأمر الجزارين بعدم ذبح الحوامل من البقر وأن توضع ذيول الماعز معلقة فوق لحومها حتى يعرف الناس نوع اللحوم التى يشترونها، وعلى الجزارين ذبح الحيوانات فى المذابح لا على أبواب دكاكينهم لئلا تتلوث الطريق بالدم والروث[٢٠٤]، وكان يقوم بحملات تفتيشية على المطاعم والشوانين والطباخين والعطارين والنحاسين والحدادين والسقائين، والخياطين والبزازين للاطمئنان على عملهم والتأكد أن أحدا لم يرتكب أية مخالفة، فإذا عثر على شئ من ذلك كان عليه أن يمنعه فى الحال[٢٠٥] .

وكان يقوم بترتيب وتنظيم الصناعات المختلفة من خلال إقامة كل صنعة فى مكان خاص بها، وكان الهدف من ذلك هو تسهيل عملية الإشراف عليها ومراقبة ما يتم فيها من صناعات، ولكى لا تتلف صنعة أخرى[٢٠٦] .

وكان المحتسب يتأكد من الدراهم والدنانير المتداولة فى الأسواق وأنها غير مزورة ومختومة بخاتم السلطان ، وكان يراقب المكاييل والموازين المتداولة فى الأسواق ويمنع الإحتكار، ويذكر البائعين بعدم خلط البضاعة الرديئة بالجيدة، وكان يمنع الكبوديين – بائعى الكبده – من خلط كبود الماعز أو البقر بكبود الضأن ومن خلط البائت بالطازج، وألا يخلطوا لحوم الإبل بلحوم البقر[٢٠٧] .

ولكى يتمكن المحتسب من أداء مهامه الاقتصادية كان يختار لكل صنعة عريفا من بين أفرادها يشرف على أحوال طائفته، ويطلع على أخبارهم وحيلهم وطرق غشهم حتى يتسنى له مراقبتهم .

مهام المحتسب الاجتماعية :

كان المحتسب وأعوانه يشرفون على أخلاق أفراد المجتمع وكان يحرص على توفر الأمانة والأخلاق الحسنة بينهم، وكذلك اتباع سلوك حميد والظهور بالمظهر اللائق[٢٠٨] .

فكان من واجباته الاجتماعية الإشراف على الآداب العامة ومنع اختلاط الرجال بالنساء فى المتنزهات والأسواق والطرقات وغيرها، كما كان يمنع الناس من التطلع على جيرانهم من النوافذ والأبواب أو من على السطوح[٢٠٩] وكان يراقب الحمامات العامة، ويحافظ على الآداب والأخلاق الحسنة بها، وكان يمنع النساء من الجلوس على أبواب الحوانيت خاصة حوانيت القطانين والكتانين، وراقب النساء فى الأفراح، وكذلك فى الجنائز والمآتم وسلوكهن وسيرهن فى الطرقات والملابس التى كانت ترتديها النساء[٢١٠] .

مهام المحتسب الدينية :

ومن مهام المحتسب الدينية إقامة الشرع وإحياء السنة، فكان يطبق الأحكام على من يفطر فى نهار رمضان، وعلى المطلقات اللآئى لا يراعين العدة قبل زواجهن للمرة الثانية[٢١١]، وحرص أن تسير الجنازة وفقا لما نصت عليه الشريعة الإسلامية، وكان يمنع النساء من تتبع الجنائز وكشف وجوههن ورؤوسهن[٢١٢] وكان يهتم بأمر المساجد من حيث عمارتها وتنظيفها وحفظ الأمن بداخلها، كان يأمر الأئمة فى المساجد بعدم الإطالة فى الصلاة[٢١٣] .

وكان يختار مؤذن المسجد واشترط منه أن يكون ذكرا مسلما عاقلا وكان يختبرهم فى الأوقات، وكان ينهى عن التغنى فى الآذان وكذلك التطويل[٢١٤] .

وكان يمتحن الوعاظ والقراء، ولا يجوز أن يعمل بالوعظ إلا من كان عالما بالعلوم الشرعية حافظا لكتاب الله، والأحاديث النبوية الشريفة، وأن يكون صالحا فاضلا ذا سيرة محمودة بين الناس[٢١٥] .

وكان يحث الناس على أداء الصلوات الخمس فى مواقيتها وأداء الأمانة وكان يشرف على أهل الذمة ويأمرهم باتخاذ الخيار، ومنعهم من ركوب الخيل والبغال والحمير وألا يركبوا شيئا من المراكب المحلاة وأن يكون فى أعناق النصارى الصلبان واليهود الجلاجل إذا دخلوا الحمام[٢١٦]، وشدد على الخمارين وطارد السكارى وعاقب المخالفين .

مهام المحتسب الصحية :

كان المحتسب يشرف على أداء عمل الأطباء والكحالين والمجبرين وغيرهم من أصحاب الحرف التى لها علاقة بصحة الإنسان، وكان يشترط عليهم خاصة أو يعقد لهم

اختبارات فمن ثبت كفاءته سمح له بممارسة المهنة وأعطى تصريحا بذلك من العريف الخاص وكان يراقب عملية صنع الخبز فيطلب من العجانين استعمال أوعية للماء نظيفة وذات غطاء وغسل المعاجين قبل استعمالها وأن يكون العجان ملثما أثناء عمله، وأن يشد عصابة فوق جبينه تمنع تساقط العرق منه، ويحلق شعر ذراعية حتى لا يسقط شئ منه فى العجين، وأن ينخل العجان الدقيق قبل عجنه، ويكلف شخصا آخر بطرد الذباب بمذبة يمسكها بيده، ويأمر الفرانين بإصلاح المداخن وتنظيف بلاط الفرن بالكنس من بقايا الخبز المحترقة، وكان يراقب السقائين ويأمرهم بجلب المياه من داخل البحر حتى يبعد عن مواضع الأوساخ ويأمرهم بنظافة قربهم وتغطيتها وكيزان الشرب التى اشترط فيها عدم استخدام كيزان المجزوم والأبرص[٢١٧] .

ومن مهام المحتسب الصحية إشرافه على الحمامات وتفقدها كل يوم وكان يأمر ضامن الحمام بنظافته وكنسه وغسله بالماء النظيف بالأشياء الخشنة لئلا يتعلق بها الأوساخ والصابون[٢١٨] .

وكان يشرف على الباعة الجائلين ويأمرهم بتغطية الأطعمة من الذباب والحوام، وأن يغسلوا أطيافهم بالماء النظيف[٢١٩] .

وكان للمحتسب سلطة تنفيذية مفوضة إلى رأيه، وهو ما عرف بالتعزير، الذى هو نوع من العقاب لم يقرره القرآن الكريم، وكان يستعين فى تنفيذه بالأعوان[٢٢٠] وشمل التعزير عدة أنواع منه : الردع بالقضاء على شئ محرم، والتوبيخ بالقول أو الضرب، بالسوط المتوسط أو الغليظ، أو بالدره وهى من جلد البقر أو الجمل .

– ومن التعزير أيضا النفى من البلد، والتشهير أو التجريس[٢٢١] .

وبعد دراسة الحسبة والمحتسب نجد أن الهدف من الحسبة أمر دينى يقضى بالمحافظة على حياة الناس، وابتغاء مرضاة الله فى جميع تصرفاتهم، وكان يقوم بذلك المحتسب الذى تطورت وظيفته واتسعت مهامه، فكان ينظر فى أحوال الرعية، وكشف أحوال الأسواق، ومنع التجار من الغش والاحتكار، وكذلك مراقبة صانعى الأطعمة مثل الخبز واللحوم والحلويات ومراقبة السقائين، والإشراف على المساجد والتدقيق فى اختيار الأئمة والوعاظ والمؤذنين وغيرها من الأمور التى ذكرناها، وهكذا كانت الحسبة والمحتسب

فى الحضارة الإسلامية نظاما متكاملا يشرف على شتى مناحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والصحية .

الشرطة :

الشرطة[٢٢٢] وهى وظيفة من وظائف السيف وموضوعها تنفيذ العقوبات وبعد الفتح الإسلامى امتدت أطراف الدولة الإسلامية إداريا، وأنشئت الدواوين وبيت المال، وبعد زيادة الخراج أصبحت المدينة فى حاجة ماسة إلى حراسة ليلية مستمرة، فخصص أمير المؤمنين عمر بن الخطابﷺ لهذه المهمة بعض الرجال الذين يتناوبون الحراسة فيما بينهم فى نوبات ودوريات متبادلة، وسمى هؤلاء بالشرطة لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها[٢٢٣] .

وكانت وظيفة الشرطة هى توفير الأمن والأمان للمواطنين، وحراسة مؤسسات الدولة العامة، وأطلق على الرجال الذين يقومون بهذه المهمة اسم العسس وذلك خلال عهد الخليفة عمر بن الخطابﷺ[٢٢٤] .

وكان الخليفة عثمان بن عفانﷺ أول من اتخذ صاحب شرطة، وكان على الشرطة فى عهده عبد الله بن قنفذ التميمى القرشى، غير أنه لم يكن يسير بين يدى عثمان بن عفانﷺ بحربة، ولم تكن هناك جماعة للشرطة[٢٢٥] فكان عبد الله بن قنفذ على الفساد وتتبع الجناة والمفسدين فقط .

واتخذ الخليفة على بن أبى طالبﷺ فى الكوفة صاحب شرطة هو معقل بن قيس الرباحى، وقيل أن الشرطة نظمت تنظيما متميزا فى عهد على بن أبى طالبﷺ، أو فى عهد بنى أمية[٢٢٦] .

وكان الولاة على الأمصار يتخذون صاحب شرطة لهم، فكان للوالى فى أغلب الأحيان حق تعيين صاحب الشرطة على أنه كان بمثابة نائب الوالى حيث كان ينوب عنه فى إدارة البلاد أثناء غيابه للحج أو الحرب، كما كان ينوب عنه أيضا فى إقامة الصلاة[٢٢٧] .

وكان الخلفاء يتدخلون فى بعض الأحيان فى تعيين أصحاب الشرطة ولجأ بعضهم إلى تعيين صاحب الشرطة فى منصب الوالى بعد تنحية الوالى أو وفاته، وهذا بطبيعة الحال راجعا إلى تمرس أصحاب الشرطة فى الحكم(٢٢٨) .

ومثال للولاة الذين كانوا يتخذون صاحب شرطة والى البصرة زياد بن أبيه والذى احتاج إلى زيادة عدد الشرطة فيها للقضاء على المفسدين وأهل العبث فى النهار والليل بسبب الحرب التى كانت قد اشتعلت من سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م وحتى سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م، وكان زياد قد اتخذ رجلين ولاهما أمر الشرطة وكان يسيران بين يديه بالحربة ولما تنازعا ذات يوم أعفى أحدهما وثبت الأخر(٢٢٩) .

وكان لأبى جعفر المنصور صاحب شرطة على العدوى – المفاسد – وصاحب شرطة للحربة أى يكون ملازما للخليفة ويسير بين يديه(٢٣٠) .

وخلال عهد المأمون عرفت الشرطة نظام المباحث حيث كان له عدد من النسوة العجائز يأتونه كل مساء بأخبار اللصوص وقطاع الطرق والمعارضين السياسيين(٢٣١) .

وبعدما كان رئيس جهز الشرطة يسمى فى خلافة بنى أمية "**صاحب الأحداث**" سمى فى العصر العباسى " **صاحب الشرطة**" وفى دولة الترك عرف باسم "**والى الشرطة**" (٢٣٢)، وكان يطلق عليه فى الأندلس اسم " **صاحب المدينة**" واسم الحاكم فى بلاد أفريقية .

مهام صاحب الشرطة :

كانوا يساعدون الولاة فى مهامهم بجانب مساعدة القضاة فى تنفيذه أحكامهم هذا بجانب تنفيذ العقوبات التى كانت تفرض على بعض المخالفين والمذنبين من قبل المحتسب .

كانوا يحافظون على الأمن الداخلى بمنع وقوع الجرائم والقبض على الجناة وإقامة الحدود عليهم(٢٣٣) وتنفيذ عقوبات السجن وغيرها .

- ومن مهامهم نشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق الفاضلة ومنع الفساد(٢٣٤)
- وأسندت إليهم بعض المهام الأخرى بجانب الحراسة ومنع الفساد حيث كانوا يساهمون فى إطفاء الحرائق، وتحصيل الجزية وإصدار الدنانير(٢٣٥) .

- وأيضا الإشراف على السجون ومراقبة أسوار المدن وأبوابها، هذا وكان للشرطة زى خاص وأسلحة خاصة شملت الحربة والطبرزين – وهى عبارة عن سكين طويلة أو بلطة يعلقها فى وسطه، والسوط الذى كان يصنع من الجلد ٠

السجون وأحوالها :

ظهرت السجون فى عهد عمر بن الخطاب ﷺ ولكنها نظمت فى عهد عمر بن عبد العزيز الذى أوجد لها ديوانا يشرف عليها، وأمر بإعطاء المسجونين رزق الصيف والشتاء وكسوة الشتاء والصيف، والعناية بمرضاهم، وألا يفيد أحد فى المحابس بقيد يمنعه من الصلاة، والفصل بين فئات المسجونين بين من يسجن فى دين ومن يسجن فى جريمة، وجعل للنساء حبسا على حدة ٠

بينما تذكر سجون الحجاج فى العراق بعدم ملاءمتها للصحة العامة والقسوة فى معاملة المساجين[٢٣٦] ٠

وكانت السجون فى مصر خلال العصر الفاطمى سيئة للغاية، حيث يصفها المقريزى بقوله "كلها شنيع المنظر والمخبر، كلها موحش قذر وضيق، يشم المار بقربه رائحة كريهة، ويسمع صراخ المساجين وشكواهم الجوع والعرى، والقمل وشدة الظلام وكثرة الوطاويط، أى أن الداخل إليها مفقود والخارج منها مولود"[٢٣٧] ٠

ويعد حبس المعونة أقدم السجون الفاطمية بمصر (الفسطاط) اتخذه يانس الصقلى أحد ولاة الشرطة سجنا سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م بعدما كان دارا للشرطة، وأنشأ المستنصر بالله سجنا بخزانة البنود لأرباب الجرائم السياسية من الوزراء والأمراء والأعيان[٢٣٨] ٠

الدواوين :

الديوان : موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال ٠

اختلفت فى أصل كلمة ديوان فقيل أنها ترجع إلى العربية ومعناها الأصلى الذى يرجع إليه ويعمل بما جاء فيه، ومنه قول ابن العباس : إذ سألتمونى عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب[٢٣٩]، ويقال دونته أى أثبته ٠

ويطلق الديوان على مجتمع الصحف أو الكتاب أو السجل أو الدفتر الذى يكتب فيه أسماء المقاتلين ومقدار ما خصص لهم من عطاء وأرزاق كما صار يطلق على المكان الذى يجلس فيه الكتاب وتحفظ فيه السجلات[٢٤٠] .

نشأة الدواوين :

لم يفرض الرسولﷺ، ولا أبو بكر الصديقﷺ للمسلمين عطاء مقررا، ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة لهم، وإذا ورد إلى المدينة ما من بعض البلاد، أحضر إلى الرسولﷺ وفرق فيهم حسب ما يراه، وجرى الأمر على ذلك فى خلافة أبو بكرﷺ .

يذكر الماوردى الدواوين كان فى المحرم سنة ١٠هـ[٢٤١]، وبالطبع هذا ليس صحيح لأن عمر بن الخطابﷺ تولى الحكم من سنة (٢٣-١٣هـ / ٦٣٤-٦٤٤م) وقد تباينت الروايات حول تاريخ وضع الديوان حيث ذكر كل من ابن الأثير[٢٤٢] والطبرى[٢٤٣] أن الخليفة عمرﷺ دون الدواوين سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م بينما ذكر البلاذرى[٢٤٤] والنويرى[٢٤٥] وابن خلدون[٢٤٦] أن سنة تدوين الدواوين هى سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م والمرجح أن الرواية الأخيرة هى الأقرب إلى الصحيح، أما الرواية التى تشير إلى أن البداية كانت فى سنة ١٥هـ / ٦٣٦م فيبدوا أن الخليفة بدأ بالفعل فى التفكير بتدوين الدواوين، وجرت المشاورات واستغرقت وقتا طويلا حتى كانت سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م أصبح الديوان قائما .

فلما كانت سنة ١٥هـ / ٦٣٦م خلال خلافة عمر بن الخطابﷺ رأى أن الفتوح قد توالت وأن الأموال قد زادت، فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال، ولم يكن يعرف كيف يضبط ذلك فأشار عليه جماعة من الفرس المسلمين بالأخذ بنظام الدواوين عن الدولة الفارسية[٢٤٧] .

وفطن الخليفة عمر بن الخطابﷺ لذلك وكان أول من وضع الدواوين ورتبها من العرب فى الإسلام[٢٤٨] وكان الديوان الذى وضعه هو "ديوان الجند" ولكنه كان يعرف باسم الديوان فقط لأنه الديوان الوحيد فى المدينة، حاضرة الدولة الإسلامية آنذاك[٢٤٩] وكانت هناك دواوين مماثلة فى الأمصار مثل البصرة والكوفة والشام ومصر وغيرها، ورأى الخليفة عمر أن يجعل العطاء على حسب السبق فى الإسلام، ثم استخدم الكتاب فى الدواوين،

وهم رجال مدنيون من أرباب الأقلام، وكان معظمهم من أهالى البلاد المفتوحة، وظلت تستخدم فيها لغات غير العربية، فكان ديوان الشام بالسريانية أو باليونانية، وديوان مصر بالقبطية وديوان فارس والعراق بالفارسية[٢٥٠] ٠

تعريب الدواوين :

كانت لغة الدواوين حتى عهد عبد الملك بن مروان فى العراق فارسية وفى الشام الرومية، ومصر اليونانية[٢٥١] وكان سرجون ابن منصور يتولى ديوان الشام فأمره عبد الملك يوما فتثاقل عنه وتوانى فيه، فعاد لطلبه وحثه عليه، فرأى منه تفريطا وتقصيرا ٠ فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والى الأردن، وكان يتولى له ديوان الرسائل، أن ينقل ديوان الشام إلى العربية وقد أتم سليمان التعريب فى سنة واحدة[٢٥٢] وكان ذلك سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م ٠

أما ديوان العراق فقد أمر الحجاج بن يوسف الثقفى سنة ٧٨هـ/ ٦٩٧م كاتبة صالح بن عبد الرحمن مولى بنى سعد، وكان يكتب بالعربية والفارسية[٢٥٣] أن يقوم بتعريب الدواوين ففعل ٠

أما ديوان مصر فقد نقل إلى العربية سنة ٨٧هـ/٧٠٥م وذلك بأمر من أميرها عبد الله ابن عبد الملك بن مروان فى خلافة الوليد بن عبد الملك، فصرف عبد الله بن انتناش (القبطى) وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص[٢٥٤] ٠

وكان هناك ديوان خراج فى خراسان وتم تعريبة سنة ١٢٤هـ/ ٧٤٢م فى ولاية نصر ابن سيار من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك[٢٥٥] ٠

أثر تعريب الدواوين :

كان لتعريب الدواوين أثر مزدوج من الناحيتين السياسية والأدبية، فمن الناحية السياسية أصبحت لغة الدواوين هى اللغة العربية مما ساعد على تقلص نفوذ أهل الذمة، والمسلمين من غير العرب، ومن الناحية الأدبية أصبحت اللغة العربية لغة التدوين فنقل إليها الكثير من الاصطلاحات الفارسية والرومية وابتدأت تظهر طبقة الكتاب منذ ذلك الوقت ٠

وخلال العصر العباسى أصبح لموظفى الدواوين مكانة كبيرة، حيث كانت لهم علامات تميزهم عن غيرهم من رجال الدولة، مثل الدواة والكرسى، والمخدة والمسند والمرتبة[٢٥٦] وهى أدوات تستخدم فى الكتابة والجلوس فى الديوان، وكانوا يتميزون فى ملابسهم بعمائم كبيرة تتفاوت فى ضخامتها حسب مراتبهم، وكان يطلق عليهم أصحاب العمائم[٢٥٧] .

ويذكر قدامة بن جعفر أنه خلال العصر العباسى كان هناك مجلسين لديوان الجيش هما مجلس التقرير ويجرى فيه أمر استحقاقات الرجال، وتقدير أرزاقهم، والثانى مجلس المقابلة ويختص بالسجلات وتصفح الأسماء[٢٥٨] .

وكان ديوان الجيش فى العصر الفاطمى يتألف من قسمين هما : الأول ديوان الجيش ويتولى تصفح أحوال الجند فمن نجح منهم عرضت دوابه فكان لا يثبت بالديوان إلا الجيد، والثانى ديوان الرواتب ويشمل أسماء كل مرتزق، ويشمل راتب الوزير، وحواشى الخليفة وأرباب الرتب وقاضى القضاة ومن يليه وداعى الدعاة وقراء الحضرة، وخطباء المساجد، والشعراء، ورجال الدواوين، والمستخدمين فى القصور السلطانية وغيرهم[٢٥٩] .

وكان عمل الدواوين عموما يتلخص فى الإدارة المركزية، والإدارة المحلية، تشمل الإدارة المركزية التراسل وشئون المال وتشمل الثانية إدارة الولايات .

ديوان الخاتم :

كان معاوية بن أبى سفيان أول من اتخذ ديوان الخاتم وذلك على أثر التزوير الذى وقع فى إحدى رسائله إلى بعض ولاته[٢٦٠] وقد عرف الختم على الرسائل والصكوك من قبل الإسلام، وقيل كان للأكاسرة أربعة خواتيم .

فكان على خاتم الحرب والشرط "**الأناة**".

وعلى خاتم الخراج والعمارة "**التأييد**".

وعلى خاتم البريد "**الوحاء**".

وعلى خاتم المظالم "**العدل**"[٢٦١] .

واتخذ الرسولﷺ خاتما من فضة ونقش فيه "**محمد رسول الله** " وكان يختم به الكتب التى كان يبعث بها إلى الملوك والرؤساء، وختم الخلفاء من بعده حتى سقط من يد

عثمان بن عفان ﷺ فى بئر أريس، فصنع عثمان آخر على أمثاله[٢٦٢] فلما كان عهد معاوية رتب وظيفته واتخذ له الديوان، واتخذ كل خليفة من بعد نقشا خاصا لخاتمة، وكانت الكتب الموجهة من دار الخلافة تمر به وتثبت فيه، وتختم بخاتم الخليفة فعلى سبيل المثال نقش الخليفة المأمون خاتمة "**الموت حق**" [٢٦٣] وذلك بعد أن تكون قد مرت على دواوين عدة، وتم التأكد من صحتها[٢٦٤]، وبلغ من أهمية الخاتم أنه كان الوزير فى العصر العباسى إذا تناوله ليختم به كتابا وقف تعظيما للخلافة وإجلالا لاسم الخليفة[٢٦٥] واستمر هذا الديوان إلى أواسط العصر العباسى ثم ألغى لتحول الأعمال إلى نظر السلاطين[٢٦٦] .

ديوان الرسائل :

يبدوا أن تنظيم هذه الوظيفة وترتيب ديوان لها تم فى خلافة عبد الملك بن مروان[٢٦٧] وعرف ديوان الرسائل باسم ديوان الإنشاء[٢٦٨] منذ أخريات الدولة العباسية، وعرف باسم ديوان الإنشاء فى الدولة الفاطمية أيضا .

وكان ديوان الرسائل من الدواوين الجليلة فى الدولة وكان من يتولاه يتمتع بحظوة متقدمة عند الخليفة، وكان يخاطب فى عهد الفاطميين بالشيخ الأجل ويقال له كاتب الدست الشريف، وتسلم إليه المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة، ويأمر بالإجابة عنها، وكان الخليفة يستشير رئيس ديوان الإنشاء فى أكثر الأمور، ولا يحجب عنه متى أراد المثول بين يدى الخليفة[٢٦٩] .

وقد أصبح عمل هذا الديوان معقدا، فتعددت اختصاصاته وكثر من يعملون فيه، فقد وجد فيه كتاب رئيسيون يقومون بالكتابة والإنشاء، وآخرون مساعدون يقومون بالتلخيص والتبييض، وكان لابد للعاملين فيه من إتقان اللغة العربية، ومعرفة اللغات الأخرى مثل التركية والفارسية، واليونانية والأرمنية، وكان به أرشيف توضع فيه أصول كل ما يصدر عنه وله مشرف خاص يسمى "الخازن"[٢٧٠] .

ديوان البريد :

البريد هو تبليغ إجراءات ولاة الأمر إلى الأطراف، وتوصيل الترتيبات المتعلقة بهذه الأطراف إليها ونقل أخبار هذه الأطراف وحاجاتها إلى ولاة الأمر، ومن ثم الوقوف على

مجريات الأمور والأحداث فى الدولة[٢٧١]، بمعنى نقل الأوامر الصادرة من الخليفة إلى عماله فى الولايات وإرسال كتب الولاة إلى الخليفة.

قيل فى أصل لفظ البريد أنه فارسى، وهو بريده دم، وقيل بريده ذنب، أى مقصوص الذنب، لأنه كان من عادة ملوك الفرس أنهم إذا أقاموا بغلا فى البريد قصوا ذنبه ليكون ذلك علامة لكونه من بغال البريد .

وعربت الكلمة وخففت وسميت دابة البريد : بريدا، والرسول الذى يركبها بريدا، والمسافة ما بين السكنين أى المحطتين بريدا، وقدرت هذه المسافة بنحو أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال، أى أن مسافة البريد اثنا عشر ميلا [٢٧٢] وتعادل ٨٦٤٠٠٠ ذراع هاشمى، أو ٥١٨٤٠٠٠ شعيرة معترضة ظهر إحداهما لبطن الأخرى[٢٧٣] .

كان البريد سنة قديمة وأسلوب متبعا فى عهد الأكاسرة من ملوك الفرس والقياصرة من ملوك الروم وبدأ البريد بهذا منذ عهد الرسولﷺ ومن المهام التى أداها البريد زمن الرسول تلك السفارات التى بعثهاﷺ إلى أكابر الملوك والأمراء كانت مهمتها جميعا هى الدعوة للإسلام، ومثال لذلك البعثات، إلى كسرى، وأمير البحرين وأمير عمان، وإلى قيصر، وإلى المقوقس، وإلى النجاشى وغيرهم، وهذه البعثات كانت أول عمل قام به ديوان البريد[٢٧٤] .

وبلغ من اهتمام الرسولﷺ بالبريد أنه أمر عناله أن يبردوا له البريد مع أناس يتوافر فيهم حسن الوجه وجمال الخلقة، وكانﷺ حريصا على توافر تلك الصفات فى من بعثهم إلى الملوك المعاصرين له، وذلك لعلمه بأن المبعوث إنما هو لسان مترجم لرغباته وآرائه، وإذا لم يكن كذلك خسر مهمته ورجع على مرسله بالخسران المبين[٢٧٥].

ومن نواحى اهتمام الرسولﷺ بالبريد أنه اتخذ الخاتم وختم به أبو بكر وعمر وعثمان من بعده، وسبب اتخاذ الخاتم أنه قيل أن العجم لا يقبلون كتابا إلا أن يكون مختوما، لأنهم يرون ختم الكتب تعظيما للمكتوب إليه[٢٧٦] .

ومنذ عهد الرسولﷺ كانت أخبار الجيوش الإسلامية فى ميادين القتال، وأحوال الأمور فى الولايات تصل إلى ولاة الأمر فى حاضرة الدولة باستمرار، وكانت توجيهات ولاة الأمر تصل الأمصار، والاتصال بين الجانبين لا ينقطع[٢٧٧]

البريد زمن الراشدين :

ورث أبو بكر الصديقﷺ البريد عن الرسولﷺ وذلك لكثرة الفتوحات، وقيام حركة الردة مما جعل الأمر يستلزم الإبقاء على نظام البريد والاهتمام به، وكان البريد يخرج من المدينة إلى ميادين القتال، وقد حرص الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على إرسال البريد إلى عماله يأمرهم بإعلان الناس عن مواعيد خروج البريد إلى المدينة[٢٧٨] وحافظ عثمان بن عفانﷺ على نظام البريد حيث كان يستقصى الأخبار وهو فى المسجد وكان يفعل ذلك يوم الجمعة على وجه الخصوص[٢٧٩] .

بريد الأمويين :

لما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبى سفيان واتخذ من دمشق عاصمة للدولة الإسلامية، أنشأ ديوان الخاتم لتنظيم البريد، وأمر بإحضار الدهاقين من الفرس، وأهل عمال الروم وعرفهم ما يريد فوضعوا له البريد[٢٨٠] وبذلك كان معاوية أول من وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة[٢٨١] وفى خلافة عبد الملك بن مروان حظى البريد بمزيد من العناية والتنظيم[٢٨٢] وخص لديوانه رجلا من ثقاته الأوفياء هو قبيصة بن ذؤيب كان يقرأ الكتب الواردة من الأقاليم ويخبر عبد الملك بما جاء فيها[٢٨٣] .

ثم يأتى من بعده ابنه الوليد الذى زاد من مهام البريد حيث جعل خيله وابله تحمل الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق ليبطن بها حوائط المسجد الجامع بدمشق، ومساجد مكة، والمدينة والقدس الشريف[٢٨٤] واهتم عمر بن عبد العزيز بإنشاء خانات للبريد على جوانب الطرق الرئيسية خصوصا بطريق خرسان ليبيت فيها الناس، وأمكنة يقيم فيها الدواب من خيل وجمال، ومياه فى الأحواض للشرب[٢٨٥] .

البريد العباسى :

اهتم المهدى بالبريد حيث أقام طريق للبريد بين مكة والمدينة واليمن ولم يكم هناك بريد قبل ذلك، ولم يكتف المهدى بذلك بل اهتم بطريق البريد ومنازله وأقام فيها البغال والإبل[٢٨٦] .

واستخدم الخلفاء العباسيون البريد كوسيلة من وسائل استتاب الأمن وقمع الثورات، ولما آلت الخلافة إلى هارون الرشيد أشار عليه يحى بن خالد البرمكى بإجراء البريد

والاهتمام به، وبين له فوائده والمزايا التى تجنيها الدولة من العناية به، فأمره الرشيد بإقراره، وكان يحى خير من يضع الأمور فى نصابها فصب نظام البريد فى قالب جديد وجعل له المراكز والبغال وكان لا يجهز عليه إلا الرشيد أو صاحب الخبر[٢٨٧] وظهرت أهمية البريد خلال عصر الأمين والمأمون وذلك من بغداد إلى خرسان[٢٨٨] .

والبريد فى تاريخ الحكم الإسلامى شمل ثلاثة أنواع هى :

الأول : البريد البرى :

وكانت طرقه تمتد من عاصمة الدولة نحو الأمصار، وتنتشر على هذه الطرق منازل أو محطات للبريد، هذه المحطة فى الغالب تتألف من خان ومسجد وسقاية، وفيها دواب البريد ومن يتعدها بالخدمة والعناية [٢٨٩]، وكانت دواب البريد تضم البغال والخيل والإبل، وكانت معلمه بعلامات مميزة، وكانت تعرف بـ " دواب البريد " وكان توفير الدواب للبريد يتم بطريقتين :

الأولى : ربط الدواب والعناية بها فى الإصطبلات التى كانت تعرف بالإصطبلات السلطانية .

والثانية : إعطاء إقطاعات للعربان النازلة بالقرب من محطات البريد وتكليفهم بتقديم ما يلزم من الخيل للبريد [٢٩٠] وعرفت هذه الخيول باسم خيل الشهارة [٢٩١] وقد استخدمت النجب من الإبل وكانت العرب تفضلها على غيرها لأنها أسرع من الخيل وأصبر على السير، وكان يطلق اسم النجابون على من ركبها فى هذا السبيل[٢٩٢] .

واستعين فى أغراض البريد بوسيلة أخرى وهم الرجال الذين أطلق عليهم اسم الفيوج أو السعادة، وهم رجال خفاف تعودوا على الجرى والصبر على السير حتى كان أحدهم يقطع ثلاث مراحل فى مرحلة واحدة، وقيل أن بعض رجال البربر كان يتبع الفارس فيلحقه، ويجرى وراء الغزال فيقتنصه[٢٩٣] .

ويذكر القلقشندى كيفية نقل الخبر بالبريد بقوله : كانت الرسالة تخرج بما يرسم به لمن يركب فى المهمات السلطانية وغيرها، وكان للبريد ألواح من نحاس أو فضة، كان اللوح منها بمقدار الكف أو نحوها، منقوشة على أحد وجهيه ألقاب السلطان، وعلى الوجه

الآخر "**لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**" .

وهذه الألواح كان بها شرابة من حرير أصفر، فإذا حضرت الرسالة إلى كاتب السر دفع إلى البريدى لوحا من تلك الألواح فيجعلها البريدى على صدره، وشرابة الحرير الأصفر يعلقها فى رقبته، وكتب إلى صاحب الإصطبل السلطانى ليفرج له عما يلزم من الخيل، ويختم الكتاب وتسلم إليه، ويكتب له ورقة بالطريق الذى يتوجه بسببه فى دفتر – ديوان الإنشاء – الرسائل – ولذلك كان ديوان الإنشاء أو الرسائل وديوان البريد مضافين إلى نظر متولى واحد[٢٩٤] .

الثانى: البريد الجوى :

وكانت وسيلة الحمام الزاجل الذى كان يتخذ لحمل المكاتبات على شكل بطائق تعلق به ويعرف باسم الهدى من الوسائل التى انتشرت فى العصور الإسلامية والوسطى وقد اعتنى بحمام المراسلات خلفاء بنى العباس وتنافس الناس فى العراق وخاصة بالبصرة فى اقتنائه، وصار الحمام متجرا من المتاجر بين الناس، وبلغ ثمن الطائر الفاره منه سبعمائة دينار، وشاع استعماله زمن السلطان نور الدين محمود وفى زمن الفاطميين، بلغت مسافات طيرانه ما بين القاهرة والبصرة وبين القاهرة ودمشق، وأقيمت له الأبراج فى الطرق، وكان يوضع فى أبراج دمشق من حمام مصر، ومن حمام دمشق فى أبراج مصر[٢٩٥] .

وكانت الرسائل التى يحملها هذا الحمام من ورق خفيف يسمى بطائق أو ورق الطير، تحمل تحت جناح الحمام لحفظها من المطر، ثم حملت بعد ذلك فى الذنب وكان يكتب فى هذه الرسائل أمور مختصرة من لب الكلام من غير حشو، وتؤرخ بالساعة واليوم ولا داعى للسنين وحرصا على وصول الرسالة كانت الرسالة تكتب من صورتين ترسلان مع حمامتين تطلق أحدهما بعد الأخرى[٢٩٦] حتى كان الحمام يصبغ بلون أزرق كلون السماء حتى لا يرى أو يطلى بلون السواد لكى لا يراه العدو إذا أطلق ليلا[٢٩٧] .

وكان حمام البريد يميز بعلامات " دغامات " فى أرجلها أو على مناقيرها، وكانت الرسالة إذا مرت بمركز ما كتب الوالى بمرورها إلى أن تصل مختومة [٢٩٨]

وجرت العادة ألا يطلق الحمام فى الجو الممطر، ولا أن يطلق قبل تغذيته الغذاء الكافى[٢٩٩] وكانت مغارات الحمام "الأبراج" على بعد أطول مسافة من محطات البريد البرى حيث كانت المسافة بين الواحدة والأخرى تبلغ ثلاثة عشر ميلا[٣٠٠] وأقام لها نظار وحراسا يراقبون وصول الحمام نهارا وليلا خوفا من أن يمر عليهم وهم عنه غافلون، وكانت أسرع أنواع الحمام تقطع من ٤٠ إلى ٥٠ ميلا فى الساعة، وأقل الأنواع سرعة تقطع من ٢٥ إلى ٣٠ ميلا، وكان متوسط طيران الحمام ٣٥ ميلا فى الساعة[٣٠١] .

الثالث: البريد البحرى :

حيث كانت تستخدم المراكب البحرية، ويقول الحسن بن عبد الله وإذا كانت البلاد بحرية فليكن لصاحب الخبر مراكب خفيفة سريعة وكان الحجاج بن يوسف الثقفى أول من أجرى فى البحر السفن المقيرة السمسرة غير المخرزة والمدهونة[٣٠٢] .

وهناك طريقة أخرى للبريد المائى وهى أن توضع الرسالة ضمن صندوق محكم الأقفال ويجعل نقله متوازنا بحيث لا يطفو على وجه الماء ولا يغرق فى قاعه بل يكون متوسطا بينها منعا لظهوره أو وقوفه على الأرض، ثم يلقى فى النهر أو الترعة فيندفع بالماء لغاية مركز الجيش الآخر وهناك يقع فى شباك معدة[٣٠٣] .

ومن طرق البريد المائى أنه كانت تكتب الرسالة وتعلق فى قصبة وتغرس القصبة فى باقة حشيش وتلقى فى الماء فيعوم الحشيش ولا يزال جاريا بمجرى النهر حتى يراه المرسل إليه[٣٠٤] .

التخاطب بالمشاعل والطبول :

بجانب طرق البريد التى ذكرناها عرفت الدولة الإسلامية طريقة نقل الرسائل والإشارات عن طريق إشعال النيران حيث وضع نظام لاستعمالها وعمال لمراقبتها، وعرفت الأماكن التى تشعل فيها النيران بالمناور، ومواضع رفع النار فى الليل والدخان فى النهار وذلك للإعلام بقدوم عدو[٣٠٥] وكانت هناك شارات يتفق عليها المنورين عند نقل الخبر، وقد نشر العرب هذه المناور من الإسكندرية حتى طنجة على طول الساحل الأفريقى الشمالى، فإذا وقعت واقعة ذات خطورة أوقدت النيران من طنجة ولا تزال من برج إلى أخر

حتى يبلغ ذلك الإسكندرية فى ليلة واحدة ومن طرابلس إلى الإسكندرية تصل الرسالة النارية فى ثلاث ساعات إلى أربع ساعات[٣٠٦] .

أما الطبول فقد استخدمت أيضا للتخاطب ونقل الأوامر ومثال لذلك أن الأفشين قائد الخليفة المعتصم بالله العباسى عندما كان يحارب الثائر بابك الخرمى وتعذر اتصاله بجنده فى ميدان القتال لكثرة الدروب وتشعب الطرقات بين جبال أذربيجان العظيمة الارتفاع والكثيرة الالتواء استعان بالطبول لإعلان قواته بحركات سيره ووقوفه، وبلغت طبوله الكبار واحد وعشرين طبلا [٣٠٧] .

ديوان الطراز :[٣٠٨]

كان ديوان الطراز معروفا لدى الفرس والروم، إلا أن هذه الوظيفة لم تنشأ فى عهد الرسولﷺ وعهد الخلفاء الراشدين رضى اللع عنهم وذلك لبعد الحكم الإسلامى فى هذه الفترة عن أبهة الملك وفخامة السلطان إنما ظهرت فى عهد بنى أمية[٣٠٩]

وكان ديوان الطراز يشرف على دور الطراز، المعامل، المصانع[٣١٠] التى كانت تقوم بصناعة الثياب والملابس الخاصة بالخلفاء والسلاطين وحاشيتهم، كما كان يصنع بها الشارات والأعلام والفساطيط وملابس الجند وغيرها، وكان الخلفاء يقلدون هذه الوظيفة بخواص دولتهم وثقات مواليهم، فكان صاحب ديوان الطراز ينظر فى أمور الصباغ والآلة والحاكة فى دور الطراز وإجراء رزقهم ومشارفة أعمالهم، ولما تعددت الدول وضعفت تعطلت وظيفة ديوان الطراز[٣١١] .

ديوان الصدقات :

ويقوم هذا الديوان بالنظر فى الأموال المستحقة فى أموال المسلمين، وهى أموال ظاهرة لا يمكن إخفاؤها كالزرع والثمار والمواشى، وأموال باطنة يمكن إخفاءها كالذهب والفضة وعروض التجارة[٣١٢] وإذا أخذت زكاة هذه الأموال صار الحال إلى توزيعها فى الأصناف الثانية التى ذكرها الله تعالى فى كتابة العزيز ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[٣١٣] .

- **الفقراء** : هم الذين لا شئ لهم .

- **المساكين** : أسوأ حالا من الفقير لأن المسكين هو الذى أسكنه العدم ٠
- **المؤلفة قلوبهم** : هم المسلمون حديثا أو الذين أضيروا بسبب إسلامهم ٠
- **معنى الرقاب** : ما ينفق من الزكاة لتحرير العبيد٠
- **الغارمون** : هم الذى استدانوا لحاجة وعجزت مصادرهم عن سداد ديونهم٠
- **وفى سبيل الله** : الغزاة الذين لم يفرض لهم فى ديوان العطاء ٠
- **ابن سبيل** : هو المسافر المنقطع الذى لم يتبق معه ما يستعين به على سفره٠
- **العاملين عليها** : هم عمال الزكاة أو جامعوها، فيدفع لهم أجرهم٠

ديوان النفقات :

وكان من اختصاصه النظر فى مصروفات الدولة، واستمر عمل هذا الديوان خلال العصر العباسى، وصار يضم المجالس التالية :

- **مجلس الجارى** : ويختص بأمر استحقاقات الحشم ٠
- **مجلس الإنزال** : ويقوم بمحاسبة التجار الذين يتولون تقديم الطعام فى حالة الإقامات والإنزال ٠
- **مجلس الكراع** : ويباشر أمر العلوفة الخاصة بالدواب وسياستها وعلاجها وأرزاق القائمين عليها ٠
- **مجلس البناء والمرمة** : ويتولى محاسبة الزراع والمهندسين والصناع وباعة مواد البناء ٠
- **مجلس الحوادث** : ويقوم بتولى أمر النفقات الطارئة ٠
- **مجلس الإنشاء ومجلس النسخ** لتسجيل كل ذلك [٣١٤] ٠

ديوان بيت المال :

ويعرف بالديوان السامى، وهو أصل الدواوين ومرجعها إليه، ووظيفته ثبت جميع أصول الأموال السلطانية على أصنافها من عين وغلال وفئ وغنائم وأعشار وأخماس ويثبت ما تحصل من ذلك، ويتخذ بيوتا لأصناف الأموال ويجعل عليها دواوين وحرسا، فالأموال والقماش لها ديوان الخزانة، والغلال لها ديوان الأهراء، والأسلحة والذخائر لها ديوان خزائن السلاح[٣١٥] ٠

ويكون لصاحب هذا الديوان علامة على الكتب والصكاك والاطلاقات يتفقدها الوزير وخلفاؤه ويراعونها ويطالبون بها، وكان الوزير يطالب صاحب المال برفع حساب فى كل أسبوع، ليعرف ما حل وما قبض وما بقى[٣١٦] وكان من واجبات صاحب بيت المال أن يقدم فى آخر كل شهر حسابا كان يطلق عليه اسم "الختمة" وحسابا فى آخر السنة يسمى ختمة جامعة[٣١٧] .

وإلى جانب هذه الدواوين التى بدأت فى عهد الخلفاء الراشدين أو فى عهد الخلفاء من بنى أمية واكتسبت فى العهود التالية مزيدا من الترتيب والتنظيم فى الغالب ظهرت هناك دواوين أخرى ترجع فى معظمها إلى العصر العباسى ومن عاصرهم أو من جاء بعدهم ومنها الآتى :

- ديوان الأحشام : وهو ديوان الذين كانوا فى خدمة البلاط .
- ديوان الحوائج : واختص بجمع الرقاع – الشكاوى – من المشتكين وتقديمها للخليفة .

وقد ذكر اليعقوبى هذين الديوانين فى عداد الدواوين التى نقلها أبو جعفر المنصور إلى بغداد سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م حين أتم بناءها[٣١٨] .

- ديوان المصادرين: لتسجيل أسماء من صودرت أموالهم ومقدار ما صودروا عليه.
- ديوان الضياع : واختص بإدارة ضياع الخليفة وأسرته وجميع هذه الدواوين كانت فى خلافة أبى جعفر المنصور[٣١٩] .
- ديوان الصوافى : وكان يتولى إدارة الأراضى التابعة لنظر خليفة المسلمين[٣٢٠] .
- ديوان الموالى والغلمان : واختص بتسجيل موالى الخليفة وعبيده [٣٢١].
- ديوان المواريث : وكان يختص بأموال من لا وارث له أو توفى ويرث أقاربه جزء من تركته فيصبح الجزء الباقى من حق ديوان المواريث الغاه الخليفة المعتضد سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م، حيث أمر برد الفاضل من تركة المواريث على ذوى الأرحام[٣٢٢] .
- ديوان الجهبذه : وكان يتولى النظر فى الحسابات المالية وتدقيق موارد المال وبقايا أموال المطالبات التى كان يتعذر على أهل الخراج أداؤها فى وقت المطالبة[٣٢٣] .
- ديوان الأكرة : وكان يشرف على القنوات والترع والجسور وشئون الرى

- ديوان الماء : وكان يحفظ فيه خراج كل من أرباب المياه وينظر فيما يملكه أرباب المياه من الماء وما يباع وما ينقص منه[٣٢٤] .

وذكر المقريزى من الدواوين عند الفاطميين ديوان النظر، وكان ينظر فى دواوين المال، وديوان المجلس وكان ينظر فى الإقطاعات[٣٢٥] .

ومما سبق يلاحظ كثرة الدواوين ونجد أن سبب ذلك هو اهتمام ولاة الأمر بشئون الدولة والأمة، فكلما ظهرت مصلحة الأمة فى شئ سارع الحكام إلى إنشاء دائرة – أى ديوان – لرعايتها والقيام على شئونها .

ولذا كثرت الدواوين، وكبر الجهاز الإدارى فى الدولة الإسلامية متماشيا مع المصالح وكثرتها .

غير أن الضعف الذى صار إليه شأن الخلافة بعض الوقت خلال القرن الثالث الهجرى وفى القرن الرابع الهجرى أدى إلى ضعضعة الجهاز الإدارى، لاستيلاء الأتراك على أمور الدولة وبخاصة فى عصر إمرة الأمراء، ومضايقتهم للعمال حتى اضطرهم إلى بذل المرافق لهم، فاقتنى الأتراك الأملاك، وتغلبوا على حقوق بيت المال، وتشبه بهم الديلم – البويهيون – فكسروا على السلطان حقوقه وانقطعت الحمول إلى بغداد وأزيلت سوق الدواوين وأبطلت[٣٢٦] .

كان المسجد الجامع أول الأمر مركز الإدارة مثلما كان مركز العبادة والمجمع والمحكمة وديوان المال والمدرسة وكل ما له علاقة بالسلطان والسكان، ثم انفصلت هذه الوظائف عن المسجد عدا وظيفة العبادة، واستقلت بمنشئات أقيمت خاصة لهذه المصالح، ففى بغداد كان حول القصر بيت المال، وخزائن السلاح، وديوان الرسائل، وديوان الخراج، وديوان الخاتم، وديوان الجند، وديوان الحوائج، وديوان الأحشام، وديوان النفقات[٣٢٧] .

وكانت الدواوين خلال العصر الفاطمى موجودة بدار الإمارة إلى جوار الجامع الطولونى بالقاهرة، ثم نقلها يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله إلى داره، فلما مات يعقوب نقلها العزيز إلى القصر، ثم بنيت لها دار أطلق عليها، "دار الملك" ونقلت الدواوين إليها ثم أعيدت من بعد ذلك إلى القصر[٣٢٨] .

وكان يقوم بوظائف الديوان فئة من الناس أطلق عليهم اسم "الكتاب" وكان يشرف عليهم رئيس أطلق عليه اسم "صاحب الديوان"أو متولى الديوان وكان أصاحب الدواوين فى حاضرة الدولة مسئولين أمام الخليفة وفى الولايات مسئولين أمام الوالى، ولما استحدث منصب الوزارة، صارت أمور الدواوين ترجع إلى نظر الوزير نيابة عن الخليفة فى كل ما يتصل بها من تعيين وعزل واستحداث واستغناء، ويتصفح أحوالها وسير أعمالها وضبط أمورها ٠

مصادر ومراجع الفصل الثاني

١- **سورة النجم :آية ٣،٤ .**

٢- **محمد الخضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم، جـ٢، ص١٥٦ .

٣- **سورة آل عمران :الآية ١٤٤، محمد الخضرى** : الأمم الإسلامية، جـ٢، ص١٥٦ .

٤- **محمد بطاينه** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٤١ .

٥- **المائدة آية ٣ .**

٦- **فتحية النبراوى** : نظم الدولة الإسلامية في المشرق "دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية" المجلد الثانى، ص١٦٦ .

٧- **أبو زيد شلبى** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٨٢ .

٨- **محمد الخضرى** : الأمم الإسلامية، جـ١ ص١٦٢، **محمد بطاينة** : تاريخ الحضارة، ص٤٤

٩- **ابن الأثير** : الكامل فى التاريخ، جـ١ ص١٧٨، **ابن قتيبة** : الإمامة والسياسة، جـ١ ص١٣

١٠- **الماوردى**: الأحكام السلطانية، ص٧، **أبو زيد شلبى** : الخلفاء الراشدين، ص٦٠

١١- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص٧،٨، **الغزالى** : إحياء علوم الدين، جـ٢ ص٣٤، **أبو زيد شلبى** : الخلفاء الراشدون، ص١-٢

Rosenthal . , F : political thought in medieral Islam , cambridge , 1962 . p34 .

١٢- **على ابن أبى بكر الهروى** : التذكرة الهروية فى الحيل الحربية، ص٨ .

١٣- **ابن خلدون** : المقدمة، ص٢٠٠ .

١٤- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٨، ٢٩ ، **إبراهيم العدوى**: تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص١٩٣ .

١٥- **أنظر السجلات المستنصرية .**

١٦- **الجهشيارى** : الوزارة والكتابة، ص١٥ .

١٧- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٨٢ .

١٨- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٨٥ .

١٩- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٨٦ .

٢٠- **الطبرى**:تاريخه، جـ٣، ص ٤٢٧ **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٣٣-١٣٧ ، **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص١٤٦ .

٢١- **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص١٧٢ .

٢٢- **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص١٤٨ .

٢٣- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص٩ .

٢٤- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٣٧ .

٢٥- **إبراهيم طرخان** : دولة المماليك الجراكسة ، **على حسن الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص١٤٧ .

٢٦- **الشورى : آية ٨٣ .**

٢٧- **آل عمران آية ١٥٩ .**

٢٨- **ابن سعد** : الطبقات جـ٢ ص١٤١، ١٩٦، **البلاذرى** : أنساب الأشراف جـ٥ ص١٥ .

٢٩- **أبو زيد شلبى** : الحضارة الإسلامية ص٨٥ .

٣٠- **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص٥٤ .

٣١- **الماوردى** : الأحكام، ص١٩٩ .

٣٢- **أبو يوسف** : كتاب الخراج ، **أبو زيد شلبى** : الحضارة الإسلامية، ص٨٦ .

٣٣- **أبو زيد شلبى** : الحضارة الإسلامية، ص٨٦ .

٣٤- **الطبرى** : تاريخه جـ١ ص١٧٧ ، **ابن خلكان** : وفيات، جـ١ ص٢٨٨، **إبراهيم بركات** : السياسة والمجتمع، ص١٤٨، **ابن حجر** : الإصابة، جـ١ ص٥٢٤ .

٣٥- **الطبرى** : تاريخه جـ٦ ص٤٢٧ ، **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص٥٥ .

٣٦- **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص٥٦، ٥٧ .

٣٧- **الطبرى** : تاريخه، جـ٨، ص١٤، ٩٢ .

٣٨- **الطبرى** : تاريخه، جـ٨، ص٢٠٧، جـ٩، ص٣٦ ٠
٣٩- **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص٥٧ ٠
٤٠- **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص٥٨ ٠
٤١- **ابن الأثير** : الكامل، جـ٦، ص٢٧٧ ٠
٤٢- **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص٦٨-٧٣ ٠
٤٣- **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص٩١ ٠
٤٤- **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص٦٠ ٠
٤٥- ابن خلدون : المقدمة، ص١٨٦ ٠
٤٦- سورة طه الآيات ٢٩،٣٢ ٠
٤٧- سورة الفرقان آية
٤٨- **ابن بحشل** : تاريخ واسط، ص٢٠٦ ٠
٤٩- الماوردى : الأحكام السلطانية : ص٢٤-٢٦ ٠
٥٠- **حمدى المناوى** : الوزارة والوزراء، ص١٠ ٠
٥١- **أحمد أمين** : ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٦٤ ٠
٥٢- سورة القيامة آية ١١ ٠
٥٣- **الماوردى** : الأحكام، ص١٤ ٠
٥٤- **ابن خلدون** : المقدمة، جـ٢ ص٦٠٣ ٠
٥٥- **اليعقوبى** : تاريخه، جـ٢ ص٨، **ابن الأثير** : الكامل، جـ٢ ص١٣٠ ٠
٥٦- **الطبرى** : تاريخ جـ٣ ص٢٢٠ ٠
٥٧- **محمد بطاينة** :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٦٠، **حمدى المناوى** : الوزارة والوزراء، ص١٢ ٠
٥٨- **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية، ص١٨٤ ٠
٥٩- **ابن خلدون** : المقدمة، جـ٢ ص٦٠٣، **ضياء الدين الريس** : النظريات السياسية الإسلامية، ص٢٢٣ ٠
٦٠- **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص٨٤-٨٦ ٠

٦١- **ابن الطقطقى** : الفخرى فى الآداب السلطانية، ص١٥٦ ٠
٦٢- **الطبرى** : تاريخه، جـ٨ ص٢٣٣-٢٦٥ ٠
٦٣- **القلقشندى** : صبح جـ٣ ص٤٧٨ ٠
٦٤- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٧٩ ٠
٦٥- **على ابن أبى بكر الهروى** : كتاب التذكرة الهروية ص٩ ٠
٦٦- **محمد ضيف الله** : تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٦٩ ٠
٦٧- **ابن الطقطقى** : الفخرى فى الآداب السلطانية : ص٢٣٢، ٢٤٤، ٢٨٠ ٠
٦٨- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص٢٧ ٠
٦٩- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص٢٨ ٠
٧٠- **الماوردى** : الأحكام ص٢٨ ٠
٧١- **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية، ص١٨٦ ٠
٧٢- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص٢٨،٢٩، **عبد المنعم ماجد** : نظم الفاطميين، ص٨٤ ٠
٧٣- **حمدى المناوى** : الوزارة والوزراء، ص٢٧ ٠
٧٤- **إبراهيم العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص١٩٤ ٠
٧٥- **إبراهيم العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص١٩٤ ٠
٧٦- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٧٨ ٠
٧٧- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٧٩ ، **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٦٩، **عبد المنعم ماجد** : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، ص٣٤ ٠
٧٨- **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية، ص١٨١ ٠
٧٩- **ابن هشام** : السيرة النبوية، جـ٤ ص٢٤٦، **خليفة بن خياط**: تاريخه، ص٩٦،٩٧، **أبو زيد شلبى** : الحضارة ص١٧٥ ٠
٨٠- **الطبرى** : تاريخه، جـ٢، ص٤٠٠ ، **أبو زيد شلبى** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٧٥

٨١- **أبو زيد شلبى** : الحضارة، ص١٧٦، **محمد الخضرى** : تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٤٢،٢٤١ ٠

٨٢- **أبو يوسف** : الخراج، ص٦٦ ٠

٨٣- **محمد الخضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية، ص٣١٥،٣١٤ ، **أبو زيد شلبى** : الحضارة، ص١٧٧ ٠

٨٤- **محمد بطاينة** :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٧٠، **تاريخ الطبرى** : جـ٣، ص٤٢٧

٨٥- **خليفة بن خياط** : تاريخ خليفة بن خياط، ص١٢٣، **الطبرى** : تاريخ جـ٣ ص٤٢٧ ٠

٨٦- **أبو يوسف** : الخراج، ص٦٦ ٠

٨٧- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى، ص٩٢ ٠

٨٨- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص٣٠ ٠

٨٩- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص١ ٠

٩٠- **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية، ص١٨٢ ٠

٩١- **الطبرى** : تاريخ جـ٤، ص٢٠٣، جـ٥ ص٣١٦ ٠

٩٢- **الطبرى** : تاريخ جـ٨، ص٣١٥ ٠

٩٣- **الهروى** : التذكرة و الهروب، ص١٠ ٠

٩٤- **الهروى** : التذكرة، ص١٠ ٠

٩٥- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص٣٣ ٠

٩٦- **إمارة الاستيلاء** : هى التى تعقد عن اضطرار، فهى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد ويضطر الخليفة إلى تفويض تدبيرها وسياستها إليه استدعاء لطاعة الأمير المستولى، وحرصا على اجتماع الكلمة ووحدة الدولة، مثل الدويلات المستقلة فى الدولة الإسلامية، **الماوردى الأحكام** : ص٣٣، ٣٤

٩٧- **محمد بطاينة** :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٧٢، ٧٣ ٠

٩٨- **الكندى** : الولاة والقضاة ص٣٢، **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص١٠٥ ٠

٩٩- **أبو المحاسن** : النجوم، جـ٢، ص٣٠٨ ٠

١٠٠- **محمد بطاينة** :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٧٨، ٧٩ ٠

١٠١- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص٢٦٣ ٠

١٠٢- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى فى الإسلام، ص٩٤ ٠

١٠٣- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى، ص٩٤ ٠

١٠٤- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص٢٦٣ ٠

١٠٥- **حسن إبراهيم وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص١٤٠ ٠

١٠٦- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى فى الإسلام، ص٢٦٣ ٠

١٠٧- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص٢٦٣ ٠

١٠٨- **ابن طباطبا** : الفخرى، ص٢١٣ ٠

١٠٩- **ابن الأثير** : الكامل، جـ١ ص٢٩١ ٠

١١٠- **حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص١٣٩، ١٤١ ٠

١١١- **الهروى** : التذكرة، ص٩ ٠

١١٢- **الهروى** : التذكرة، ص١٠ ٠

١١٣- **الدينورى** : الإمامة والسياسة، ص١٧٩ ٠

١١٤- **الطبرى** : تاريخه، جـ٥ ص٣٣٨ ٠

١١٥- **محمد الخضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية، ص٤٤١ ٠

١١٦- **محمد الخضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٢٣-٢٢٦، ص٤٤١ ٠

١١٧- **الدينورى** : الإمامة والسياسة، ص٢١٣ ٠

١١٨- **يوسف العش** : تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص٤٣، ٤٤ ٠

١١٩- **البغدادى** : تاريخ بغداد، جـ١٠، ص١١٢ ٠

١٢٠- **ابن طباطبا** : الفخرى، ص١٧٢، ١٧٣ ، **الطبرى** : تاريخه جـ٢ ص٤٣٥ ٠

١٢١- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص١٥ ، **الطبرى** : تاريخه جـ٢، ص٢٩٦،٢٤٠ ٠

١٢٢- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص١٥ ٠
١٢٣- **المسعودى** : مروج الذهب جـ٣ ص٢٦٤ ٠
١٢٤- **ابن طباطبا** : الفخرى ص٢١٤ ٠
١٢٥- **اليعقوبى** : تاريخه، جـ٨ ص٥٠٠ ، **يوسف العش** : تاريخ عصر الخلافة العباسية ص٨٤ ٠
١٢٦- **ابن طباطبا** : الفخرى : ص٢٤٣، ٢٤٤ ، **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية، ص١٨١ ٠
١٢٧- **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية، ص١٨١ ٠
١٢٨- **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص٢٥٦، ٢٥٧ ٠
١٢٩- **حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص٣٥ ٠
١٣٠- **حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص١٤٠ ٠
١٣١- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى فى الإسلام، ص٩٣ ٠
١٣٢- **حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص١٤١ ٠
١٣٣- **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص١٨٠، **الخربوطلى** : العرب والحضارة ص١٨٠
١٣٤- **جمال الدين سرور** : الدولة الفاطمية، ص٣٨، ٣٩ ٠
١٣٥- **عبد المنعم ماجد** : نظم المماليك، ص٥٥ ٠
١٣٦- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص٢٦٣ ٠
١٣٧- **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص٧٤-٧٧ ٠
١٣٨- **الحسن بن عبد الله** : آثار الأول فى رتيب الدول، ص٦٧-٧٢ ٠
١٣٩- **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص١٣٢ ٠
١٤٠- **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص١٢٦ ٠
١٤١- **المقريزى** : الخطط جـ٢ ص١١٥ ٠
١٤٢- **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص٥٣ ٠
١٤٣- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص١٦٤ ٠

١٤٤- **البقرة / آية ٢١٣** ٠

١٤٥- **المائدة / آية ٤٩** ٠

١٤٦- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٦٥ ٠

١٤٧- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٧٩ ٠

١٤٨- **ابن هشام** : السيرة، جـ٢ ص١٤٩ ٠

١٤٩- **الهروى** : التذكرة، ص١١ ٠

١٥٠- **الطبرى** : تاريخه جـ٣، ص٤٢٦ ٠

١٥١- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٨٠ ٠

١٥٢- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٧٣-١٧٥ ، **محمد الخضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم جـ٨ ص٣٨٦ ٠

١٥٣- **اليعقوبى** : تاريخه، جـ٢، ص٤٠١ ٠

١٥٤- **الدينورى** : الإمامة والسياسة، ص٣١٢ ٠

١٥٥- **الكندى** : الولاة والقضاة ص٥٩٠ ، **السيوطى** : حسن المحاضرة، جـ٢ ص٩١ ٠

١٥٦- **السيوطى** : حسن المحاضرة، جـ٢ ص٩٩ ٠

١٥٧- **أحمد تيمور** : المذاهب الفقهية الأربعة، ص١٥ ٠

١٥٨- **أحمد تيمور** : المذاهب الفقهية الأربعة، ص١٦ ٠

١٥٩- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص٦٥، ٦٦ ٠

١٦٠- **الكندى** : كتاب الولاة والقضاة، ص٣١٢، **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص٨٧ ٠

١٦١- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص٨٥ ٠

١٦٢- **محمد الخضرى** : الأمم الإسلامية ،ج٢، ص٣٨٧ ٠

١٦٣- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص٦٦ ٠

١٦٤- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٨١ ٠

١٦٥- **الماوردى** : الأحكام، ص٥٨ ٠

١٦٦- **الكندى** : كتاب الولاة والقضاة، ص٣٢٥ ٠

١٦٧- **الكندى** : كتاب الولاة والقضاة، ص٣٤٦ ٠

١٦٨- **الكندى** : الولاة والقضاة، ص٣٤٨ ٠

١٦٩- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٤٨، ٤٩ ٠

١٧٠- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٦٦ ٠

١٧١- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٤٩ ٠

١٧٢- **هويدا رمضان** : المجتمع المصرى جـ١ ص٣١٢ ٠

١٧٣- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٦٦ ٠

١٧٤- **الطبرى** : تاريخه جـ٧ ص٦٦ ٠

١٧٥- **الكندى** : ولاة مصر، ص٥٩ ٠

١٧٦- **القلقشندى** : صبح جـ١٠، ص٣٨٧ ٠

١٧٧- **الكندى** : الولاة، ص٥٨٨ ٠

١٧٨- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص٨٤ ٠

١٧٩- **الكندى** : الولاة، ص٥٨٨ ، **المقريزى** : الخطط جـ٢، ص٢٤٦ ، **القلقشندى** : صبح جـ٣، ص٤٨٧ ٠

١٨٠- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٤٨،٤٩ ٠

١٨١- **خليفة بن خياط** : تاريخه ص٤٢٧،٢٠٠،١٥٠ ٠

١٨٢- **ابن قتيبة** : المعارف، ص٢١٦ ٠

١٨٣- **الكندى** : كتاب الولاة والقضاة، ص٣١٧، ٤٣٥ ٠

١٨٤- **الماوردى** : الأحكام، ص٧٩، **القلقشندى** : صبح، جـ٣، ص٥٢٦ ، **المقريزى** :الخطط، جـ٢، ص٢٤٦ ٠

١٨٥- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص١٩٤ ٠

١٨٦- **الماوردى** : الأحكام، ص٢٠١،٢٠٠-٢٠٥ ٠

١٨٧- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة، ص٥٤ ٠

١٨٨- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص٢٠٤-٢٠٦ ، **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص٢٦٩

١٨٩- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص١٩٤، **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٦٦ ٠

١٩٠- آل عمران : آية ١٠٤ ٠

١٩١- محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة، ص٩٣-٦٢ ٠

١٩٢- **الشيزرى** : نهاية الرتبة، ص٦٢، **الخربوطلى** : حضارة العرب ص١٧٠ ٠

١٩٣- **سهام أبو زيد** : الحسبة، ص٤٧ ٠

١٩٤- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص١٧٠، ٧١ ٠

١٩٥- **ابن الأخوة** : معالم القربة، ص١٢ ٠

١٩٦- البقرة / آية ٤٤ ٠

١٩٧- **فتحية النبراوى** : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص١١٢، **سهام أبو زيد** : الحسبة، ص١١٦ ٠

١٩٨- **انظر ابن الأخوة** : معالم القربة ، **القلقشندى** : صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٩١، **القريزى** : الخطط جـ٢ ص٣٤٢ ، **ابن خلدون** : المقدمة ص١٧٨ ، **سهام أبو زيد** : الحسبة فى مصر الإسلامية ٠

١٩٩- **المقريزى** : إغاثة الأمة، ص١٩ ٠

٢٠٠- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٥٨ ٠

٢٠١- **الشرطة** : كلمة مشتقة من الشرط أى العلامات التى كان أصحاب الشرطة يضعونها فوق ملابسهم من أجل أن يعرفهم الناس ، **القلقشندى** : صبح جـ٢، ص٤٢٣،٤٠٥ ٠

٢٠٢- **الفيروز أبادى** : القاموس المحيط، مادة الشرطة ٠

٢٠٣- **الطبرى** :تاريخه، جـ٤، ص٢٠٥ ٠

٢٠٤- **خليفة بن خياط** : تاريخه، ص١٧٩ ٠

٢٠٥- **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص٢١٧ ٠

٢٠٦- **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص١٠٥ ، **ابن دقماق** : الانتصار جـ٤، ص٦ ٠

٢٠٧- **الكندى** : الولاة، ص١٩٢، **أبو المحاسن** : النجوم جـ٢، ص٢١ ٠

٢٠٨- **الطبرى** : تاريخ، جـ٥، ص٢٢٢ ٠

٢٠٩- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٣٥ ٠
٢١٠- **أحمد فريد رفاعى** : عصر المأمون جـ١، ص٣٢٧ ٠
٢١١- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٨٨ ٠
٢١٢- **أبو المحاسن** : النجوم، جـ٢ ص٢٦ ٠
٢١٣- **أحمد عبد الرازق** : شرطة القاهرة ص١٣ ٠
٢١٤- **أحمد عبد الرازق** : تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص٣٧ ٠
٢١٥- **القلقشندى** : صبح جـ١ ص٨٩، ٩٠ ٠
٢١٦- **انظر مادة الديوان** : فى القاموس المحيط للفيروزآبادى، ولسان العرب **لابن منظور** ٠
٢١٧- **الماوردى** : الأحكام، ص١٧٣ ٠
٢١٨- **ابن الأثير** : الكامل، جـ١، ص٢٣٠ ٠
٢١٩- **الطبرى** : تاريخه جـ١، ص١٦٢ ٠
٢٢٠- **البلاذرى** : فتوح البلدان، ص٤٣٦ ٠
٢٢١- **النويرى** : نهاية الارب، جـ٨، ص١٩٨ ٠
٢٢٢- **ابن خلدون** : المقدمة، ص٢٤٤ ٠
٢٢٣- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص٨٣ ٠
٢٢٤- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٩٢ ٠
٢٢٥- **الطبرى** : تاريخه جـ٦، ص١٨٠ ٠
٢٢٦- **المقريزى** : الخطط، جـ١، ص١٥٨ ٠
٢٢٧- **الكندى** : الولاة، ص٨٠ ، **المقريزى** : الخطط جـ١، ص١٧٥ ٠
٢٢٨- **القلقشندى** : صبح، جـ٣، ص٤٩ ٠
٢٢٩- **المقريزى** : الخطط جـ٢، ص٣٥٢ ٠
٢٣٠- **قدامة بن جعفر** : الخراج وصنعة الكتابة، ص٢١-٢٣ ٠
٢٣١- **المقريزى** : الخطط جـ٢، ص١١٤ ٠
٢٣٢- **الطبرى** : تاريخه، جـ٥، ص٣٣٠ ٠

الفصل الثالث: النظم الحربية

- الجيش
- الأسطول

النظم الحربية

نبدأ الحديث عن النظم الحربية بتعريف ما هية الحرب، وموقف الإسلام منها " فالحرب رحى ثقالها الصبر، وقطبها المكر، ومدارها الاجتهاد، ثقافها الأناة، وذمارها الحذر"(١)، وهي شيء طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل، وضرورة اجتماعية طالما كانت هناك أطماع ومظالم بشرية وسببها في الأكثر أما غيرة ومنافسة، وإما عدوان، وإما غضب لله ولدينه، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده"(٢).

والحرب في الإسلام حرب دفاعية، وقد وردت كلمة الحرب في القرآن الكريم بمعنى القتال في قوله تعالى ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ**﴾(٣)، وفي قوله﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾(٤).

والحرب والجهاد يدوران حول معنى واحد هو قتال العدو، وقد بين القرآن الكريم كما سنرى في مواضع كثيرة منه السبب الذي من أجله شرع القتال، وأذن للمؤمنين في الحرب، والجهاد وأرجعه إلى أمرين :

الأول : الدفاع عن النفس عند التعدي.

الثاني : الدفاع عن الدعوة إذا وقف أحد في سبيلها بفتنة من أمن أو بصد من أراد الدخول في الإسلام عنه، أو بمنع الداعي من تبليغ دعوته(٥).

والجهاد في اللغة من الجهد ،وهو المشقة، وجهد دابته وأجهدها – إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجهد الرجل في شيئ أي جد فيه وبالغ، وجهد الجل على ما لم يسم فاعله فهو مجهود من المشقة، وجاهد في سبيل الله مجاهدة وجهادا، والاجتهاد بذل الوسع والمجهود(٦).

وأما في الاصطلاح فإن الجهاد هو قتال العدو من الكفار والمشركين ومحاربته بشتى الوسائل الممكنة والمشروعة لنصرة الإسلام(٧)

استفاد العربى من بيئته صفات الشجاعة الفردية وقوة الحس ونشاط الجسم والصبر على الجوع والظمأ وشدة الحر والبرد، وكان قتال العرب فى حروبهم وغزواتهم فى العصور القديمة أدنى إلى البساطة، فيبدءون المعركة عادة بالمبارزة الفردية وتكون بين بطلين من

أبطال القبيلتين ثم يكون الالتحام فيكرون على العدو وهذا هو الأسلوب المعروف بالكر والفر[٨] .

على أن هذا الأسلوب تغير إذ فرض الإسلام الجهاد(٩) على المؤمنين دفاعا عن الدين والنفس والوطن والمال ففى الفترة المكية لم يقم المسلمون بعمل عسكرى ضد من خالفهم من قريش أو غيرهم حيث أمر الرسول ﷺ بتبليغ الرسالة والأعراض عن المشركين في قوله تعالى﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[١٠]، فضلا عن إنشاء تنظيم عسكرى فيها وخلت حياة المسلمين فى هذه الفترة من جميع مظاهر العنف المادى ثم أمر بالمجادلة بالتي هي أحسن في قوله تعالى﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[١١]حتى هاجروا إلى المدينة .

وفى بيعة العقبة الثانية، تناولت الاتفاقية مسألة حماية الرسولﷺ ومنعه من الأعداء، وذكرت الاتفاقية أن نقباء أهل المدينة بذلوا للرسولﷺ ما أراد من الحماية والمنعة، وبايعوه على حرب الأحمر والأسود[١٢] وفى هذه الظروف نزلت آيه الإذن بالقتال وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾[١٣] فقد أبيح القتال في الإسلام لسبب ذكرته الآية وهو وقوع الظلم على المؤمنين ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ۞ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ . . .** ﴾[١٤]، وفي هذه الآية توجيه للمسلمين بالا يقاتلوا إلا من قاتلهم ولا يعتدوا إلا من أعتدى عليهم، وذلك لأن الإسلام هو دين السلام، وأنما شرع القتال للدفاع عن النفس، وحماية الدعوة، وهذه المشروعية لا تتم إلا بوجود ما يدفع إليها، إذ الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلم، أما الحرب فهي استثناء من الأصل ويكون ذلك عندما تتوافر مبرراته.

وعندما هاجر الرسولﷺ إلى المدينة ووضع الصحيفة التى نظمت مجتمع المدينة من مهاجرين وأنصار ويهود – وجعل على هذا المجتمع الدفاع عن المدينة، ومنذ غزوة بدر صار الجهاد دفاعا وهجوما مشتركا بين جميع المسلمين مهاجرين وأنصار[١٥]، ثم صار فرضا مكتوبا عليهم وعلى المسلمين من بعدهم، وفى السنة الثانية من الهجرة فرض الله القتال وأوجبه وذلك فى قوله تعالى﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا**

شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[١٦]، وهو فرض كفاية لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾**[١٧] .

وحكمة الجهاد أن يعبد الله وحده مع ما يتبع ذلك من دفع العدوان والشر وحفظ الأنفس والأموال ورعاية الحق وصيانة العدل ونعيم الخير ونشر الفضيلة، قال تعالى ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾**[١٨]. وفرض الجهاد أيضا وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾**[١٩] ثم أمروا بالقتال بشرط انسلاخ الأشهر الحرم، قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾**[٢٠] ثم أمروا بالقتال مطلقا وذلك فى قوله تعالى : ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾**[٢١]، وقوله تعالى ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[٢٢] وهذا الجهاد لم ينبثق عن مؤسسة عسكرية، ولم يؤد الحال إلى ظهور مؤسسة الجيش[٢٣] بمفهوم الجيش النظامى وما يتطلبه من رواتب وملابس ومأكل ووسائل نقل وأسلحة وغيرها، وظل الجيش فى عهد الرسولﷺ من جميع المسلمين، وكانوا إذا استنفروا نفروا، وإذا وضعت الحرب أوزارها رجعوا إلى مألوف حياتهم .

وكان كل مقاتل يجهز نفسه بأسلحته ودابته إ فإن لم يتح له ذلك استطاع أن يحصل على الدابة من مخازن الصدقة[٢٤].

ولما بدأت التوسعات خلال عصر الراشدين احتاجت الدولة إلى جيش كبير دائم يكون على استعداد أيام الحرب والسلم على السواء، ففى عهد عمر بن الخطاب ﷺ كثرت الأموال، فقام بتأسيس ديوان الجند وذلك سنة ١٥هـ/٦٣٦م[٢٥] وجعل للجند رواتب مخصصة واعاشة مفروضة لأولادهم، وحظر عليهم مزاولة الأعمال الأخرى، ومنذ ذلك الوقت صار الجيش مؤسسة ذات كيان مستقل تعتمد فى تمويلها على الدولة[٢٦].

وقد اهتم الرسولﷺ والخلفاء الراشدين من بعده بالتربية البدنية فقد أمر الله بأن يكونوا على أهبة الاستعداد من الناحية المادية والمعنوية، وأن يكونوا مزودين بالعتاد، وأن يحوزوا كل أسباب القوة التي ترهب عدوهم ، يقول تعالى﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾** [٢٧] ويقول الرسولﷺ "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" ويقول أيضا "إن لبدنك عليك حقا" فالجيش

الهزيل الضعيف لا مكان له بين الجيوش فالدعوة والجيش المسلم يحتاج إلى رجال أشداء أقوياء إذا ضربوا أوجعوا وإذا سابقوا سبقوا وإذا قاتلوا انتصروا، ولن يكون ذلك إلا بتعليم أطفال المسلمين الرياضة والألعاب التى تقوى أجسامهم وتقيهم من الأمراض وتعينهم على تحمل أعباء القتال، ولنا فى رسول الله ﷺ القدوة الحسنة فها هو يصرع – ركانة – ثلاث مرات متتاليات وركانة كان أقوى رجل فى شبة الجزيرة لا يغلبه شجاع ولا يصرعه جبار، وكان الصحابة من أشد الرجال وأعظمهم قوة، فكان الخليفة عمر رضي الله عنه يحب ركوب الخيل ويستطيع أن يقفز على الحصان دون أن يمسك بشئ، وكان على بن أبى طالب رضي الله عنه يسابق فلا يسبق، وكان طلحة والزبير من أشد المصارعين فى المسلمين، وهكذا كان الاهتمام بإعداد الجيش وتدريبه[٢٨] .

وكان الخليفة بحكم ولايته العامة قائدا للجيش، ولكن الخلفاء لم يكونوا يقومون بهذه المهمة إلا نادرا، وكانوا يقيمون ويبعثون الجيوش ويولون عليها الأمراء ويمدونهم بالعساكر، فيذكر أن أبا بكر رضي الله عنه خرج بالمسلمين إلى حرب القبائل في ذي القصة فاجتمع عليه المسلمون، وقالوا له نناشدك الله يا خليفة رسول الله أن لا تعرض نفسك فأنك أن أصبت لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فأبعث رجلا، فإن أصيب أمرت آخر، فقال : لا والله لا أفعل ولا أواسيكم بنفسي"[٢٩].

وفي حروب العراق وفي ظروف حرب القادسية نادى الخليفة عمر رضي الله عنه "الصلاة جامعة" وأخبر الناس بالخبر فقال العامة : سر وسربنا معك، ثم بعث عمر رضي الله عنه إلى أهل الرأي وإلى أصحاب الرسول ﷺ وأعلام العرب فقال : أحضروني الرأي فأني سائر فاجتمعوا وأجمع معظمهم على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ويقيم ويرميهم بالجنود، وفي ذلك ما يغيظ العدو، وقال عبد الرحمن بن عوف " بأبي وأمي أجعل جعزها بي وأقم، وابعث جندا فقد رأيت فضاء الله لك في جنودك قبل وبعد،فأنه أن يهزم جيشك ليس كهزيمتك، وأنك أن تقتل أو تهزم في أنف الأمر خشيت إلا يكبر المسلمون وإلا يشهدوا "ان لا أله إلا الله" [٣٠]، وعلى ذلك كان خروجهم على رأس الجيوش قليلا ولا يحدث إلا لأمر عظيم، فقد قاد على بن أبى طالب رضي الله عنه الجيش بنفسه فى حروب الجمل وصفين[٣١] وقاد عبد الملك الجيش في حربه مع مصعب بن الزبير، وقاد مروان بن محمد

الجيش في حروبه مع الخوارج والعباسيين، وقاد الرشيد الجيش لحرب رافع بن الليث، وكذلك الخليفة المعتصم قاد الجيش لحرب الروم[٣٢].

وفى الولايات كانت قيادة الجيش تعود إلى الولاة أو من كانوا ينيبونهم عنهم ولم تكن على أية حال أخبار الجيوش تغيب عن الخليفة وكانت أخبارها توافية باستمرار منذ أن تخرج إلى ساحة القتال وحتى تعود إلى قواعدها[٣٣] .

وخلال العصر الأموي تطور تطورا كبيرا، حيث أدخل نظام التجنيد الإجبارى فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وكانت الدولة الأموية دولة حرب زادت الحروب والفتوحات خلال عصرها، وقد تأثر الأمويون بالنظام البيزنطى العسكرى القائم على تقسيم بلاد الشام إلى عده أجناد وكان على العرب أصحاب الأراضى تزويد الدولة بعدد من الجند دونت أسماؤهم فى ديوان الجند وصرفت لهم رواتب معينة علاوة على حصتهم من الغنائم واعتمد الأمويون على القبائل العربية فى بلاد الشام فى تكوين جيشهم[٣٤] ،ولما انطلقت حركة الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية وصارت بعض العناصر المختلفة من أهل البلاد المفتوحة تشارك فى الجيش، حيث شمل عناصر عديدة مثل الفرس والزط – من السند – والبخارية والأتراك والبربر وغيرهم[٣٥].

ومنذ العصر العباسى أخذت أعداد هذه العناصر تزداد كثافة لأسباب تتصل بمهد الدعوة العباسية وظروف قيام دولتهم، فقد كثرت العناصر الخرسانية فى الجيش فى بداية قيام الدولة، وزاد عدد الأتراك، فى عهد المعتصم ثم ظهر عنصر المغاربة، والفراعنة[٣٦]، ولما ظهرت الإمارات المستقلة بدأ حكامها فى تكوين جيوش خاصة بهم من أجناس مختلفة[٣٧].

أما عن أعداد الجيش الإسلامى، فقد بدأت متواضعة لا تتجاوز المئات فى بداية قيام الدولة الإسلامية، ففي غزوة بدر كان عدد الجيش الإسلامي مع الرسولﷺ قد بلغ (٣١٤رجلا) – (٨٣) من المهاجرين – (٦١) من الأوس – (١٧٠) من الخزرج، وكان عدد المسلمين في غزوة أحد ألف رجل، وفي غزوة الخندق ذكر أن عدد جيش المسلمين بلغ ثلاثة آلاف رجل[٣٨]، وفي غزوة مؤنة كان عدد الجيش الإسلامي مكونا من ثلاثة آلاف مقاتل[٣٩] ،ثم صارت تكبر وتزداد بازدياد الداخلين فى الإسلام، فبلغ العدد فى غزوة

حنين عام ٨هـ أثنى عشر ألفا[٤٠]، وفى معركة اليرموك بلغ العدد ستة وأربعين ألفا وغزا يزيد بن المهلب بن أبى صفرة جرجان وطبرستان سنة ٩٨هـ / ٧١٦م فى مائة ألف مقاتل من أهل الكوفة والبصرة وأهل خرسان والرى سوى الموالى والمماليك والمتطوعة[٤١]، وسار هارون الرشيد سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م فى خلافة أبيه المهدى فى الصائفة إلى بلاد الروم فى ٩٥.٧٩٣، خمسة وتسعين ألف وسبعمائة وثلاث وتسعين رجلا[٤٢] وهذه أمثلة لا تحصى عدد الجيش الإسلامى بأكمله إنما تدل على ازدياد عدد الجيش، حيث كان الجيش موزعا بين الشام ومصر وأفريقية والأندلس والعراق وخرسان والثغور الإسلامية، فعلى سبيل المثال كان ديوان الجند فى مصر خلال عهد معاوية بن أبى سفيان أربعين ألفا[٤٣]، وكان عدد المرابطين المقاتلين من أهل البصرة بخرسان فى عهد بنى أمية أربعة وخمسين ألفا[٤٤] وعندما التقى مروان بن محمد بجيوش العباسيين سنة ١٣٢هـ كانت عساكره تبلغ من العدد مائة وعشرون ألفا[٤٥]، وكان الجيش خلال العصر العباسى يبلغ مئات الألوف من الجند، فكان جيش العراق وحده يبلغ ٥٢ ألفا[٤٦].

تمويل الجيش :

ذكرنا أن الجيش زمن الرسولﷺ كان يعتمد فى تمويله على الاكتفاء الذاتى حيث كان كل مقاتل يجهز نفسه بأسلحته ودابته، فإن لم يتح له ذلك استطاع أن يحصل على دابة من بيت الصدقات[٤٧]، وكان الأفراد يتدبرون المال مما كان بين أيديهم من زراعة أو تجارة أو إبل أو ماشية، أو ما تقدمه الدولة من سلاح وخيل تشتريها من حظها من خمس الغنائم، وما تأخذه من أهل الذمة – الجزية – وما كان يصرف من أموال الزكاة فى هذا السبيل[٤٨]، وبعد تأسيس ديوان الجند صار الجند يصرفون جزءا من رواتبهم فى تجهيز أنفسهم وإعداد ما يلزمهم فى السفر والقتال، وورد على سبيل المثال أن كثير بن شهاب الحارثى الذى عينه والى الكوفه المغيره بن شعبه الثقفى على الرى ودستبى وقزوين فى خلافة عمر بن الخطابﷺ كان إذا غزى أخذ كل امرئ ممن معه بترس ودرع وبيضة ومسبلة وخمس أبر وخيوط كتان وبمخصف ومقراض ومخلاة[٤٩]، وكان الرجل يحتاج مثلما حدث فى غزوة تبوك إلى بعيرين، بعير يركبه وبعير يحمل ماءه وزاده[٥٠]، وعندما

صارت خطوط القتال إلى ما وراء النهر فى المناطق الجبلية الوعرة صار الجند يستخدمون إضافة إلى الإبل والبغال فى حمل امتعتهم وموادهم[٥١].

وإلى جانب تجهيز الجند أنفسهم كانت مساهمة الدولة فى الانفاق وإعداد القوة كبيرة، فقد ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان يحمل فى كل عام على أربعين ألفا من الظهر، وأنه جعل ثلاثين ألف بعير وثلاثمائة فرس ووسم فى أفخاذهن حبيس فى سبيل الله [٥٢]، وبلغ مقدار ما أنفق الحجاج على الجيش الذى سيره بقيادة ابن الأشعث إلى سجستان ألفى ألف سوى أعطيات الجند حتى دعى بجيش الطواويس[٥٣]، وبلغت نفقات الجيش الذى قاده هارون الرشيد فى عهد أبيه المهدى لغزوا الروم ١٩٤.٤٥٠ دينار ومن الورق واحد وعشرين ألف ألف وأربعمائة وأربعة عشر ألف وثمانمائة درهم[٥٤].

تشكيلات الجيش :

كان الجيش أول الأمر قد اتبع نظام الصف فى القتال، وجاء فى القرآن الكريم ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾[٥٥] ثم اقتضت الضرورة إلى تقسيم الجيش إلى نظام التبعية الذى يقوم على أساس تقسيمه إلى مقدمة وقلب وميمنه وميسره وساقه أى مؤخرة[٥٦]، وهذا النظام يقوم على تقسيم الجند إلى مجموعات فى عشرات ومئات وألوف مربعات أو مثلثات أو أهله، وأطلق على القائد الذى يقود عشرة جنود لقب عريف والذى يقود مائة لقب نقيب والذى يقود ألف لقب قائد، أما لقب أمير فأطلق على القائد العام للجيش[٥٧].

وقيل أن مروان بن محمد الذى كان قائدا عسكريا للجيوش الإسلامية فى جبهة أرمينيه وأذربيجان قبل أن يكون خليفة هو الذى اتبع نظام التبعية وأبطل نظام الصف[٥٨]، وإلى جانب هذه الأنظمة التى كان يتبعها الجيش فى القتال، كان الجيش يتكون من وحدات، كانت تتمايز عن بعضها بالرايات وكان لكل منها قائد وتتسمى بأسماء تدل على فعالها وصبرها فى القتال مثل كتيبة الأهوال، وكتيبة الخرساء[٥٩] وكانت تتمايز أحيانا بالأسلحة ويذكر أن خالد بن الوليد قسم الجيش فى اليرموك إلى كراديس وجعل على كل كردوس رأسا وزعها ما بين الميسرة والميمنة والقلب[٦٠].

وبجانب المقاتلين من الفرسان والرجاله وجدت طوائف كثيرة تقوم بخدمة الجيش وتسهيل مهمته مثل النفاطين وضاربى المنجانيق، والعيون وهم الطلائع الذين يرصدون تحركات العدو كما نجد القضاة والأطباء والمؤذنين والقراء والنجارين والحاملين مع الجيش[٦١].

هذا وكان الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون من بعده يتعهدون القواد والجند بالنصيحة التي تفيدهم في حسن أدائهم لواجبهم الأول باعتبارهم دعاة الإسلام وفي حسن تسيرهم للجنود والظفر على العدو، فيقول الله تعالى﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[٦٢] ،وقوله تعالى ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[٦٣]

ومن وصايا الرسول ﷺ إذا بعث سرية :" اغزوا باسم الله في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا"[٦٤] كما نهى ﷺ عن الغدر بقوله " ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة "[٦٥]، ونهى الرسول ﷺ عن الغلول، وعن النهبة، وعن قتل النساء والولدان، ونهى عن التعذيب بالنار إلا الله[٦٦].

كما أوصى أبو بكر ﷺ أسامة بن زيد قائد أول جيش غزا بعد وفاة الرسول ﷺ بقوله " أيها الناس أوصيكم بعشر فاحفظوا عني : لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعفروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ،ولا تذبحوا شاه ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له[٦٧].

ومن وصايا عمر بن الخطاب ﷺ لسعد بن أبي وقاص كبير قواد الجبهة الشرقية في زمانه "....وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فأنهم سائرون إلى عدو مقيم، حامي الأنفس والكراع – الخيل – وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم، ويرءمون – يصلحون– أسلحتهم وأقبعتهم ونخ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولا يرزأ أحد في أهلها

شيئا، فإن لهم حرمة وذمة أبتليتم بالوفاء بها كما أبتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خبرا ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم٠٠ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيان جهدك٠٠"[٦٨]

أسلحة الجيش :

كان العرب فى الجاهلية يعيشون فى حرب مستمرة بسبب فقدان سلطة مركزية عليا، وقد أدى هذا إلى تدربهم على القتال وإلى اهتمامهم الكبير بالأسلحة التى صنعوها أو عملوا على توفيرها بشرائها من البلدان المجاورة لهم فاقتنوا السيوف والدروع والرماح للفرسان، والدروع والحراب والقوس والسهام والسيوف للرجالة، كما استخدموا الطبرزينات وهى آله تشبه الفأس – والتروس والخوذ والضبور[٦٩] والدبابات والمنجنيقات، واستخدموا أيضا النفط أو النار الإغريقية[٧٠].

وكانت السيوف أبرز أسلحة العرب والمسلمين، ومن أحبها إلى نفوسهم، ومن ثم كثرت أسماؤها فى لغتهم وأشعارهم ومنها الأبيض والمهند والمشرفى، والبصرية والسيرجى، والمهند هو السيف المصنوع فى الهند، والمشرفى نسبة إلى مشارف الشام أما السيرجى فهو نسبة إلى سريج وهو رجل من بنى أسد كان حدادا اشتهر بصناعة السيوف[٧١]، وقد أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف سيفا قلعيا – نسبة إلى القلع مكان البادية قرب حلوان تصنع فيه السيوف – وسيفا يدعى بتار – وسيفا يدعى الحتف، كان عنده بعد ذلك المخدوم ورسوب أصابها من الفلس، وله سيفان آخران أحدهما يدعى القضيب والآخر يدعى ذو الفقار فنمه يوم بدر وكان لمنبة بن الحجاج[٧٢]، أما الرماح فقد اشتهرت عندهم ومنها الردينية – نسبة إلى إمرأة تدعى ردينة اشتهرت فى الجاهلية بسقيف الرماح، والسهرية والخطية التى كانت تستورد من الهند وتباع فى مدينة الخط فى البحرين[٧٣]، والرمح عبارة عن قضيب من الخشب ركب فيها سنان الحديد ولها أسماء أخرى مثل صعدة المستوى، والعنزة وذلك إذا كان أقصر من العصا وأطول من الرمح، ومنها أيضا النيزك والمطرد، وأجود الرماح الصلب المستقيم الذى لا يثنى، والرمح من الأسلحة التى يستخدمها الفرسان والمشاة[٧٤].

ومن أسلحة المسلمين القسى، ومن أجود أنواعها القسى العصفورية، والقسى الماسخية وكانت الأقواس تصنع من أخشاب الأشجار، وتستخدم السهام والنبال والنشاب للرمى بها، وقد غنم النبى ﷺ من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أرماح وثلاث قسى، قوس الروحاء وقوس شوحط وتدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء[٧٥].

وعرف المسلمون الدروع واستخدموها، والدرع هو القميص الذى يلبسه المحارب، ويصنع من الحديد أو الزرد، والدروع نوعان الأول يصنع من صفائح الحديد والآخر يصنع من حلق متضافر يصمد أمام طعنات السيوف وضربات السهام ويحمى المقاتل، واشتهر اليهود فى المدينة بصناعة الأسلحة ومنها الدروع وكانوا يبيعونها للقبائل العربية المختلفة فى شبة الجزيرة العربية، وقد أصاب الرسول ﷺ من دروعهم اثنتين واحدة يقال لها السعدية، ودرع يقال لها فضة، كما كانت له درع ثالثة يقال لها ذات الفضول[٧٦] .

وكان الضبور من الأسلحة التي أستخدمها المسلمون حيث يتقي بها المحاربون النبال الموجهة إليهم من أعلى وهي كالدبابة، تصنع من الخشب المغطى بالجلد، ويكمن فيها المهاجمون ويقربونها للحصن لقتال أهله وهم فيه.

أما الخنادق فكانت ضمن الأسلحة التي أقتبسها المسلمون من الفرس، حيث كانوا ينشئونها حول المدن والمعسكرات، وأول خندق حفره المسلمون هو الذي حفره الرسول ﷺ والمسلمون حول المدينة المنورة بمشورة سلمان الفارسي في غزوة الخندق سنة ٥هـ/٦٢٦م .[٧٧]

واستخدم المسلمون الخوذة البيضة وهى تصنع من الحديد وتلبس على الرأس حماية لها من ضربات السيوف، والمغفرة هو من الزرد ويلبس تحت القلنسوة، ومنها ما كان يغطى الصدر وهى الجواشن[٧٨].

وقد اهتم المسلمون بوقاية خيولهم أثناء الحروب فألبسوها دروع تسمى تجافيف، تغطى أجسامها وتصد عنها إصابات الأعداء[٧٩].

واستخدم المسلمون النفط منذ زمن مبكر فى حروبهم، وهو الذى استعمله الروم قبلهم، وكانت فرقة النفاطين من الفرق الأساسية فى إرباك صفوف العدو، وإحراق سفنه وقلاعه، ويتكون النفط من تركيب كيماوى أساسه البترول[٨٠]، وينسب اختراعه إلى يونانى

اسمه كالينيكوس Kallinikos[٨١]، ونقله عنهم المسلمون، وبرعوا فى استعماله إذ يوجد النفط فى أنحاء بلادهم، فعرفوا منه الأسود الذى يوجد على ساحل البحر الأحمر ٠ ويسيل من أعالى جبل، ويجمع فى خزائن[٨٢] وأبيض أو الطيا، ويوجد فى العراق، كما وجدت منابعة بجوار بحر قزوين[٨٣] وكان النفاطون يلقونه على العدو فى قارورات النفط أو قوارير (قدور النفط)، أو بالنشاب أو من فوق ظهور الخيل[٨٤] ٠

وكانت آلات الحصار هى المنجنيقات والعربات والدبابات واستخدمها فى حصار المدنونقب الأسوار وهدم الحصون، وان بدت هذه الآلات بدائية إلا أنها أثبتت فاعلية فى الحصار والمعارك التى خاضها المسلمون الأوائل[٨٥]، فقد استخدمها الرسول ﷺ عندما سار إلى الطائف لمطاردة فلول ثقيف واعتصمت منه بالحصون، ورمت المسلمين بالنبل، ونصب الرسول ﷺ المنجنيق ورماهم به، فكان ﷺ أول من رمى بالمنجنيق فى الإسلام، كما استعان على حربهم بالدبابات، وكان المحاربون يدخلون فى جوفها، ويزحفون بها إلى جدار الحصن لينقبوه[٨٦]٠

المعسكرات والثغور:

عرف المسلمون كيف يحتفظون بالفتوح التي تمت لهم على الرغم من قلة عددهم وكثرة أعدائهم المحيطين بهم، فقام الخليفة عمر رضي الله عنه بإقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لإراحة الجنود في الطريق بعد أن كانوا يقطعون المسافات الطويلة على ظهور الإبل، ومن هذه المعسكرات معسكر البصرة والكوفة في العراق، وحمص ودمشق في الشام، والفسطاط والإسكندرية في مصر، وبرقة وطرابلس والقيروان في الشمال الأفريقي ٠

وعني المسلمون بتحصين أطراف فتوحهم مما يلي أرض العدو من أطراف الصين إلى ساحل المحيط الأطلسي، فأقاموا الحصون والقلاع عند كل مكان يخشى أن ينفذ منه العدو، وسمو هذه الثغور وشحنوها بالرجال والعتاد ووسعوا على أهلها الأرزاق حتى يتفرغوا لحراسة حدود الدولة[٨٧]٠

صناعة الأسلحة :

استخدم المسلمون جميع أنواع الأسلحة المعروفة فى العصر الوسيط فقد استخدموا السيوف والرماح والنشاب – أى السهام ذات النصول المثلثة – كما استخدموا أقواس الرحل، وأقواس اللولب التى تشد بواسطة لولب وأقواس الركاب التى تشد من ركاب الخيل ٠

كذلك استخدموا ما يسمى باللتوت وهى أعمدة ذات رؤوس حديدية مستطيلة ومضرسة، والدبابيس وهى تشبه اللتوت إلا أن رؤوسها مدورة ومضرسة والطبر أو الطبرزين وهى الفأس ٠

والدرق اللمطية لاتقاء ضربات العدو وسهامه وهى مغطاه بجلد اللمط وهو حيوان يعيش فى الصحراء كذلك لبسوا الخوذات أو البيضات الحديدية لحماية الرأس، كما لبسوا الجوشن لحماية صدورهم أو الدروع المسبلة ذات المغاحر الملتحمة التى تغطى جميع أجزاء الجسم ٠

كذلك استخدم المسلمون أسلحة الحصار الثقيلة مثل المنجنيقات المدمرة للحصون والدبابات والكباش لنقب الحوائط والأسوار ٠

كل هذه الأسلحة صنعها المسلمون فى بلادهم الممتدة شرقا وغربا معتمدين فى ذلك على ما لديهم من مواد خام وأيد صناعية ماهرة ٠

فخام الحديد كان منتشرا فى فرغانة وكابل وكرمان وأذربيجان وأرمينيه، ولبنان والشام، وصقلية، والمغرب والأندلس، إلى جانب الحديد المستورد من الهند وسيلان وروسيا وبيزنطة، وعلى أساس هذه الخامات الحديدية قامت صناعة الأسلحة التى اشتهر باسم مكان صناعها فى العالم الإسلامى(٨٨) ٠

ومن السيوف : السيوف الفارسية، السيوف الشامية كالمشرفية، والدمشقية، والسيوف الحنفية التى كانت تصنع فى الحجر عاصمة بنى حنيفة فى اليمامة ٠

وإلى جانب هذه الأسلحة التقليدية، توصل المسلمون إلى اختراع أسلحة متطورة أمثال لذلك أنهم صنعوا قدورا خزفية فى حجم الرمانة محشوة بالجير الحى والنشاد والبول، وأطلقوا عليها اسم القدور الكفيات لأنها تلقى على العدو باليد أو بالكف مثل القنابل اليدوية، فإذا صطدمت بجسم العدو العدو المدرع بالحديد انكسرت وخرجت رائحتها فى أنفه وسببت له اختناقا(٨٩) ٠

الجاسوسية :

كان النبى ﷺ يهتم بمعرفة أخبار عدوه، واستطلاع أحواله فكان يزكى العيون ليأتوه بخبره، ويعلموه بأمره، ومن ذلك أنه أرسل عبد الله بن جحش فى اثنى عشر مهاجر إلى " نخلة " بين مكة والطائف ليترصد بها قريشا، ويعلم من أخبارهم، كما أرسل قبل بدر رجلان يستقيان ويتنسطان الأخبار وهما بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء، حيث ذهبا إلى قريب من الماء وأخذا شنا لهما يستقيان فيه، وبعض كفار قريش على الماء، فسمع الرجلان حوارا حادا بين جاريتين تستقيان الماء، قالت الأولى لصاحبتها، وكانت تداينها بدين، إنما يأتى العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك ورد رجال من قريش أرادوا تهدئة الموقف بينهما وقالوا نعم مؤكدين بذلك صحة ما قالت الجاريتان، وسمع عيون الرسولﷺ هذه الأخبار، وعادا مسرعين إليه يخبراه بنبأ العير القادمة من الشام[٩٠] . وفى أحد بعث أنسا ومؤنسا ابنى فضاله يلتمسان خبر قريش، فأخبراه بما علما، وهكذا كان الرسولﷺ يهتم بأخبار عدوه ليأخذ حذره، وليعد للأمر عدته[٩١] .

وسار الخلفاء من بعد الرسول ﷺ على نهجه فى هذا المضمار، فنرى الخليفة عمر رضي الله عنه، يقول فى وصايته لسعد بن أبى وقاص : فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم .

وفى عصر العباسيين عنوا بها وأحكموا أمرها، حتى أنهم كانوا يستخدمون لذلك الرجال والنساء الذين كانوا يذهبون إلى البلاد المجاورة متنكرين فى زى التجار، أو الأطباء أو غيرهما، ويتنسطون الأخبار ثم يعودون بها إلى الدولة لتحتاط للأمر، ولن تكن الجاسوسية أكثر نشاطا ولا أعم انتشارا فى بلد من البلاد منها فى الدولة البيزنطية التى كانت تنافس الدولة الإسلامية[٩٢] .

الأسلحة الوقائية :

استعمل النبى ﷺ لحسك [٩٣] ليمنع العدو من الدنو من جنده، كما تستعمل الجيوش الآن الأسلاك الشائكة، وكان المسلمون يستعملون الخوذة والبيضة لوقاية الجذع والأطراف[٩٤] .

وجه المسلمون عنايتهم نحو استغلال آبار النفط التى فى بلادهم والتى كانت تكثر فى إيران والعراق وصقلية أو فى طبرستان، وفى سرقوسة ٠

ويصف ابن الشباط النوسى (ق ٧هـ) طريقة استخراج زيت النفط من الآبار، وكيف أن الرجل الذى ينزل فى البئر كان عليه أن يغطى رأسه ويسد مسام أنفه وإلا هلك لساعته ٠

وفى أواخر ق ٧هـ / ١٣م توصل المسلمون فى المغرب والأندلس إلى اكتشاف خاصية أخرى للنفط كمادة هادمة متفجرة إذ اختلطت بملح البارود أو النشادر، وحصى الحديد فى درجة حرارة عالية، وهذا الاكتشاف أدى إلى ظهور المدافع والأسلحة النارية ٠

وقد استخدم هذا السلاح سلطان المغرب يعقوب المرينى أثناء هجومه على مدينة سجلماسة سنة ٦٧٢هـ وأيضا استخدم سلطان غرناطة اسماعيل بن الأحمر فى حصار مدينة أشكر جنوب الأندلس سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م ٠

برع الجيش العربى الإسلامى فى كل فنون الحرب والمعرفة فى العصور الوسطى فكانوا فى حالة الدفاع يحفرون الخنادق ثم عمدوا إلى إنشاء القلاع والحصون، واستخدموا الكمائن والخدع الحربية، ولجأوا إلى عرقلة العدو بإحراق الأرض أو استخدام الثعالب والكلاب وذلك بأن يعلقوا النار فى أذنابها ثم يطلقوها لتعدو فى معسكرات العدو[٩٥] ٠

تميز الجندى العربى المسلم بالخفة وسرعة الحركة والصبر على الجوع والعطش والتعب، وكان الانضباط عاليا بين صفوف الجند فقد شدد القواد على الجنود بالعقاب فى حالة العبث بالنظام أو الذين يتعرضون للسكان المدنيين، وقد اتبع العرب المسلمون الرأفة مع الأسرى ومعاملتهم معاملة كريمة، وسلكوا مسلكا إنسانيا مع الأعداء فكان لا يجوز قتل الشيوخ والرهبان والنساء والأطفال فى الحروب والسلم، واتبعوا أيضا أسلوب تبادل أسرى الحرب، وأسلوب الفداء بالمال[٩٦] ٠

الأسطول :

لم يكن عرب الحجاز أول الأمر – لبداوتهم – مهرة فى ركوب البحر، وثقافته وممارسة أحواله[٩٧]، وأول من ركبه منهم للفتح العلاء بن الحضرمى والى البحرين فى عهد

الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وذلك عندما خرج لغزو بلاد فارس سنة ١٧هـ / ٦٣٨م بغير اذن عمر ﷺ[٩٨] .

وكان عمر بن الخطاب ﷺ لا يرى فى هذه المرحلة المبكرة أن المسلمين مهرة فى ثقافة البحر وركوبه، ولا يستطيعون بخبرتهم البحرية أن يجاروا البيزنطيين الذين كانوا تمرسوا فى شئون البحر ومرنوا على ركوبه، واحكموا ثقافته[٩٩] .

وقد روي أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ نهى عن ركوب البحر ونهى قواده على القتال فيه، ولما أشار عليه معاوية بن أبي سفيان ببناء الأسطول فأبى، ولما ألح عليه سأل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ واليه على مصر عمرو بن العاص أن يصف له البحر، فوصفه له، فبين ما فيه من مخاطر قائلا : " يا أمير المؤمنين أني قد رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركد أحزن القلوب، وأن ثار أزاغ القول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه دود على عود، أن مال غرق، وأن نجا برق "، فلما قرأ عمر ﷺ كتاب عمرو بن العاص كتب إلى معاوية " والذي بعث محمد بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا"[١٠٠]

وكان فى الامتداد البرى للجوانب الأخرى من الشام ما يغنى عن ركوب البحر لأغراض الجهاد ونشر الإسلام، وقد استعاض عمر بن الخطاب ﷺ عن ركوب البحر باتخاذ نظام المرابطة على السواحل كسياسة بحرية دفاعية[١٠١] هذا بجانب المناظر والمسالح على طول الساحل وشحنها بالمقاتلة واتخاذ المواقيد للإنذار باقتراب سفن الروم من السواحل[١٠٢] .

ولما استخلف عثمان بن عفان ﷺ تابع سياسة عمر بن الخطاب ﷺ البحرية وأرسل إلى الولاة يأمرهم بتحصين السواحل وشحنها بالمقاتلة، وقد نجحت هذه السياسة الدفاعية فى صد الاعتداءات البيزنطة البحرية التى تعرضت لها سواحل الشام ومصر سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م[١٠٣] .

ثم عزم الخليفة عثمان ﷺ على ركوب البحر، فأذن لمعاوية والي الشام سنة ٢٧هـ / ٦٤٧م بغزو قبرص عن طريق البحر، واشترط عليه اتخاذ الحيطة والحذر وقال

له: " لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه، ففعل "[١٠٤] .

ولما استقر الأمر للمسلمين وشمخ سلطانهم وخضع سلطان غيرهم تقرب إليهم كل ذى صنعة بمبلغ صناعته وأنشئوا لهم السفن والشوانى فاستخدموا لها من النواتية فى حاجاتهم البحرية مما تقوم عليها، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافتهم، فاستخدموا الخطط وأنشئوا السفن وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح واختصوا لذلك شعوبهم فى الشام وأفريقية ومصر والمغرب والأندلس[١٠٥] .

دور الصناعة :[١٠٦]

كانت مصر فى مقدمة البلاد التى ساهمت فى بناء الأسطول الإسلامى لأن صناعة السفن كانت أكبر صناعات الإسكندرية، وفى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى على مصر غزا الروم البرلس سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م وقتلوا عددا كبيرا من المسلمين، فاهتم أمراء مصر ببناء السفن وأنشئت لأول مرة دار لصناعتها فى جزيرة الروضة سنة ٥٤هـ / ٦٧٣م[١٠٧] .

ولما ولى الخلافة عبد الملك بن مروان سنة (٦٥-٧٦ هـ / ٦٨٤- ٦٩٥م) بعث إلى حسان بن النعمان عامله على أفريقية باتخاذ دار الصناعة بتونس لإنشاء السفن والآلات[١٠٨]، حيث كان أهم المنجزات الأموية في المجال البحر إنشاء ترسانة تونس على أثر هجوم بيزنطي راح فيه عدد من ضحايا المسلمين قتلى وأسرى حيث كانت المنطقة غير محمية، وهكذا أمد عبد الملك بن مروان واليه حسان بألف فني من أقباط مصر بأسرهم للعمل في بناء ترسانة تونس، وفرض على السكان البربر أن يتولوا جر الخشب لإنشاء السفن ليكون ذلك جريا عليهم إلى آخر الدهر[١٠٩].

وكان بنوا أمية يغزون الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية مما يلي ثغور الشام والجزيرة، وتقيم المراكب للغزو وترتب للحفظة في السواحل[١١٠].

وهكذا كانت فى العصر الأموى ثلاث أساطيل مستقلة عن بعضها، ويعمل كل منها فى منطقة معينة هى : أسطول مصر، وأسطول سورية ثم أسطول شمال أفريقية، هذا

علاوة على وحدة بحرية صغيرة تعمل فى البحر الأحمر وقد انعقد لواء كل من هذه الأساطيل لأمير من أمراء البحر[١١١] .

ومن ولاة الشؤون البحرية الأوائل في عهد معاوية : علقمة بن جنادة الذي شهد فتح مصر وتوفى سنة ٥٩هـ، وعقبة بن عامر وهو من غزاة جزر البحر المتوسط وكان مع هذا مقرئا وفقيها، ورويفع بن ثابت الذي غزا طرابلس الغرب وجزيرة جربة، وفضالة بن عبيد الذي ولاه معاوية شؤون الجيش وغزو الروم بحرا بعد أن تولى قضاء دمشق مدة، وكذلك تولى غزو البحر عقبة بن نافع على رأس الجيش المصري، ومن ولاة البحر بأفريقية : محمد بن أوس الأنصاري سنة ٧٣هـ وشارك مع موسى ابن نصير في حملاته بالمغرب والأندلس، ويظهر أن ولايته على البحر أستمرت مدة طويلة، ثم رشحه أهل أفريقية سنة١٠٢ هـ لولايتها مؤقتا في ظروف أضطرابات بالعاصمة قبل تعين والي رسمي[١١٢].

وكان من ولاة البحر خلال فترة حكم الوليد بن عبد الملك خالد بن كيسان الذي وقع في أسر الروم خلال هجمات المسلمين على المواقع البيزنطية بأسيا الصغرى ثم قدموه كترضية للوليد[١١٣].

وعندما آلت الخلافة إلى بنى العباس واتخذوا العراق مركزا لهم بدأ اهتمامهم بأمور البحرية ضعيفا عما كان عليه الوضع خلال العصر الأموى واستمر ذلك ما يقرب من خمسين سنة، بسبب انصراف الدولة عن شئون البحر ونفض يدها من محاربة البيزنطيين فى البحر المتوسط[١١٤] وقد ساعد على تجمد النشاط البحرى الإسلامى فى شرق البحر المتوسط انصراف الدولة البيزنطية هى الأخرى عن المصادمات البحرية مع المسلمين بسبب الفتن الداخلية وبعض المشاكل الخارجية التى عصفت بها كالنزاع الأيقونى، وثورة توماس الصقلى، سنة ٢٠٥هـ /٨٢٠م، وكذلك الصراع مع البلغار منذ عهد قسطنطين السادس وأمه ايرين، وساعد على تجمد النشاط البحرى الإسلامى أيضا انفصال المغرب الإسلامى والأندلس عن المشرق سياسيا[١١٥] .

وعلى الرغم من ذلك فقد أبدى خلفاء بنى العباسى اهتمامهم بالبحرية منذ عهد الخليفة هارون الرشيد وولى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام ومصر سنة ١٩٠هـ /

٨٠٥م فغزوا جزيرة قبرص عندما نكث أهلها العهد مع المسلمين، كما غزا جزيرة أقريطش[١١٦] .

وعلى هذا النحو اهتم العباسيون بالبحرية الإسلامية المغربية والأندلسية فى غرب البحر المتوسط[١١٧] .

وقد اهتم أحمد بن طولون سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م بإنشاء السفن الحربية وقام بتوسيع دار الصناعة وتحسينها، وجعل لها أحواضا حول جزيرة الروضة، كانت تعرف باسم " صناعة السفن "، ومن دلائل اهتمام ابن طولون بالأسطول أنه استقدم ملتزم الصناعة بالروضة أبا كامن شجاع بن أسلم الحاسب، وقال له :"كل ما تعمل لي من العدة فأنه يكتفي بالقليل مع تقدم هيبتي في صدور الناس إلا المراكب، فأن البحر لا يتهيبني ولا يخاف ثورتي، وليس يعمل فيه إلا وثاقة الصنعة، وتقديم الاحتياط، فقدموا الحزم في المراكب، وإستزيدوا من الإنفاق عليها تسلموا بتوفيق الله من معرة البحر"[١١٨].

وورث خمارويه عن أبيه هذا الأهتمام بالأسطول، فيذكر أن عدة المراكب المرصدة للجهاد في أيام أحمد بن طولون مائة شين، فلما مات وتملك أبنه خمارويه زاد في عددها وعدتها [١١٩]، غير أن خلفاء خمارويه لم يولوا البحرية ذلك القدر من الأهتمام فكانت القوة البحرية في عهدهم لا تتجاوز عددا محدودا من السفن، ولم يقدر لهذه القوة أن تلعب دورا في تاريخ الأسرة الطولونية[١٢٠]

وانتقلت دار الصناعة إلى الفسطاط أيام الاخشيد (٣٢٣-٣٣٤هـ / ٩٣٤-٩٤٥م) فى المصنع المعروف باسم "صناعة السفن" فغدت السفن الحربية والبحرية والنيلية تصنع فى "صناعة مصر" مرة وفى صناعة الجزيرة مرة أخرى[١٢١] .

ولما فتحت صقلية فى أيام الأغالبة فى عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات ازداد المسلمون رغبة فى غزو البحر، فبالغوا فى إنشاء الأساطيل فى أفريقية، والأندلس، وبلغ عدد سفن الأسطول الإسلامى خلال عهد عبد الرحمن الناصر أواسط القرن الرابع الهجرى ٢٠٠ سفينة، وكان أسطول أفريقية نحو ذلك، وتعددت دور الصناعة هناك[١٢٢] .

واهتم الفاطميون بصناعة السفن اهتماما كثيرا فى دور الصناعة بمصر والإسكندرية ودمياط، وأخذت الدولة تثبت سلطانها على قواعد بلاد الشام البحرية وتطرد الروم من أطراف الشام الشمالية، وعلى شواطئ البحر الأحمر وشواطئ أفريقية التى كانت فى حوزتهم من قبل ٠

وقد خصصت الدولة جزءا كبيرا من ميزانيتها للنفقة على الأسطول وتجهيزه بما يحتاج إليه، فأنشأ المعز لدين الله دار لصناعة السفن بالمقس قريبا من مدينة القاهرة سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م صنع بها ٦٠٠ سفينة[١٢٣] وقد جدد العزيز بالله الفاطمى دار صناعة المقس بالبناء، وأضاف إليها إضافة جديدة، وانتجت أسطول ضخم سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م ليرسله إلى طرابلس الشام بقصد عرقلة البيزنطيين ومنعهم من التوغل فى بلاد الشام[١٢٤] ٠

ولما دب الضعف والوهن فى الممالك الإسلامية المتوسطية مثل الفاطميين فى مصر والشام، وبنى زيرى فى أفريقية والأمويين فى الأندلس، وضعفت البحرية الإسلامية، وأخذت سيطرتهم فى البحر المتوسط تتراجع وتنحسر عن جزره تباعا، ولم تستطيع الجهود التى بذلها المرابطون والموحدون والمرينيون وغيرهم فى إنشاء الأساطيل أن تغير الوضع البحرى لصالح المسلمين تماما، ثم أصابها الضعف أيضا، وانتقلت ضربات الأساطيل الأوربية إلى السواحل الإسلامية فى كل من الأندلس والمغرب ومصر والشام ونجح هؤلاء فى احتلال أجزاء من هذه البلاد، ابتداء من سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠م[١٢٥] ٠

أنواع السفن :

كانت السفن الحربية أنواعا متفاوتة فى شكلها وقوتها وأحجامها تبعا للأغراض المختلفة التى صنعت من أجلها، وقد أنتجت دور الصناعة من قطع الأسطول ومراكب البحر أنواعا كثيرة نذكر منها :

البطسة : والجمع بطسات وبطس، وهى سفينة كبيرة يصل شراعها إلى أربعين شراعا، واشتهر هذا النوع من السفن فى أيام الحروب الصليبية، وهى تحمل آلات الحرب والأقوات والميرة والرجال، وآلات الحصار ولها أسطحة عالية، وطبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش يفرش بالبسط وغيرها، ووظيفة البطس الأصلية هو القيام بالأعمال القتالية فى البحر، وتتسع لعدد كبير من الجند يصل إلى سبعمائة[١٢٦] .

الشوانى : جمع شينى، وكانت أهم قطع الأسطول الفاطمى، وكانت تعرف بالأغربة، لأنها كانت تطلى بالقار، وكانت لها قلوع بيضاء فهى بذلك تشبة القربان، ولها من المجاديف مائة وأربعين مجدافا[١٢٧] وكانت تتسع لمائة وخمسين رجلا، ومزودة بأبراج وقلاع تستخدم للدفاع والهجوم[١٢٨] .

الحراريق : جمع حراقة وهى سفينة حربية تقوم برمى النار على الأعداء فى البحر، وهى تلى الشوانى فى الأهمية، وكان يجدف فيها بما يقرب من مائة مجداف[١٢٩]

الأغربة : وهى جمع غراب، من المراكب الحربية سريعة الحركة، وسميت بذلك بسبب مقدمتها التى كانت على شكل رأس غراب[١٣٠] .

الطرائد : جمع طريدة وهى سفن مخصصة لحمل الخيل وتسع الواحدة منها لحمل أربعين فرسا[١٣١] وكانت سريعة الجرى .

الشلنديات : وهى جمع شلندية، نوع من المراكب الحربية المسطحة، تستخدم لحمل الجنود والسلاح والمؤن، وكان المقاتلون يرتادون ظهرها لقتال الأعداء، بينما يجدف الجدافون تحتهم[١٣٢] وكانت تصنع بدار الصناعة بالروضة[١٣٣] .

المسطحات : جمع مسطح وهى كبار السفن المسطحة كانت تحمل الأسلحة للأسطول، وتستخدم فى مطاردة العدو لسرعتها[١٣٤] .

القوارب : جمع قارب، والزوارق جمع زورق ضمن قطع الأسطول أيضا وهى مراكب من غير شراع وتستعمل فى العادة لنقل الأشخاص[١٣٥] .

الخليـة : وهى سفينة شراعية كبيرة ويتبعها زورق يقال لـه الركوه، وسميت بذلك تشبيها بالخلية من الابل التى ترأم على ولد واحد[١٣٦] .

جفن : سفينة حربية بطيئة الحركة لكبر حجمها .

البارجة : كانت ضمن السفن الحربية وهى تحمل خمسة وأربعين رجلا منهم ثلاثة نفاطون وبحار وخباز إضافة إلى المجدفين والمقاتلة[١٣٧] .

الحرابى أو الحربيات : جمع حربية، وهى نوع من الشوانى ولكنها أصغر حجما، وتمتاز هذه المراكب عن الشوانى بسرعتها وخفة حركتها، وكان هذا النوع يصنع بدار الصناعة بالروضة فى مصر، واستخدمت فى المعارك بأرض المغرب والأندلس[١٣٨] .

المركب المسمى بالغيطانى والمركب المسمى بالعجزى : هما مركبان عظيما الحجم، صنعا بدار صناعة مصر، كانا يحملان عددا كبيرا من الركاب والبضائع الطائلة[١٣٩] .

ويذكر المقريزى أنواع أخرى من السفن كانت تصنع بدار الصناعة بالجزيرة خلال عصر ابن طولون مثل العلابيات والحمائم، والسنابك وقوارب الخدمة، وكلها مراكب نيلية، والطيارة، والاشكيف[١٤٠] .

ومن أنواع السفن البدن وهو زورق يمتاز بمقدمة ومؤخرة مدببة، والبغلة وهى ذات مؤخرة مربعة الشكل حمولتها أكثر من خمسين طنا، والبركة من السفن الخفيفة، والجهازى وهى سفينة تجارية ضخمة، والسميرية وهى من سفن البحر والنهر الحربية، والشذا وهى سفينة صغيرة من العصر العباسى [١٤١] .

إن تعدد أنواع السفن الحربية والتجارية وسفن النزهة الصغيرة يوضح لنا عظمة البحرية الإسلامية، ويدل دلالة واضحة على أن المسلمين الذين نشئوا فى الصحراء استطاعوا السيطرة على البحار وسجلوا مجدا بحريا رائعا .

وكانت هناك أنواع من السفن تستخدم للابحار فى البحر الأحمر، ما بين أيلة وعيذاب أو عيذاب والبحر الحبشى، وهذا النوع ذكره ابن جبير، وكان يعرف باسم الجلاب أو الجلبات، وكان لا يستعمل فى صناعتها مسمار البته، إنما كانت تخيط بأمراس من

القنبار وهو قش جوز النارجيل يصنعون منه حبالا يخيطون بها السفن، وكانوا يدهنون السفن بالسمن أو دهن الخروع أو دهن القرش[١٤٢] .

هذا عن أنواع السفن المختلفة التى تستخدم فى الأسطول الإسلامى أما عن الأسلحة البحرية فكانت تشمل الآتى :-

- **الكلاليب** : وهى عبارة عن خطاطيف من حديد يلقونها على إحدى سفن العدو فيوقفونها ثم يشدونها إليهم، ويرمون عليها الألواح كالجسر، ويدخلون إليها ويقاتلون من فيها[١٤٣] .
- **الباسليقات** : وهى سلاسل فى رؤسها رمانة من حديد، كانت تستخدم فى القتال على سطح السفن[١٤٤] .
- **التوابيت** : وهى صناديق مفتوحة من أعلاها، تكون فى أعلى الصوارى وتستخدم فى الرمى على سفن العدو أو يصعد إليها الرجال قبل دنو العدو حتى لا تصيبهم سهامه، ويقذفون العدو بأحجار صغيرة فى مخلاه بجانب الصندوق وهم محتمون بالصناديق[١٤٥] .
- **اللجام** : وهى أداة من حديد طويلة محددة الرأس جدا أسفلها مجوف كسنان الرمح، تدخل فى خشبة كالقناة بارزة فى مقدم المركب يستخدم فى مهاجمة مركب العدو عن طريق الطعن أو النطح[١٤٦] .

- **المنجنيق** : وهو عبارة عن آله من الخشب تستخدم فى قذف الحجارة، حيث أنه له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف تجعل كفة المنجنيق التى يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسفله إلى أعلى ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج المقذوف منه[١٤٧] وكانت تستخدم فى قذف النفط أو جرار الزيت المغلى أو النيران .

السهام النارية : وهى عبارة عن سهام عادية ملفوف على نصلها فى مشاقة كبريت ورايتنج وقلفونية، ونورة وشحم الكلى يتم إحراق طرفه، وتستخدم فى الرمى على مراكب الاعداء فإذا واجهت الهواء تشعل نارا عظيمة تحرق كل ما تصيب[١٤٨]

جرار النورة : وهى مسحوق ناعم من مزيج الكلس والزرنيخ ويرمون بها فى سفن الأعداء فتعمى الرجال بغبارها .

الزرافة : وهى أنبوبة من النحاس تستخدم فى قذف مزيج من المواد الملتهبة مما يطلق عليه النفط، وكان يقذف مشكلا فتبعث ناره تجاه سفن الأعداء فتحرقها وكانت توضع فى مقدمة السفن أو مؤخرتها أو على الأجناب[١٤٩] .

وهذه النيران كانت لا تنطفئ بملامسة الماء، ولذا كان تأثيرها شديد على السفن وكان البحريون يتخذون سبل الوقاية بأنهم كانوا يعلقون الجلود أو اللبود المبللة بالخل والشب والنطرون لدفع أذى النفط، وكان الرجال يرتدون بعض الملابس الواقية مثل الخيش المطلى بالطلاء الذى لا تحرقه النار[١٥٠] .

ومن الأسلحة البحرية أيضا . **قدور الحيات والعقارب**، وكانوا يرمون بها على سفن الأعداء فتحدث اضطرابا وهرجا بها، وأيضا **قدور الصابون اللين** اللزج لتزلق أقدامهم [١٥١] .

هذا بجانب الأسلحة الشخصية التى يجهز بها كل جندى نفسه، مثل السيوف والرماح والفؤوس، والدبابيس، والأقواس والنشاب وغيرها[١٥٢] .

قيادة الأسطول :

كان لكل أسطول قائد ورئيس ونوتية، حيث أوكلت الدولة أمور البحرية إلى قائد أطلق عليه " **أمير البحر** " وكانت مهمته الإشراف على الأسطول وجميع ما يتعلق به من بناء السفن وتفقد دور صناعة، وتصفح أحواله، وتعهد أعدائه، وانتقاء المهرة من أهل الصناعات والحرف له، واختيار رجاله وتدريبهم[١٥٣] .

وكان الرئيس يدبر أمر جرية بالريح أو المجادف وأمر إرساله فى مرفئه، والنواتية يعملون بأمر الرئيس[١٥٤] فعلى سبيل المثال معاوية بن أبى سفيان لما أذن له بالغزو فى البحر، جعل على البحر عبد الله بن قيس الفزارى أميرا فغزا عبد الله خمسين غزاة ما بين شاتيه وصائفه فى البحر ولم يغرق منها أحد ولم ينكب[١٥٥]

وخلال العصر الفاطمى كان على رأس الأسطول المصرى عشرة قواد عليهم رئيس يسمى قائد القواد، ولهم مرتبات قد تصل إلى ٢٠ دينارا فى الشهر، ويذكر أن ما كان ينفق على الحملة زمن المعز لدين الله الفاطمى أكثر من مائة ألف دينار، وكان يصرف عليه

من خراج الاقطاعات المحبوسة عليه، ووصل عدد رجال الأسطول الفاطمى فى بعض الأحيان أكثر من خمسة آلاف[١٥٦] .

مصادر ومراجع الفصل الرابع

١- **ابن عبد ربه** : العقد الفريد جـ١، ص١٠٨ ٠

٢- **ابـن خلـدون** : المقدمـة جـ٢، ص٦٥٣، **أبـو زيـد شـلبى** : الحضـارة الإسـلامية، ص١٤٧ ٠

٣- **المائدة آية ٦٤ ٠**

٤- **الأنفال آية ٥٧ ٠**

٥- **أبو زيد شلبى** : الحضارة الإسلامية، ص١٤٨ ٠

٦- **الرازى** : مختار الصحاح، ص٤٨، مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز ص١٢٢ ٠

٧- **حسن محمد جودة** : نظم الحضارة الإسلامية، ص١٠٠ ٠

٨- **إبراهيم أحمد العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص١٩٦ ٠

٩- **الجهـاد** : مـأخوذ من الجهد بفتح الجيم وضـمها : الطاقـة وورد فـى قولـه تعـالى " وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ"(التوبة: من الآية٧٩) والجهد بالفتح المشقة ٠

١٠- **الحجر : آية ٩٤**

١١- **النحل آيه١٢٥**

١٢- **ابن هشام** : السيرة النبوية، جـ١، ص٢٨٢ ٠

١٣- **سورة الحج آية ٣٩ ٠**

١٤- **البقرة الآيتان ١٩٠، ١٩١ ٠**

١٥- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص٩٥، ٩٦ ٠

١٦- **البقرة : آية ٢١٦ ٠**

١٧- **التوبة : آية ١٢٢ ٠**

١٨- **الأنفال : آية ٣٩ ٠**

١٩- **البقرة : آية ١٩٤ ٠**

٢٠- **التوبة : آية ٥ ٠**

٢١- **التوبة : آية ٣٦ ٠**

٢٢- **البقرة : آية ٢٤٤**

٢٣- يطلق لفظ الجيش على الجند كما يطلق على جماعة الناس فى الحرب أو السائرين إلى الحرب أو غيرها ٠ **الزبيدى** : تاج العروس مادة جيش ٠

٢٤- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص٩٦، **إبراهيم سليمان الكروى** : المرجع فى الحضارة، ص١٠٢ ٠

٢٥- **الطبرى** : تاريخ، جـ٣، ص٦١٣ ٠

٢٦- **الطبرى** : تاريخ، جـ٣، ص٢٤٧ ٠

٢٧- **الأنفال : آيه ٦٠**

٢٨- **مجدى شحاته محمد فايد** : الجهاد، بحث ضمن " بحوث دراسات إسلامية "، مؤسسة اقرأ، القاهرة ١٩٩٢م، ص٥٧ ٠

٢٩- **الطبري** : تاريخه، جـ٣، ص ٢٤٧

٣٠- **الطبري** : تاريخه، جـ٣، ص ٤٨١

٣١- **محمد عزب دسوقى** : القبائل العربية فى بلاد الشام، ص٢٠٧-٢٢٠ ٠

٣٢- **محمد بطانيه** : في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٩٧

٣٣- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص٩٨ ٠

٣٤- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة، ص١٠٣ ٠

٣٥- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص١٠٤ ٠

٣٦- **ابن الأثير** : الكامل، جـ٥، ص٢٣٦ ٠

٣٧- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص١٠٥ ٠

٣٨- **محمد الخضري** : محاضرات، جـ١، ص١٢٨، ١٣٦، ١٤٩

٣٩- **ابن سيد الناس** : عيون الأثر، جـ١، ص١٥٣، ١٥٦، محمد الخضري : محاضرات، جـ١، ص١٦٠،١٥٩

٤٠- **ابن هشام** : السيرة النبوية، جـ٤، ص٨٣ ٠

٤١- **الطبرى** : تاريخ، جـ٣، ص٣٩٤، ٣٩٥ ٠

٤٢- **الطبرى** : تاريخه جـ٨، ص١٥٢ ٠

٤٣- **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص١٠٢ ٠
٤٤- **الطبرى** : تاريخه جـ٦، ص٥١٢ ٠
٤٥- **الطبرى** : تاريخه، جـ٧، ص٤٣٧ ٠
٤٦- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع، ص١٠٤ ٠
٤٧- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص٩٦ ٠
٤٨- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص١٠٥ ٠
٤٩- **البلاذرى** : فتوح البلدان، جـ٢، ص٣٩٠ ٠
٥٠- **القرطبى** : تفسير القرطبى، تفسير آية ٥٣ من سورة التوبة ٠
٥١- **ابن الأثير** : الكامل، جـ٥، ص٢٣٨ ٠
٥٢- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص١٠٨ ٠
٥٣- **الطبرى** : تاريخه جـ٦، ص٣٢٩ ٠
٥٤- **ابن الأثير** : الكامل، جـ٥، ص٢٣٨ ٠
٥٥- **سورة الصف آية ٤** ٠
٥٦- **ابن خلدون** : المقدمة، ص٢٠٣ ٠
٥٧- **إبراهيم الكروى** : المرجع فى الحضارة ص١٠٥ ٠
٥٨- **ابن خلدون** : المقدمة، ص٢٠٥ ٠
٥٩- **الطبرى** : تاريخه، جـ٤، ص١١ ٠
٦٠- **الطبرى** : تاريخه، جـ٣، ص٣٩٦ ٠
٦١- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع، ص١٠٥ ٠
٦٢- **البقرة : آية ١٥٠**
٦٣- **الممتحنة : آية ٨**
٦٤- **رواه مسلم** : كتاب الجهاد
٦٥- **رواه البخاري** : كتاب الفتن
٦٦- **رواه البخاري** : كتاب الجهاد
٦٧- **الطبري** : تاريخه، جـ٢، ص٦٣

٦٨- **ابن عبد ربه** : العقد الفريد، جـ١، ص١٥٤، **أبو زيد شلبي** : الحضارة الإسلامية، ص١٥٥

٦٩- **الضبور** : آله تشبة الدبابة تصنع من الخشب المغطى بالجلد، ويكمن فيها الجنود بعد تقريبه من الحصن يتقون نبل العدو استعدادا للهجوم على الحصن ٠ **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١١٧ ٠

٧٠- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص١١٧ ٠

٧١- **فتحية النبراوى** : تاريخ النظم والحضارة، ص٢٤٢ ٠

٧٢- **ابن سعد** : الطبقات، جـ١، ص٤٨٦، الطبرى : تاريخه جـ٣، ص١٧٧ ٠

٧٣- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة، ص١٠٦ ٠

٧٤- **فتحية النبراوى** : تاريخ النظم والحضارة، ص٢٤٢، ٢٤٣ ٠

٧٥- **الطبرى** : تاريخه، جـ٣، ص١٧٧ ٠

٧٦- **ابن سعد** : الطبقات الكبرى، جـ١، ص١٧٨، **الطبرى** : تاريخه جـ٣، ص١٧٧ ٠

٧٧- **حسن محمد جودة:** نظم الحضارة الإسلامية، ص١٠٥

٧٨- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٦٩ ٠

٧٩- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة الإسلامية، ص١٠٧ ٠

٨٠- **محمد ضيف الله** : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جـ١، ص١١٧ ٠

٨١- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٧٠ ٠

٨٢- **القلقشندى** : صبح الأعشى، جـ٣، ص٣٨٨ ٠

٨٣- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٧٠ ٠

٨٤- **المقريزى** : الخطط، جـ٢، ص١٨، **القلقشندى** : صبح جـ٢، ص١٣٨ ٠

٨٥- **محمد ضيف الله** : تاريخ الحضارة، جـ١، ص١١٧ ٠

٨٦- **أبو زيد شلبى** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٦١ ٠

٨٧- **محمد عبد الهادي شعيرة** : من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الول والثاني للهجرة، بحث ضمن كتاب دراسات في الآثار الإسلامية، ص٩،٢٩

٨٨- **أحمد مختار العبادي** : نظم الحكم والإدارة، ص١٧٩، ١٨٠

٨٩- **أبو يزيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٦١

٩٠- **الحسك** : شوك مدحرج لا يكاد يمشي عليه إذا يبس، أبن هشام : السيرة النبوية، جـ٢ ،ص٣٠٣

٩١- **أبو يزيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٦٢

٩٢- **إبراهيم سلمان الكروي** : المرجع في الحضارة، ص١٠٧

٩٣- **إبراهيم سليمان الكروي** : المرجع في الحضارة، ص ١٠٧، ١٠٨

٩٤- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٨٩

٩٥- **ابن الأثير** : الكامل، جـ٣، ص٣

٩٦- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٨٩

٩٧- **عبد العزيز سالم، العبادي** : تاريخ البحرية الإسلامية، ص٥

٩٨- **عبد العزيز سالم** : طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ص٣٣

٩٩- **البلاذري**: فتوح البلدان، جـ١، ص١٥٠

١٠٠- **ابن خلدون** : المقدمة، ص١٩٧

١٠١- **الطبري** : تاريخه، جـ٣، ص٣١٥، **السيوطي** : تاريخ الخلفاء، ص١٠٤

١٠٢- **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٦٦

١٠٣- **دار الصناعة** : كانت فيما مضى تطلق على ما يسمى الآن " الترسانة" وهي أسم المكان الذي أعد لإنشاء المراكب البحرية، **المقريزي** : الخطط، جـ٢، ص١٨٩

١٠٤- **الكندي** : الولاة والقضاة، ص ٣٨، المقريزي : الخطط، جـ٢، ص١٩٠

١٠٥- **أبو يزيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٦٧

١٠٦- **إبراهيم الكروي** : المرجع في الحضارة الإسلامية، ص١١٦

١٠٧- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية الإسلامية، ص ٣٧

١٠٨- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٨

١٠٩- **البكري** : مسالك الممالك، ص ٢٨

١١٠- **البلاذري** : فتوح البلدان، ص٢٢٢، **إبراهيم حركات** : السياسة والمجتمع، ص٢٠٦

١١١- **البلاذري** : فتوح البلدان، جـ١، ص٢٧٩، **ابن الأثير** : الكامل، جـ٦ ،ص١٩٦

١١٢- **إبراهيم حركات** : السياسة والمجتمع، ص٢٠٧،٢٠٦

١١٣- **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص١١٤، **أبو المحاسن** : النجوم ،جـ١،ص١٢٧-١٣٨

١١٤- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٩

١١٥- **البلوي** : سيرة أحمد بن طولون، ص٣٤٩، **الكندي** : الولاة، ص٢٨٦، **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص٥٩،٥٧

١١٦- **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٦٧

١١٧- **المقريزي** : الخطط، جـ٢، ص١٨٩

١١٨- **ابن سعيد** : المغرب في حلى المغرب، جـ١، ص ٩٥

١١٩- **سالم، العبادي** : تاريخ البحرية، ص٩٥

١٢٠- **المقريزي** : الخطط جـ٢، ص٩٠، **السيوطي** : حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٢٣

١٢١- **سالم، العبادي** : تاريخ البحرية، ص٩١

١٢٢- **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٢٨، **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص١٠٣-١٠٨

١٢٣- **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٤٨٠، **سعاد ماهر** : البحرية في مصر الإسلامية، ص ٢٣٢

١٢٤- **ابن مماتي** : قوانين، ص٣٤٠

١٢٥- **سالم والعبادي** : البحرية الإسلامية، ص١٣٣

١٢٦- **ابن مماتي** : قوانين، ص ٣٤٠، **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة، ص١٢٩

١٢٧- **ابن مماتي** : قوانين، ص٣٤٠، **محمد فتحي الشاعر** : الحضارة الإسلامية، ص٦٨

١٢٨- **ابن مماتي** : قوانين ص٣٣٩

١٢٩- **ابن مماتي** : قوانين، ص ٣٤٠

١٣٠- **المقريزي** : الخطط جـ٢، ص١٨٠

١٣١- **المقريزي** : الخطط، جـ٢، ص١٩٥

١٣٢- **عبد المنعم ماجد** : نظم الفاطميين، ص٢٣٤

١٣٣- **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة، ص ١٢٩

١٣٤- **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة، ص ١٢٩

١٣٥- **سالم، العبادي** : تاريخ البحرية، ص١٣٣، ١٣٤

١٣٦- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص١٣٤

١٣٧- **المقريزي** : الخطط، جـ٢، ص١٨٥، **ابن سعيد** : المغرب، جـ١، ص٨، **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص١٣٨

١٣٨- **ابن مماتي** : قوانين الدواوين، المقريزي : الخطط، جـ٢، **درويش النخيلي** : معجم السفن الإسلامية

١٣٩- **ابن جبير** : الرحلة، ص٧٠

١٤٠- **أبو زيد شلبي** :تاريخ الحضارة، ص١٦٩

١٤١- **سالم والعبادى**:تاريخ البحرية ،ص١٤١

١٤٢- **ابراهيم حسن سعيد** : البحرية في عصر المماليك، ص٢٣٩

١٤٣- **الحسن بن عبد الله** : آثار الأول، ص ١٩٧، **سعاد ماهر** : البحرية، ص٢٠٣

١٤٤- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص١٤١، **إبراهيم حسن سعيد** : البحرية، ص٢٤٢

١٤٥- **إبراهيم حسن سعيد** : البحرية، ص٢٤١

١٤٦- **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٦٩

١٤٧- **إبراهيم حسن سعيد** : البحرية، ص٢٤١

١٤٨- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص١٤٢، **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص١٧٠

١٤٩- **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص١٧٠

١٥٠- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص١٤٠، ١٤١

١٥١- **قدامة بن جعفر** : الخراج وصناعة الكتابة، ص ٤٧-٥٠

١٥٢- **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص١٧١

١٥٣- **ابن خلدون** : المقدمة، جـ٢، ص٦٢٩

١٥٤- **الطبري** : تاريخه، جـ٤، ص٢٦٠

١٥٥- **سعاد ماهر** : البحرية في مصر، ص ٢٩٩، **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص ١٧١، **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة، ص١٣٣

١٥٦- **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة، ص١٣٣

الفصل الرابع: المدن الإسلامية

- المدينة المنورة
- دمشق
- واسط
- بغداد
- الكوفة
- الفسطاط
- قرطبة
- القطائع
- البصرة
- القيروان
- العسكر
- القاهرة

المدن الإسلامية

المدينة ومدلولها :

المدينة[١] هى مركز استقرار واقامه، وهذا المعنى مشترك بينها وبين القرية، وهناك صفات تميز المدينة عن القرية أبرزها : نمط الحياة والمظهر العام، والكثافة السكانية[٢] ومن أهم المدن الإسلامية الآتى :-

المدينة المنورة :

تبدأ نشأة المدينة الإسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول إليها والتى حولتها إلى "مدينة" ومدينة الرسول ﷺ هى العاصمة الإسلامية الأولى التى اتخذها منذ وصوله إليها مهاجرا من مكة بدأت تتغير معالمها العمرانية تغيرا جمع شتاتها ووحد كيانها، وجعلها مركزا حضاريا متكاملا، يتناسب مع كونها عاصمة الدولة الإسلامية ومركزا سياسيا وإداريا فاكتسبت بذلك صفة المدينة[٣] .

والمدينة المنورة عبارة عن سهل فسيح تحيط به الحراث من جهاته الأربع ويتميز بخصوبة التربة وكثرة المياه وكانت المدينة قبل الهجرة مقسمة إلى محلات سكنية منفصلة تسكنها البطون والقبائل اليهودية والعربية، وكل محله تضم بالإضافة إلى منازلها ومزارعها أطاما حصونا يحتمى بها السكان عند تعرضهم للخطر، بلغ عددها تسعة وخمسين أطما، وكان لكل قبيلة أطامها التى تحتمى بها[٤]

والمدينة كما سماها الرسول ﷺ طيبة فى مستوى من الأرض عذبة برية، جبلية وذلك لأن لها جبلين : أحدهما أحد، والآخر[٥] غير، ولها أربعة أودية، يأتى ماؤها فى وقت الأمطار والسيول من جبال بموضع يقال له حرة بنى سليم على بعد عشرة فراسخ من المدينة، وهذه الأودية هى : وادى بطحان والعقيق الكبير، والعقيق الصغير، ووادى قنا، تتجمع مياه هذه الأودية كلها بموضع يقال له الغابة، ويخرج إلى واد يقال له وادى أضم، ثم يخرج العقيق الكبير والعقيق الصغير فى آبار منها :

بئر عروة:وتقع في طرف وادي العقيق وتنسب إلى عروة ابن الزبير تشتهر بعذوبة مائها ويذهب إليها الزوار ليشربوا منها تبركا بها[٦] .

بئر أنا: وهي بئر ليهود بني قريظة، وتقع في منطقة العوالي بالمدينة، ويستفيد منها السكان في سقيا مزارعهم[٧] .

بئر أنس : وهي ملك لأنس ابن مالك زقد زارها الرسول ﷺ وشرب منها وتشتهر بعذوبة مائها [٨] .

بئر أهاب : يقع في الحرة أرتادها الرسول ﷺ وشرب منها ويسميها سكان المدينة بئر زمزم تبركا بها [٩] .

بئر حلوة : وتقع بجوار دار آمنة بنت سعد في زقاق حلوة وقد أوقفت في القرن الرابع الهجري لسقيا الحجاج [١٠] .

بئر القريصة : تقع في شرق المدينة آتاها الرسول ﷺ وشرب منها ويقال أن خاتمه وقع فيها وهي معروفة حتى اليوم بئر خاتم يقصدها الحجاج للزيارة وتبركا بها [١١]

بئر حار : هذه البئر ملك لإبي طلحة الخزرجي تقع خارج سور المدينة وجعلها وقفا لسقيا الحجاج الوافدين إلى المدينة [١٢]

بئر فاطمة بنت الحسين: تقع في الحرة جنوب غربي المدينة المنورة ،وقامت بخفرها السيدة فاطمة بنت الحسين وأوقفته لسقيا المسلمين [١٣] .

وبئر رمة وهى حفير بنى مازن، ، فيشرب أهل المدينة سائر السنة من هذه الآبار [١٤] .

وبالمدينة عيون نابعة معينة، فمنها :

عين الخيف :تقع شمال شرق المدينة من بعد الخيف الشامي المسمى عند أهل المدينة بالسيح، ولقد أنشئ لها قنوات ومجاري لسقيا المزارع التي تحيط بها وأصلحت هذة القناة التي خربت في عهد الخليفة هارون الرشيد [١٥]

عين الشهداء : تقع بالقرب من جبل أحد شمال المدينة، أنشأت لسقيا المزارع التي تقع شمال المدينة وأصطلح على تسميتها بعين حمزة نسبة إلى شهداء أحد أو إلى حمزة أبن عبد المطلب ﷺ ويذكر أن الذي أمر ببنائها الخليفة معاوية أبن أبي سفيان، ويذكر أيضا أنها كانت قديمة [١٦]

عين الزرقاء : تقع جنوب غرب المدينة وتستمد مائها من عين الجعفرية، وتتصل بمياه آبار عديدة، أنشأ هذه العين الخليفة معاوية سنة ٥٠هـ بعد أن رأى راحة الشام في حصولهم على المياه من الأنهار الجارية في بلاد الشام، وكان هدف الخليفة من إيصال ماء العين إلى المدينة هو استمالة سكانها إليه [١٧]، سميت بعين الزرقاء نسبة إلى والي المدينة مروان ابن الحكم لزرقة عينه [١٨]، وهناك قول آخر في سبب هذه التسمية لأنها تتصل ببئر يسمى الأزرق وهي تقع قرب عين جعرانه [١٩] .

وعين الصورين، وعين تنية مروان، وعين الخانقين، وعين أبى زياد، وعين برد وعين أزواج النبىﷺ[٢٠] ونخيلهم وزروعهم تستقى من الآبار، التى تجريها الإبل والتى تعمل فى الزرانيق، وأكثر أموال أهلها النخيل ومنه معاشهم وأقواتهم، وخراجها من أعشار النخل والصدقات[٢١] .

وقد ورد ذكر يثرب فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :﴿ **وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا**﴾[٢٢] وهى تقع إلى الشمال من مكة[٢٣] ويحدها من الشمال جبل أحد[٢٤] .

وكان التكوين البشرى فى يثرب مختلف عما أصبح عليه بعدما هاجر إليها الرسول ﷺ فقد سكنها اليهود، حيث هاجروا إليها خلال القرنين الأول والثانى الميلاديين، على أثر الحروب التى شنها الرومان ضد اليهود، والتى انتهت بطردهم وزوال دولتهم فى فلسطين[٢٥] فهاجر بنو النضير، وبنو قريظة إلى شمال الجزيرة وسكنوا يثرب، وأقاموا بها الحصون والأطام[٢٦]، فكان هذا بداية استيطان اليهود بيثرب، ظل بنو النضير وبنو قريظة مقيمين بيثرب حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج الوثنية، بسبب إنهيار سد مأرب[٢٧] .

كانت علاقة اليهود بالأوس والخزرج حسنة أول الأمر، إذ سمح لهم اليهود فى البداية بمجاورتهم، ثم بالإقامة معهم فى يثرب ولما كانت الغلبة فى يثرب لليهود والثروة التجارية فى أيديهم، سألهم الأوس والخزرج أن يعقدوا بينهم جوارا وتحالفوا معهم على المسالمة وحسن الجوار، فلم يزالوا على ذلك طويلا، وصار للأوس مال وعدد، فلما رأت

بنى قريظة وبنو النضير حالهم خافوا أن يغلبوهم على دورهم فترصدوا لهم حتى قطعوا الحلف الذى بينهم[٢٨] .

ولما استبدت القبائل اليهودية فى يثرب بالأوس والخزرج، استنجدوا بالغساسنة فقدموا لنجدتهم، ونصروهم حتى أصبح اليهود فى حكم الموالى لهم[٢٩] .

كان الأوس والخزرج فى بداية عهدهم على وفاق، ثم وقعت بينهما حروب طويلة وكان الظفر للخزرج على الأوس . ويقول ابن هشام " أنه كانت بينهم حروب كثيرة منها حرب داحس والغبراء وغيرها[٣٠] .

وكان وصول الرسول ﷺ والمسلمين معه إلى يثرب نهاية للمعاناة والحروب وبداية لمرحلة جديدة طالما انتظرتها المدينة، بل أن أهلها كانوا يتطلعون إلى دعوة النبىﷺ بل بايعوه على الحماية والنصر، ويبدوا أن أهل يثرب من الأوس والخزرج كانوا قد سئموا الحروب والحياة غير المستقرة فلم تعرف يثرب قبل الإسلام أى نوع من الإستقرار السياسى، أو التنظيم الإدارى فكان استقرار الرسولﷺ فيها بداية للاستقرار فى شتى مناحى الحياة[٣١] .

كانت الهجرة إلى المدينة تعنى انطلاقة المسلمين لتأسيس دولة الإسلام فى المدينة، حيث نزل الرسول ﷺ قبل أن يصير إلى موضع المدينة، بقباء على كلثوم ابن الهدم، ثم مات كلثوم فنزل على سعد ابن خيثمة الأنصارى، ودار سعد هذا إلى جانب مسجد قباء وهو أول مسجد أسس على التقوى وكان أول عمل قام به الرسول ﷺ عند وصوله إلى قباء في هجرته إلى المدينة المنورة وصلى فيه الرسول ﷺ إلى بيت المقدس وأقام في قباء في بني عمرو ابن عوف ثم انتقل إلى المدينة وأسس مسجده[٣٢] .

وجدد بناء مسجد قباء في خلافة عمر ابن الخطاب ﷺ وللمسجد أهميته الإسلامية وذكرى طيبة تهفو إليها نفس كل مؤمن ولعموم زائري المدينة، ولأن الرسول ﷺ قال : من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى ركعتين كان له أجر عمرة [٣٣] .

وفي عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك تم تجديد المسجد وزيد في توسعته فأرسلت الأسطوانات من دمشق، كما تجدد بناؤه في عهد أبي جعفر المنصور [٣٤]، وفي سنة

٥٥٥هـ أمر نور الدين محمود زنكي بتجديد بنائه بعد أن أحضرت له أساطين رخامية من بلاد الشام[٣٥] .

ومن المساجد في المدينة :

مسجد القبلتين:يقع هذا المسجد في الشمال الغربي للمدينة المنورة على حافة وادي العقيق ويقال أن الذي جدد بناؤه أخيرا هو الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٧هـ[٣٦] .

مسجد الفتح : ويسمى بمسجد الأحزاب ويقع في مكان الخندق وقد دعى النبي ﷺ فيه فاستجاب الله دعاؤه، قام بعمارته عمر بن عبد العزيز حين كان واليا على المدينة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك حيث شيد أروقته [٣٧]، وفي سنة ٥٧٥هـ جدد بناؤه الأمير أبو الهيجاء حيث شيد قبابه وأعمدته الرخامية وعقودا محكمة بين أعمدته، وهناك مسجد الإجابة شمال البقيع ومسجد المائدة وكان يسمى بمسجد الجمعة[٣٨].

المسجد النبوي :

أسس رسول الله ﷺ مسجده في المدينة المنورة حيث مبرك الناقة، قال ابن هشام :" حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار، بركت على باب مسجدهﷺ ،وهو يومئذ مربض لغلامين يتيمين من بني النجار ٠٠٠سهل وسهيل أبني عمرو"[٣٩]، وقال في موضع آخر : " فأمر به رسول اللهﷺ أن يبنى مسجدا ونزل ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه "[٤٠]، وبجواره من جهة الشرق بنى منزله وكانت أبوابه مطلة على المسجد، وأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأبصار، وكان هذا المكان مصلى أتخذه أسعد ابن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ يصلى بالناي الصلوات الخمس ويجمع بهم"[٤١]، وبدأ الرسول ﷺ عمارة المسجد النبوي شهر ربيع الأول من السنة الأول للهجرة وباشر العمل فيه بنفسه ليرغب المسلمين للعمل فيه ،وبنيت قبلته أولا فى اتجاه الشمال نحو بيت المقدس، وفى سنة ٢هـ عدلت القبلة نحو مكة تلبية للأمر السماوى، ومع تزايد أعداد المسلمين باتت الحاجة إلى توسعة المسجد من فترة للأخرى، وكانت أول توسعة بعد غزوة خيبر سنة ٧هـ [٤٢] .

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة والمثالية في العمل والمشاركة بنفسه في تشييد هذا المسجد وعمارته وقد شاركه الصحابة والمسلمون عمله [٤٣] .

وقد جعل مواد بناءه أن يبنى من اللبن واستخدم في سقفه الجريد وعمده خشب النخيل [٤٤]، وجاء تخطيط المسجد بسيطا حيث كان عبارة عن مساحة مستطيلة مكشوفة تحددها أربعة جدران تتمثل في جدار القبلة الذي يمتد من الشرق إلى الغرب في اتجاه بيت المقدس، يقابله ويوازيه جدار آخر يماثله، أما الجداران الشرقي والغربي فيمتدان من الجنوب إلى الشمال بهيئة متعامدة على طرفي جدار القبلة، وبعد أن انتقل الرسولﷺ إلى الرفيق الأعلى خلفه أبو بكر الصديق ﷺ فلم يزد على ما كان عليه أيام النبيﷺ.

وحين آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب ﷺ قام بتوسعته وذلك سنة ١٧هـ من جهة القبلة فقد سمع النبي ﷺ يقول : "لو زدنا في مسجدنا هذا و أشار بيده نحو القبلة"، وقد أقام أساسه من الحجارة في جوف الأرض بعمق ثلاثة أذرع أي حوالي ١.٥ متر[٤٥]، وقد أقام بنيانه من اللبن فوق الحجارة وسقفه بالجريد وعمده بخشب النخل، ولم يغير في الأبواب شيئا عما كانت عليه من قبل [٤٦] .

بنى بالمسجد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وكان ابتداء عمارته سنة ٢٩هـ، ونهاية سنة ٣٠هـ ،حيث زاد عثمان ﷺ في المسجد زيادة هائلة وجعل مادة البناء الحجارة لشكوى الناس من ضيق المسجد، فزاد فيه من جهة القبلة رواقا ومن جهة المغرب الأسطوانة الثانية ومن جهة الشام عشرة أذرع وقيل خمسين ذراعا، ومن جهة الجنوب مائة ذراعا ولم يزد في أبوابه بل زاد في نوافذه، وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وخشب النخل والجريد وبيضه بالقصة، وبنى المقصورة باللبن، وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الأمام وكان يصلي فيها خوفا من الذي أصاب عمر وكانت صغيرة، وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد وفيها الرصاص، وسقفه بالساج فجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع [٤٧]، وفي عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك أمر واليه على المدينة عمر ابن عبد العزيز بأن يزيد في المسجد النبوي من جهة الشرق والمغرب وشراء الدور المجاورة بعد دفع الثمن لذويها وأدخلت على أثر هذا حجرات أزواج النبي ﷺ وثلاث لعبد الرحمن ابن عوف ،ودار عبد الله ابن مسعود ومن جهة الغرب دار طلحة بن

عبيد الله، ودار عمار بن ياسر، ودار العباس بن عبد المطلب[٤٨]، وزاد من جهة المغرب أسطوانتين، ومن جهة الشرق الأسطوانة الخامسة من المنبر إلى جدار المشرق، وزاد من جهة الشام عشرة أساطين وبناه من الحجارة المطابقة، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ونقش حيطانه بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه من الساج وحلاه بماء الذهب.

ويذكر أنه جعل حيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها ورؤوس الأساطين مذهبة عليها أكف منقوشة مذهبة وكذلك أعتاب الأبواب مذهبة أيضا، وأقام الوليد أربع منائر في زوايا المسجد وتولى ذلك كله عمر بن عبد العزيز أثناء ولايته على المدينة[٤٩] .

وفي عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور تصدع جدر المسجد سنة ١٤٠هـ فأمر بتجديدها .

وفي عهد الخليفة المهدي سنة ١٦١هـ ضيق المسجد بحجاج الموسم فأمر واليه على المدينة جعفر بن سليمان بن على العباس بزيادة المسجد من جهة الشام مائة ذراع والشرق والغرب والقبلة خمسين ذراع، ورفع جداره ذراعين عما كان عليه من قبل، وانتهى من زيادته سنه ١٦٥هـ [٥٠].

واستمر الاهتمام بعمارة المسجد النبوي من قبل الخلفاء العباسيين الذين أخذوا ينفذون الأموال إلى الأمراء على المدينة لتجديد وترميم ما يتصدع من المسجد.

ولما حج نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٥٥هـ أمر بعمل خندق حول الحجرة الشريفة وقد صب فيه الرصاص، وفي خلافة الناصر لدين الله العباسي عمر المسجد النبوي الشريف بواسطة إرسال النقاشين والصناع من بغداد سنة ٥٧٦هـ لعمارة المسجد وأرسلت القناديل التي صنعت وهيئت لأضاءته.

ومن حول المسجد الجامع اختطت منازل المهاجرين فى الأرض التى وهبها الأنصار للرسول ﷺ ،وأقطع الرسول ﷺ بدوره الصحابة الأراضى لبناء دورهم . واتجه إلى الجمع بين ذوى القربى فى موضع واحد[٥١] .

واتخذ الرسول ﷺ من مسجده مكانا للقاء المسلمين، وجامعة يتعلمون فيها أمور دينهم وأحوال دنياهم، وفيه كان الرسولﷺ يتلقى الوحى فيعلم المسلمين ما ألقى إليه من ربه، وفيه كانت تعقد المعاهدات، وتمضى العهود، ويعلن عن الجهاد، وتقلد الرايات، وينظر فى المظالم، وتستقبل الوفود(٥٢) .

عاشت مدينة الرسول ﷺ عصرا من الاستقرار السياسى لم تعرفه من قبل، كما عاشت فترة من الرخاء الاقتصادى فقد أصبحت رؤوس الأموال ومصادر الدخل فى أيدى أهلها، خاصة بعد جلاء اليهود عنها، وتهيأت للدفاع عن دين الإسلام بل أخذت على عاتقها حماية هذا الدين ونشره خارج شبة الجزيرة العربية

بجانب المسجد النبوى، كانت هناك مساجد اشتملت عليها خطط المدينة، تلبى حاجات المصلين فى هذه الخطط للصلوات الخمس فقط، أما الصلوات الجامعة فكانت فى مسجد الرسول ﷺ باعتباره المسجد الجامع، وكان لكل قبيلة فى خطتها مقبرة خاصة لها حسب التقليد القبلى، وبالرغم من أن البقيع أصبحت سنة ١٠هـ / ٦٣١م أرض دفن جامعة، فإن كل قبيلة عرفت لها جزءا من أرضها استخدمته للدفن(٥٣) .

واستكمالا لمرافق المدينة العمرانية اهتم الرسول ﷺ بانشاء السوق اتخذه فى موقع بقيع الزبير، واعترض عليه كعب بن الأشراف أحد زعماء اليهود المناوئين للإسلام فنقلها الرسول ﷺ إلى موقع سوق المدينة، وقال : " هذا سوقهم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج"(٥٤) .

وكان سوق المدينة فضاء واسعا لا بناء فيه، والمكان لمن سبق، وضربت فيه الخيام، ولم يبدأ بالسوق إلا فى بداية العصر الأموى وذلك بداية من عهد معاوية .

واتخذ الرسول ﷺ المعسكرات لجنده خارج المدينة على مسافة منها، ومثال لذلك معسكر الجرف الذى بعد عن المدينة ثلاثة أميال اتجاه الشمال(٥٥) .

وظلت مدينة الرسول ﷺ عاصمة للخلافة الإسلامية وحاضرة للمسلمين خلال عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة .

ومرت الأحداث العنيفة التى ميزت عصر عثمان بن عفان ﷺ وعبرت الأمة المحنة يوم كانت بلا إمام إلى أن انتخب الإمام على كرم الله وجهه إماما للمسلمين، ولما

غادرها إلى العراق فارقتها الخلافة، وزال عنها مقر الحكم إلى دمشق ومنها إلى بغداد[٥٦] .

٣- الكوفة ١٧هـ / ٦٣٨م[٥٧]

السبب فى بنائها، يذكر أنه بعد فتح المسلمين للعراق كانت رسلهم ترد على عمر ﷺ، فيرى فى وجوههم، وألوانهم تغيرا، فسألهم عن سر ذلك فقالوا له : وخومة البلاد، فكتب إلى سعد بن أبى وقاص انبئنى ما الذى غير ألوان العرب ولحومهم فكتب إليه "إن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة"، فكتب إليه عمر "إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق ابلها من البلدان فابعث سلمان وحذيفة وكان رائدى الجيش دائنين فليرتادا منزلا بريا وبحريا ليس بينى وبينكم منه بحر ولا جسر[٥٨] فبعث سعد بن أبى وقاص سلمان وحذيفة يسيران غربى الفرات حتى أتيا موضع الكوفة" وهو حصباء ورمل فأتيا عليها وفيها مميزات ثلاث هى : ارتفعت أرضه عن البقة، وتطأطأت عن السخة، وتوسطت الريف، وظعنت فى آنف البرية[٥٩]، فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا، ودعوا الله أن يبارك لهم فى هذه الكوفة وكتب إلى سعد بالخبر، فأبلغه سعد إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فأمره أن يسير بالجنود إليها فأرسل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة فى المحرم سنة ١٧هـ / يناير ٦٣٨م[٦٠] .

وكان عمر يريد أن يقيم المسلمون فى خيامهم، لأن ذلك أجد فى حروبهم، وأذكى لهم، وأهيب فى عين عدوهم، ولما استأذنه أهل الكوفة والبصرة فى بنيان القصب لم يحب أن يخالفهم، وأذن لهم فابتنى أهلها بالقصب، ثم أن الحريق وقع فى الكوفة وبالبصرة[٦١] فاستأذنوا عمر فى البناء باللبن، فقال : " أفعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات (حجرات)، ولا تطاولوا فى البنيان " وجعل على تنزيل أهل الكوفة والإشراف على بناءها أبو الهياج ابن مالك الأسدى[٦٢] .

أرسل سعد إلى أبى الهياج فأخبره بكتاب عمر فى الطريق : من " أنه أمر بالمناهج – الشارع الرئيسى – أربعين ذراعا، وما يليها الشوارع الثانوية ثلاثين ذراعا، وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبعة أذرع ،وليس دون ذلك شئ، وفى القطائع ستين ذراعا[٦٣] .

وكان أول شئ خط بالكوفة مسجدها فاختطوه، وجاء تخطيط المسجد في عهد الوالي سعد ابن أبي وقاص من مساحة مربع تنقسم إلى صحن وظلة القبلة، ثم قام فى وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه وشماله، ومن بين يديه ومن خلفة، ثم أمر ببناء الخطط وراء مواقع السهام، وبنى فى مقدمة المسجد ظله ذرعها مائتان على أساطين رخام كانت للأكاسرة، وبنوا بجوار المسجد دار الإمارة بينها وبين المسجد طريق منقب مائتى ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال، وبنى ذلك له روربة الفارسى من أجر بنيان الأكاسرة بالحيرة[٦٤] .

وبالنسبة لتقسيم الخطة بين أفراد القبيلة، فإن اليعقوبى يذكر ذلك بقوله : "إن كل قبيلة كانت تقسم الخطة المخصصة لها " وكان الأمر متروكا لحرية تصرف اختيار القبيلة، وكان لكل قبيلة فى خطتها مسجد ومقبرة خاصة بها .

ومن هذه المنطقة "وسط المدينة" امتدت الشوارع "المنهاج" خمسة فى اتجاه الشمال، وأربعة فى اتجاه الجنوب، وثلاثة فى اتجاه الشرق، وثلاثة فى اتجاه الغرب، وأطلق عليها "مناهج أهل العزم" وكانت الشوارع الثانوية تسير موازية للشوارع الرئيسية، وأحيانا متقابلة معها، وأطلق عليها "منهاج الدهناء"[٦٥]، ثم يلى ذلك الشوارع الفرعية التى كانت أقل اتساعا، وتربط التكوينات المعمارية بالشوارع الثانوية والرئيسية[٦٦] .

وبالنسبة لتقسيم الخطة ...

كان سوق المدينة فى منطقة الوسط، وكان عبارة عن ساحة مضاء كما هو الحال وسوق المدينة المنورة، حيث كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حريصا على أن تظل السوق بالهيئة التى أقرها الرسول ﷺ فى المدينة[٦٧]، وأشار اليعقوبى أن السوق فى الكوفة كان فضاء لا توجد به مبان أو سقف سوى تلك الظلل التى عملت لتظل البائعين فى أماكنهم التى اختاروها، واستمرت السوق على هذه الهيئة فى عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) عندما قام عامله على الكوفة خالد القسرى بإنشاء الأسواق على هيئة معمارية جديدة، تشتمل على جوانب سفلية ومساكن علوية لمبيت التجار[٦٨] .

وقد اتخذ على بن أبى طالب رضي الله عنه الكوفة قصرا لخلافته، وذلك لأن بها شيعته وأنصاره، ولخصوبة أرضها، وكثرة خيراتها، ووقوعها فى مكان متوسط بين أقاليم الدولة

الإسلامية، ولأنها من وجهة نظره أصلح من غيرها فى حرب معاوية بالشام[٦٩]، وما زال لها شأن عند الشيعة إلى وقتنا الحالى، وفى ولاية عبد الله بن زياد، بنى المسجد وأنفق عليه نفقات طائلة، حتى أصبح فريدا بين مساجد زمانه[٧٠] .

ثم اتسعت الكوفة وامتد عمرانها حتى بلغت فى أوائل القرن الرابع الهجرى ستة عشر ميلا وثلثى ميل، وبنى فيها خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربع وعشرون ألف دار لسائر العرب، وسته آلاف دار لليمن[٧١] .

والتخطيط الذى وضع لبناء الكوفة، يدل دلالة واضحة عن نظام هندسى راقى، فضلا عن كونه يتلاءم مع طبيعة العرب، فلم يحجب هواء البادية عن أهلها الذين نشأوا فى بادية الجزيرة العربية، لكثرة الشوارع واتساعها، فعاد إليهم نشاطهم واستردوا حيويتهم وقوتهم[٧٢] .

٣- البصرة ١٧هـ / ٦٣٨م [٧٣]

البصرة أقدم المدن الإسلامية، وهى تقع عند ملتقى دجلة والفرات فى الموضع المعروف بشط العرب، وموقعها قريب من الماء والمراعى فى طرف البر إلى الريف فيه قصباء – ما يشبة البوص – ودونه منافع ماء، وهى إحدى أمهات مدن العراق الشهيرة، وهى مدخل العراق الجنوبى وتقع فى ملتقى البحر والسهل والخصب والصحراء إذ هى مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين[٧٤] .

وعن تاريخ بناؤها هناك اختلاف بين المؤرخين فى تحديد ذلك حيث ذكر أنها بنيت قبل الكوفة فى سنة ١٤هـ، ويذكر البعض أنها بنيت بعد الكوفة سنة ١٧هـ، ويمكن الجمع بين الآراء فى أن العرب نزلوها سنة ١٤هـ إلا أنها لم تخطط إلا فى سنة ١٧هـ تلك السنة التى خططت فيها الكوفة، ويؤكد ذلك قول الطبرى : " أن أهل الكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمر ﷺ فى بنيان القصب فلم يحب أن يخالفهم فأذن لهم فابتنى أهلها بالقصب، فلما وقع حريق بالكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمر ﷺ فى البناء باللبن فقال " افعلوا ولا يزيد أحدكم على ثلاث حجرات ولا تطاولوا فى البنيان، وكتب إلى عقبة بن غزوان وأهل البصرة بمثل ذلك، وجعل على تنزيل أهل البصرة والإشراف على بناءها عاصم بن الدلف أبو الجرداء .

وكان السبب فى نزول المسلمين بها سويد بن قطبه الذهلى كان يغير على العجم فى ناحية الخريبة من البصرة قبل أن ينزلها، ولما بلغ عمر رضي الله عنه خبره وما يصنع بالبصرة، رأى أن يوليها رجلا من قبله، وأن ينزلها المسلمين، ليحولوا بين أهل فارس ومن إليهم، وإمداد اخوانهم من أهل المدائن ونواحيها، فولاها عتبه بن غزوان، وقال له : أن الحيرة قد فتحت فأت أنت ناحية البصرة، واشغل من هناك من أهل فارس والأهواز وميسان عن امداد إخوانهم فسار إليهم عتبة فى أكثر من ثلاثمائة رجل انضم إليه سويد بن قطبة وغيره من الأعراب وأهل البوادى، ونزلها فى ربيع الأول أو الآخر سنة أربعة عشر[٧٥] .

كتب بن غزوان إلى الخليفة عمر يستأذنه فى تمصير البصرة وقال له : "إنه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا اشتوا ويكسون – يستترون – فيه إذا انصرفوا من غزوهم[٧٦]، فكتب إليه الخليفة عمر : إن ارتد لهم منزلا قريبا من المراعى والماء، واكتب إليا بصفته، فكتب إليه "إنى قد وجدت أرضا كثيرة الفضة – الحجارة – فى طرف البرالى الريف، ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء "[٧٧] .

ولما وصلت الرسالة إلى عمر قال : "هذه أرض بصرة، قريبة من المشارب والمراعى المحتطب"[٧٨] وكتب إليه أن أنزلها، فنزلها وبنى مسجدها من قصب باعتباره نواة المدينة، وبجواره عن قرب دار الإمارة، ثم أقطعت القبائل خططها حول المسجد، وخططت الشوارع فجعلوا عرض شارعها الأعظم ستين ذراعا، وجعلوا عرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعا، وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمربط خيلهم وقبور موتاهم وتلاصقوا، ولم يفعلوا ذلك إلا عن رأى اتفقوا عليه، أو نص لا يجوز خلافة، وتركت حرية تقسيم الخطط للقبائل التى اختطت وبنيت منازلها[٧٩]، وبنى الناس منازلهم من القصب فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب، ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو، فيعيدون بناءها كما كان وهكذا[٨٠] .

ولما مات عتبة بن غزوان ولى عمر عليها أبا موسى الأشعرى سنة ١٧هـ/٦٣٨م وظل حتى سنة ١٩هـ/٦٤٠م[٨١] وفى عهده بدأت تزداد أهمية البصرة وزاد عدد المهاجرين إليها، وأدى ذلك إلى تطورها فاختط الناس، وبنوا المنازل باللبن، بعد أن أذن لهم عمر فى ذلك لأن القصب كان يحترق "كما ذكرنا"، وبنى أبو موسى الأشعرى المسجد الجامع بها

باللبن والطين وكذلك دار الإمارة، وسقفها بالعشب[٨٢] ،ويعد مسجد البصرة من الساجد الأولى التي شيدت خارج شبه الجزيرة العربية في العصر الراشدي، وكان من مساحة مربعة خططت على هيئة صحن وظلة للقبلة على غرار المسجد النبوي، وأمر الناس بالبناء فى الخطط التى فتحت لهم، واتجه إلى تزويد المدينة بالماء الصالح للشرب ولا سيما أن المياه التى كانت تصل إليها كانت مالحة، فبدأ مشروع حفر نهر الأبلة[٨٣] ،الذى تم فى عهد عبد الله بن عامر (٣٦-٢٥هـ/٦٤٦-٦٥٧م)، وهو وغيره من مجموعة الأنهار التى زودت المدينة بالماء اللازم، ووصلتها تجاريا بالأقاليم المجاورة فدفع ذلك إلى نموها وازدهارها[٨٤] .

وساهم عبد الله بن عامر أثناء ولايته للبصرة على تطويرها حيث شجع العمران بالمدينة، ومنح الإقطاعات للأشخاص لزيادة الإنتاج، واتخذ الأسواق بالمدينة، فقام بشراء عدد من الدور وبنى فى موضعها سوقا ولا سيما المربد لم تعد قادرة على سد الحاجات الجديدة بالمدينة[٨٥] .

ولما استعمل معاوية بن أبى سفيان زياد بن أبيه واليا على البصرة سنة ٥٥هـ/٦٧٤م مرت البصرة بمرحلة تالية من التطور، حيث بدأت المنازل وغيرها تبنى بالأجر والحصى فأعاد بناء الجامع ودار الإمارة بهذه المواد وسقفه بالساج، وبنى منارة المسجد بالحجارة فصار من أحسن الأبنية[٨٦] كما أعاد زياد بن أبيه تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها السكنية، متبعا نفس نظام الكوفة، فقسمها إلى خمسة أخماس، كل خمس مجموعة من العشائر التى تنتمى إلى قبيلة واحدة ويرأسه رئيس من تلك القبيلة، وسهل ذلك فى إدارة المدينة، وسهل استنفار الجند وهذا هو الهدف الأسمى من هذا التقسيم[٨٧].

كما شجع زياد بن أبيه على تأسيس الأسواق حيث بنى "مدينة الرزق" وهى عبارة عن سوق واسعة لها أربعة أبواب وتحتوى على أنشطة اقتصادية، كما أنه اهتم بإنشاء الوحدات العمرانية المتصلة بإتساع المدينة وزيادتها، كالمحلات والمربعات والحمامات[٨٨] .

وصاحب اتساع مدينة البصرة زيادة فى عدد سكانها ويدل على ذلك أن عدد مقاتليها خلال عهد زياد بن أبيه بلغ ثمانين ألفا، وعيالهم مائة ألف وعشرين ألف عيل[٨٩] .

ونظرا لموقعها المتوسط بين الشام وفارس، أسرع إليها العمران واتخذها الأمويون مقرا لإمارة العراق فاتسعت عمارتها حتى بلغت مساحتها فى إمارة خالد بن عبد الملك القسرى(١٢٠-١٠٦هـ) فرسخين[٩٠] ،والفرسخ يساوى ٥٥٤٤متر[٩١] .

وكانت البصرة خلال العصر العباسى ملتقى التجارة، وتجارتها تمتد شرقا إلى الهند والصين، وغربا إلى أقصى بلاد المغرب، وجنوبا إلى الحبشة، واشتهر أهلها بالأسفار التجارية إلى كل الجهات، ويؤكد ابن الفقيه الهمذانى، على شهرة تجار البصرة وكسبهم فى الاتجار مع البلاد المختلفة، بقوله : "أبعد الناس نجعه – سعى وراء الكلأ – فى الكسب بصرى وحميرى"[٩٢] .

ومما زاد أهمية البصرة التجارية خلال العصر العباسى أنها ورثت نشاط الأبلة التجارى، حيث انتقل إليها عدد كبير من التجار، فزاد عمرانها وتوسعت حدودها حتى أصبحت الآبلة وعبادان أشبه بضواحى البصرة، ويؤكد المقدسي ذلك بقوله : "أما البصرة ضمن مدنها الآبلة"[٩٣] .

ومن الجدير بالذكر أن الأهمية التجارية والاقتصادية للبصرة قد لفتت أنظار الخلفاء العباسيين، لكونها تدر موارد غير قليلة على خزينة الدولة، سواء عن طريق مزاولتها النشطة للتجارة أو من تردد عدد كبير من التجار الغرباء أصحاب الثروات عليها أو الإقامة فيها مما حفز بعض الخلفاء على إدخال بعض الإصلاحات فيها واستحداث الخدمات العامة، منها انتقاء خبرة الولاة لإدارتها، ومداومة الإشراف عليها، وإيصال المياة العذبة من نهر دجلة إليها[٩٤]، قال البلازدى : وكان الولاة والإشراف بالبصرة يستعذبون الماء من دجلة ويحضرون الصهاريج[٩٥] .

وكانت مياه البصرة مرسى مئات السفن التجارية التى كانت تحمل أصناف التجارات منها وإليها، وقد أشاد المقدسى بتجارتها قائلا :لم تسمع بخز البصرة وبزها

وطرائفها وبأزرها، وهى معدن اللؤلؤ والجواهر وفرضة البحر ومطرح البر[٩٦] ولذا تكاثرت ثرواتها وبنى أهلها القصور والحدائق، وأنشأوا البرك والميادين[٩٧] ٠

وهكذا تحولت البصرة من مجرد معسكر حربى إلى مدينة ذات معايير مدنية واضحة، تمثلت فى مناحى الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ٠

٤- دمشق :

تقع دمشق في أرض مستوية على خط طول ٣٠شرقي غرينتش وعلى درجة عرض ٣٣شمالا إلى الشرق من المنحدرات الشرقية لجبال لبنان الشرقية، وتتكون من ثلاثة أقسام طبيعية هي المنطقة السهلية والمنطقة الجبلية المحيطة بالمدينة، ويشرف على دمشق من جهة الغرب جبل الشيخ ويعرف بجبل الثلج بينما تتصل من الشرق والجنوب بادية الشام ولذا تتمتع بموقع جغرافي فريد، ويصفها اليعقوبي بقوله : " ومدينة دمشق مدينة جليلة قديمة، وهي مدينه الشأن في الجاهلية والإسلام، وليس لها نظير في جميع أجناد الشأن في كثرة أنهارها وعمارة نهرها الأعظم يقال له بردا ٠٠٠وكانت منازل ملوك غسان، وبها آثار لآل حفنة والأغلب على مدينة دمشق أهل اليمن، وبها قوم من قيس، ومنازل بني أمية وقصورهم أكثر منازلها وبها خضراء معاوية، وهي دار الأمارة ومسجدها الذي ليس في الإسلام أحسن منه بالرخام أو الذهب٠٠٠"، ودمشق من المدن القديمة فى بلاد الشام[٩٨] وهى مدينة الشام فى الجاهلية والإسلام، وليس لها نظير فى جميع مدن الشام فى كثرة أنهارها وعمارتها، ونهرها الأعظم يقال له "بردا"[٩٩] وهى قلعة من قلاع العلم والحضارة يشهد بذلك تاريخها القديم وقد توالى على دمشق كثير من الحكام فاهتموا بها، وجعلوا منها قبلة للعلماء، حكمها الآراميون واليونانيون والرومان والبيزنطيون، ودخلها المسلمون فاتحين فى عصر الفاروق عمر سنة أربع عشرة حيث افتتحها أبو عبيدة بن الجراح من باب لها يقال له باب الجابية صلحا، بعد حصار سنة، ودخلها خالد بن الوليد من باب يقال له الشرقى بغير صلح، فأجاز أبو عبيده الصلح فى جميعها وكتبوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فأجاز ما عمل به أبو عبيده[١٠٠]، لتبدأ مرحلة جديدة فى تاريخها، ولتسهم فى بناء صرح الحضارة الإسلامية ٠

ودمشق بحكم موقعها الجغرافى ملتقى الحضارات، فهى منذ القدم البوتقة التى انصهرت فيها حضارات الشرق القديم، من العراق ومن بلاد الحيثيين ومن مصر، وظل دورها كمركز من مراكز الحضارة علامة بارزة فى تاريخها ٠

وكانت دمشق خلال العصر الأموى حاضرة الدولة الإسلامية، حيث اتخذها الخلفاء الأمويون مقرا لهم بنى بها معاوية دار الإمارة وكان بناء المسجد الأموى نقطة تحول فى تاريخ المدينة، إذ أصبحت واحدة من أهم المدن الإسلامية٠

المسجد الأموي :

يعد المسجد الأموى أهم الأثار الإسلامية بها ٠ ويقول ابن جبير أن المسجد الأموى من أشهر جوامع الإسلام حسنا، واتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة فى ذلك تغنى عن استغراق الوصف فيه ٠٠٠أنتدب لبناءه الوليد بن عبد الملك رحمه الله ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص أثنى عشر ألفا من الصناع من بلاده٠٠٠فأمتثل أمره ٠٠٠فشرع في بناءه وبلغت الغايات في التأنق فيه، وأنزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء، وخلطت بها أنواع الأصبغة الغريبة ،قد مثلت أشجارا، وفرعت أغصانا منظومة بالفصوص، ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف٠٠٠وذكر أنه وضع في بناءه مائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار ومائتا ألف دينار، فكان مبلغ الجميع أحدا عشر ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار"[١٠١] ٠

وقد جاء المسجد يشغل مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب طولها ١٥٦م بعرض ٩٧م، وفي سنة ٤٧٥هـ /١١٨٢م غطيت الثلاث قباب بجمالون يتوسطه قبة حجرية من قبل السلطان ملكشاه السلجوقي ويصل أرتفاعه عند البلاطة الوسطى ٢٣م بينما أرجاء المسجد ١٥م٠

أما الصحن فقد جاء من مساحة مستطيلة يبلغ طولها ١٢٥م تقريبا ويزيد عرضها عن ٦٠م تحيط به ظله من جوانبه الثلاثة الشمالية الغربية، والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية وتتكون كل ظلة من بلاطة واحدة٠

ويروى أن المسجد أصلا هو ما اختطة أبو عبيده بن الجراح أحد قادة الفتح، وكان قد دخل المدينة بعد فتحها صلحا سنة ١٣هـ/٦٣٤م واستولى على النصف الشرقى للكنيسة

المسيحية بها وصيره مسجدا، وهو جامع دمشق المعروف[١٠٢] وظل النصف الغربى بأيدى المسيحيين وفقا لشروط الصلح ٠

وفى رواية أخرى أن المسجد أقيم مكان معبد وثنى قديم للإله جوبتر :حوله الإمبراطور ثيودور سنة ٣٧٩م إلى كنيسة عرفت باسم كنيسة القديس يوحنا، فبنى أبو عبيده بن الجراح المسجد الأول فى دمشق، فلما جاء الوليد بن عبد الملك أرسى مسجده مكان المعبد والجامع والكنيسة معا[١٠٣] ٠

ويرى علماء الأثار أن المسجد الأموى فى دمشق بنى كله دفعة واحدة ولم يدخل فى بنائه الكنيسة أو المعبد، كما لم يكن بناؤه استكمالا لبناء سابق، ذلك لأن الوليد بناه دفعة واحدة – وظل بناءه لمدة ثمانية أعوام، وانفق عليه خراج الدولة الإسلامية سبع سنين[١٠٤] ٠

والمسجد الاموى من المساجد الجامعة العظيمة فى الإسلام، وقد كان موضع عناية واهتمام الخلفاء والملوك والسلاطين والحكام فزادوا فيه، واحتل مكانة بارزة فى تاريخ الحضارة الإسلامية، فهو الذى جعل المدينة تتوق إليها الأنظار، ويؤمها العلماء ورجال الدين، ويفد إليها طلاب العلم من كل مكان، وظلت مدينة دمشق حاضرة الشام عاصمة للخلافة الإسلامية حتى انتهاء الدولة الأموية[١٠٥]

قصر الخضراء والصفراء :

نزل الأمويون مدينة دمشق في العصر الراشدي وبنوا فيها قصورهم ومنازلهم ومنها خضراء معاوية التي أقامها معاوية ابن أبي سفيان أثناء ولايته على الشام في خلافة عثمان بن عفان ﷺ ثم أصبحت دار للأمارة، وبقيت قصر الخلافة الأموية بعد إعلان الدولة الأموية في عام ٤١هـ / ٦٦١م ويعد هذا القصر من روائع العمارة بدمشق ويقع إلى الجنوب من سور الجامع عرف بقصر الخضراء لأن القبة والجدران طليت باللون الأخضر، مر القصر بمرحلتين من العمارة وظل مقرا للأمويين حتى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك(٩٩-٩٦هـ/٧١٥-٧١٧م) حيث اتخذ مقرا آخر بدل من قصر الخضراء فشيد قصرا بدرب محرز في موضع سقاية جيرون وجعل له قبة صفراء "

٥- الفسطاط ٢١هـ /٦٤١م:

دخل عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية بعد فتحها، ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها فهم أن يسكنها وقال :"مساكن قد كفيناها"[١٠٦] .

فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب﵁ يستأذنه فى ذلك، فسأل الخليفة رسول عمرو : هل يحول بينى وبين المسلمين ماء، قال نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل، فكتب الخليفة عمر﵁ إلى عمرو : "أنى لأحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف[١٠٧]، على ذلك تحول عمرو عن الإسكندرية إلى الفسطاط، واختار موضع الفسطاط على الشاطئ الشرقى للنيل بجوار حصن بابليون .

ويحدد المقريزى موقع مدينة الفسطاط حين اختطها العرب فيذكر : "أنه كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم، ولم يكن فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف بقصر الشمع، وبالقلعة وكان بجوار هذا الحصن من بحرية، وهى الجهة الشمالية أشجار وكروم، فضاء موضعها الجامع العتيق وكان فيما بين الحصن والجبل عدة كنائس للنصارى ... "[١٠٨] .

هذا ويدل موقع الفسطاط على نظرة صائبة من قبل العرب إذ يمتاز موقع هذه المدينة بتوسطه بين مصر السفلى، والعليا، وله عدة مزايا تجارية وسياسية وحربية، فقد اثبتت الحفريات أنها قامت على كتلة عظيمة من الصخر، تشمل هضابا ووهادا وكان وجودها على تلك الربوة يمنع فيضان الماء عليها، وكانت هذه الربوة مغطاة فى وقت ما باحجار كبيرة جدا، فكسرت وسويت[١٠٩] .

وكان جانب المدينة الشرقى جبليا، يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال، وكانت تبدو حين ينظر إليها من بعيد كأنها جبل[١١٠] وقد اعتاد العرب عامة على اختيار عواصمهم بعيدة عن السواحل[١١١] .

وبهذا تحققت للفسطاط الحماية الطبيعية، وكان وجودها على رأس الدلتا قد جعلها فى مأمن من هجمات العدو فيحميها من الشرق جبل المقطم ضد العدو وضد فيضان النيل، كما كان لها جانب يمكن أن يضطرد اتساعها منه وهو الشمال، وبنيت العسكر والقطائع فى هذه الناحية[١١٢] .

وقد تعددت آراء المؤرخين حول لفظ فسطاط الذى أطلق على العصمة الجديدة، من اشهر هذه الآراء أنها سميت نسبة إلى فسطاط عمرو أى خيمته، الذى تركه فى ذلك المكان عندما أراد التوجه إلى الإسكندرية بعد فتح حصن بابليون، إذ وجد يماما قد فرخ فقال عمرو : "لقد تحرم منا بحرم" وأقر فسطاطه كما هو وأوصى به صاحب الفقر، ولما عاد المسلمين من الإسكندرية قالوا أين ننزل ؟ قال : الفسطاط، أى لفسطاطه الذى كان خلفه[١١٣] .

ويذكر الجواليقى أن لفظ فسطاط فارسى معرب[١١٤]، والأصوب أن هذا اللفظ مشتق من اللفظ اليونانى "فساطن" المشتق من اللفظ اللاتينى **(Fossatum)** الذى يطلقه الرومانيون على معسكراتهم الحربية، وكانت كلمة فسطاط شائعة فى أرجاء الامبراطورية البيزنطية حيث كانوا يطلقونها على معسكراتهم الحربية وتؤيد أوراق البردى ذلك القول، فاسم فسطاط كان موجودا قبل تأسيس الفسطاط، وقد احتفظ العرب بتلك التسمية بعد ما احتلوا المعسكر الحربى[١١٥] .

كانت الفسطاط أول أمرها مدينة متواضعة مشيدة باللبن لا يعلو بنيانها على الطابق الواحد[١١٦]، وكان هذا يتفق مع حياة البساطة التى كان عليها المسلمون فى ذلك الوقت، كما جرت العادة لدى العرب بدأ عمرو بإنشاء المسجد الجامع، وخط فى المنطقة المحيطة به سوقا ومن حول ذلك السوق اختطت الخطط للقبائل وجعلت خطة "أهل الرأى" قريبة من المسجد[١١٧]، واختط عمرو داره بجوار المسجد، وحول داره والمسجد خطط القبائل العربية وغيرهم من أقوام الفرس والروم الذين سبق لهم الدخول فى الإسلام[١١٨] .

ويشير وصف هذه الخطط إلى أن بعضها اختص بقبيلة واحدة، وأن القبائل الكبيرة العدد كان لها أكثر من خطة، والقبائل محدودة العدد ضمت مع بعضها فى خطة واحدة[١١٩] .

وكانت خطط القبائل العربية تمتد من النيل غربا حتى عين الصيرة شرقا، ومن جبل يشكر شمالا حتى الشره وجبل الرصد (اسطبل عنتر جنوبا)[١٢٠] وبلغت خططها سبعا وأربعين خطة عند إنشائها [١٢١] وأطلقت على كل خطة اسم القبيلة التى استقرت فيها،

وتركت حرية تقسيم كل خطة لأفراد القبيلة، وكان بكل خطة مسجد أو أكثر، وتضمنت الخطط ساحات فضاء أو رحاب استغلت فى أغراض مختلفة[١٢٢] .

ولم تكن خطط الفسطاط لجميع قوات عمرو، وذلك لأن عمرو بن العاص كان قد استبقى نصف قواته للإقامه بالفسطاط، فى حين أرسل فريقا من قواته للمرابطة بالإسكندرية وسائر الثغور المصرية[١٢٣] .

وعلى الرغم من أن الفسطاط بدأت متواضعة إلا أن العرب سرعان ما تخطوا البساطة وتوسعوا فى البناء إذ شيد عبد الله بن سعد بن سرح والى مصر (٣٥-٢٥هـ) من قبل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ قصرا كبيرا عرف باسم "قصر الجن"[١٢٤] .

كما بنى مروان بن الحكم لنفسه بعد أن ولى الخلافة دارا عظيمة عند قدومه إلى مصر سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م، كذلك شيد بها عبد العزيز بن مروان دارا ضخمة أطلق عليها دار الذهب، وجعل لها قبة كانت إذا طلعت الشمس عليها لا يستطيع الناظر التأمل فيها خوفا على بصره، ويقال إن الدار كانت من الضخامة لدرجة أنها سميت بالمدينة لعظم سعتها[١٢٥] .

وبنى بالفسطاط أيضا الحمامات والأسواق، والميادين كما أسس لها المصانع المختلفة، فبنى عبد العزيز بن مروان قيساريات العسل والحبال والبز، وبنى هشام بن عبد الملك قيساريته التى تعرف بقيسارية هشام[١٢٦]، وهكذا شقت الفسطاط طريقها لأن تكون مدينة ذات حضارة لأن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التى تدعو إليها الترف والدعة وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها[١٢٧] .

وعلى الرغم ما تعرضت له الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية من تدمير خلال الاضطرابات التى تعرضت لها بعد ذلك، فان المدينة أخذت تنمو حتى أصبحت دهشة الرحالة القادمين من كل مكان فقد وصفها الاصطخرى المتوفى سنة ٣٤٠هـ / ٩٩٠م أن دور الفسطاط تتكون من أربع طبقات وخمس كالمنائر، يدخل إليها الضياء من الوسط وأنه يسكن الدار الواحدة مائتى نفس[١٢٨] .

أما ناصر خسرو الذى زار مصر خلال القرن الخامس الهجرى فقد ذكر أن الفسطاط تبدو بعيدة كالجبل لارتفاع منازلها التى تتراوح بين سبع طبقات وأربع عشرة

طبقة، كما أشار إلى أن شوارعها تضاء نهارا بالقناديل لأن ضوء الشمس كان لا يصل إلى أرضها[١٢٩] .

ووصف القضاعى الفسطاط خلال القرن الخامس الهجرى بأن لها ستة وثلاثون ألف مسجد، وثمانية ألف شارع ومائة وسبعون حماما[١٣٠] .

ومن الملاحظ أن الفسطاط ظلت تحتل مكان الصدارة والأهمية وظلت تزدحم بالسكان، وكان ساحلها عامر بالمراكب كما كان بها داران للصناعة – صناعة السفن – وهما صناعة الروضة، وصناعة الفسطاط[١٣١] .

تعرضت الفسطاط أكثر من مرة للتخريب ففى سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م أمر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أميه بإحراقها أثناء فراره أمام جيوش العباسيين بعد انسحابه منها[١٣٢] .

كذلك تعرضت المدينة للسلب والنهب عندما قام محمد بن سليمان قائد الجيش العباسى سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م بمحاربة الطولونيين[١٣٣]، وتعرضت المدينة للنهب على يد الجنود الفاطميين زمن الخليفة الحاكم بأمر الله، والخليفة الظاهر، وكان أخطر ما تعرضت إليه الفسطاط من تخريب خلال أيام الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٥٧-٤٦٤هـ / ١٠٦٥-١٠٧١م[١٣٤] .

كما منيت الفسطاط بخراب عظيم أتلف معظم مرافقها وذلك أثناء الصراع الذى نشب بين شاور وضرغام وزيرى الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م، وذلك بعد أن أمر شاور بإخلائها من سكانها، وبعث إليها بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار، وفرق ذلك لمنع الجيش الصليبى بقيادة عمورى ملك بيت المقدس من الاستيلاء على مصر، واستمرت النيران مشتعلة فيها حوالى أربعة وخمسين يوما[١٣٥] .

ومنذ هذه الحادثة أفل نجم الفسطاط رغم أن صلاح الدين الأيوبى حاول أن يجمع بين القاهرة وما بقى من الفسطاط بسور واحد[١٣٦]، حيث تحولت الفسطاط إلى الأطلال المعروفة الآن "بكيمان" وحسبنا دليلا على ما أصابها من خراب وتدهور ذلك الوصف الذى تركه لنا الرحالة المغربى على بن سعيد الذى زار مصر سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م، إذ يقول : "ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة وتأملت أسوارا مثلمة سوداء، وأفاقا

مغبرة، ودخلت من بابها وهو دون غلق يفضى إلى خراب مغمور بمبان مشتته الوضع، غير مستقيمة الشوارع، قد بنيت من الطوب الأدكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقيض نفس النظيف وبعض طرف الظريف ...[١٣٧]، ومع مطلع القرن التاسع الهجرى كان ميناء الفسطاط قد تلاشى، كما تدهورت الفسطاط وفقدت أهميتها الاقتصادية بشكل تدريجى حتى هجرها الناس فى نهاية القرن التاسع الهجرى[١٣٨] .

٦- القيروان ٥٠هـ / ٦٧٠م :

يذكر أن عقبة بن نافع الفهرى خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حديج سنة ستة وأربعين ومعه بسر بن أبى أرطأة، وشريك بن سمى المرادى ومعه ناس آخرون واصل فتوحة واستيلائه على الحصون حتى وصل القيروان الذى كان معاوية بن حديج قد بناه قبله فلم يعجبه، فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان، وكان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوى إليه الوحوش والسباع والهوام، نادى بأعلى صوته : يأهل ارتحلوا رحمكم الله فإنا نازلون، نادى بذلك ثلاثة أيام[١٣٩] .

وكان عقبة مستجاب الدعوة، ثم نادى : أيتها الحيات والسباع انا أصحاب رسول الله ﷺ أرحلوا عنا، فإنا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم إلى الدواب تحمل أولادها وتنتقل، فرآه قبيل كثير من البربر فأسلموا، وقطع الأشجار، وأمر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع والباع يساوى ١.٨٤مترا .

وكان عقبة أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب، واتسعت خطة المسلمين، وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها وكان ذلك سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م[١٤٠] .

ويذكر ابن عذارى المراكشى أن أصحاب عقبة أشاروا عليه أن يتخذ عاصمته فى أفريقية قريبة من البحر حتى يتسنى لهم الجهاد والرباط، إلا أن عقبة رد عليهم قائلا "أنى أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها صاحب البحر إلا وقد عام به"[١٤١] .

وكان عقبة موفقا فى اختيار موقع المدينة، حيث أن بعدها عن البحر يجعلها فى مأمن من غارات الأساطيل البيزنطية، وأن موقعها الداخلى بالقرب من الأراضى السبخة جعلها تشرف على المراعى التى سهل على ابل وخيول وحاشية المسلمين ارتيادها[١٤٢].

بنى عقبة بن نافع مدينة القيروان مكان حصن قديم للدولة، وكانت القيروان رابع مدينة إسلامية يؤسسها المسلمون فى الأمصار، وقد بدأ بناءها سنة ٥٠هـ/٦٧٠م انتهى سنة ٥٥هـ/٦٧٥م .

مسجد القيروان:

اهتم عقبة بن نافع بالعاصمة الجديدة، وكان المسجد هو أول ما اختط فيها، وقد وصف المؤرخون اهتمام عقبة بالمسجد الجامع بالقيروان، حتى أنهم قالوا أن عقبة بن نافع بنى مسجدا له، وقد زاد في هذا المسجد حسان ابن النعمان، قال ابن عبد الحكم: " ثم أنصرف حسان فنزل موضع قيروان أفريقية اليوم وبنى مسجد جامعتها..."[١٤٣]، ثم زاد فيه بشر ابن صفوان في عام ١٠٥هـ / ٧٢٣م وتمثل عمارته آخر الزيادات في العصر الأموي[١٤٤]، وقد ازدهرت المدينة حتى أصبحت عاصمة المغرب كله، ووصفها ابن حوقل بقوله : " أنها أعظم مدن المغرب وسجل اعجابه بعمارة مبانيها وحسن أسواقها ورواج تجارتها ويسار أهلها "[١٤٥] .

والقيروان إحدى المدن الإسلامية التى مثلت مركزا حضاريا هاما فى الدولة الإسلامية، حيث أسهمت بنصيب موفور فى نشر الإسلام فى أفريقيا، ومنها انتقل إلى أوربا، وكانت القيروان خلال العصر الأموى قاعدة حضارية واستراتيجية هامة[١٤٦] حتى أن الأمويين خشوا نفوذ أهلها وكذلك خشوا نفوذ عقبة بن نافع بها مما جعل مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر من قبل معاوية – وكان قد استعمله أيضا على أفريقيا – يقوم بعزل عقبة، واستعمل على أفريقيا مولى له يقال له "أبو المهاجر" الذى قدم أفريقية وأساء عزل عقبة، واستخف به، وسار عقبة إلى الشام وعاتب معاوية على ما فعله أبو المهاجر دينار، فاعتذر له معاوية ووعده باعادته إلى عمله إلا أن معاوية توفى، وولى بعده ابنه يزيد، فاستعمل عقبة بن نافع على أفريقيا سنة ٦٢هـ/٦٨١م[١٤٧] .

ولما أعيد عقبة إلى ولايته فى أفريقيا بعد أن أكرمه يزيد قيل أيضا أن مسلمة بن مخلد اعتذر عما صدر من أبى المهاجر دينار، وانتقم من أبى المهاجر وقبض عليه، وأوثقه فى الحديد وصادر أمواله[١٤٨] .

هذا وقد عانت القيروان الإهمال أثناء ولاية أبو المهاجر دينار فقد تم إخلاءها من العسكر، وانتقلت الإدارة والحكومة إلى المدينة الجديدة التى اختطها أبو المهاجر على بعد ميلين من القيروان، وأمر الناس بالتحول عن القيروان، بل أمعن فى الإساءة إلى مدينة القيروان وأمر الناس بإحراقها[١٤٩] .

ثم عاد للقيروان مكانتها بعودة عقبة فقام بتجديد مبانيها وترميم ما احتاج إلى ترميم، وأمر الناس بالعودة إلى الحياة فيها فرجعت تمارس أنشطتها الفكرية والاجتماعية، وتجدد الرباط وأحيا الجهاد[١٥٠] .

ويذكر اليعقوبى أن مدينة القيروان كان عليها سور من لبن وطين، فهدمه زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، ويذكر أن شربهم من ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المؤاجل، فمنها شرب السقاه، ولهم واد يسمى وادى السراويل فى الناحية القبلية من المدينة، يأتى فيه ماء مالح لأنه فى سباخ الناس يستعملونه فيما يحتاجون إليه[١٥١] .

ولما قتل عقبة على يد البربر ومعه أبى المهاجر دينار انسحبت الجيوش الإسلامية من القيروان إلى برقة إلا أن سلطان الإسلام استمر وعادت القيروان مرة أخرى إلى المسلمين على يد زهير بن قيس لتواصل القيام بدورها الحضارى والفكرى الذى ارتبط باسمها منذ نشأتها فى القرن الأول الهجرى[١٥٢] .

٧- مدينة واسط ٨٣-٨٦هـ / ٧٠٢-٧٠٥م

يذكر أنها سميت بذلك لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منها خمسين فرسخا ويذكر أنه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمى واسط قصب، فلما عمر الحجاج مدينته سماها واسط باسمها، وقد شرع الحجاج في عمارة واسط سنة ٨٤هـ وكانت عمارتها في عامين ففرغ منها سنه ٨٦هـ في العام الذي مات فيه عبد الملك بن مروان [١٥٣]، وتقع مدينة واسط اليوم إلى الجنوب الشرقي من بلدة الحي في محافظة واسط على بعد ١٥كم، وتدعى بين سكان المنطقة بالمنارة نسبة إلى بقايا إحدى المنارتين

اللتين تحيطان بمدخل فخم من الناحية المعمارية والزخرفية، ومن المرجح كما يذكر د.عيسى سلمان أنه مدخل المدرسة الشرابية أو الأقبالية التي شيدها شرف الدين أقبال الشرابي ببغداد في عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، وهي المدرسة التي أشرف على عمارتها شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله [١٥٤] ٠

وكان الحجاج بن يوسف قد رغب في بناء مدينة جديدة، تسهل عليه إدارة العراق بعد أن أحس أنه من الصعب عليه الاستمرار في حكم العراق، فأرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يستأذن في عمارتها، فأذن له الخليفة بذلك، قال الطبري في أحداث سنة ٨٣هـ /٧٠٢م وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطا[١٥٥]

وقال ابن تغرى بردى فيما يتعلق بالاسم عند ذكره السنة الثالثة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهي سنة ٧٨هـ " وفيها فرغ الحجاج بن يوسف، وانما سميت واسط لأنها بين الكوفة والبصرة، منها إلى الكوفة خمسون فرسخا وإلى البصرة كذلك"[١٥٦] ٠

وقد ذكر د٠عيسى سلمان [١٥٧] أن هجر وخراب هذه المدينة الهامة يرجع إلى عامل رئيسي يتمثل في تغيير مجرى نهر دجلة، وقد تم أختيار موقع واسط بعناية بالغة فهي عبارة عن بقعة مرتفعة عن مستوى سطح النهر، هواؤها عذب، وطعامها سائغ على دجلة، وهي تتوسط العراق أو المدن الهامة فيه مثل البصرة، والكوفة والمدائن لذلك عرفت بواسط [١٥٨]

هذا وقد اختلفت الآراء من قبل المؤرخين والجغرافيين حول تاريخ الابتداء في إنشاء مدينة واسط حيث ذكر أن الابتداء كان في عام ٧٨هـ/٦٩٧م، وذكر أن الابتداء كان في عام ٨٣هـ/٧٠٢م، وأن الفراغ كان في عام ٨٦هـ/٧٠٥م، ويرجح د٠عيسى سلمان أن التاريخ الثاني هو الصحيح، وهو التاريخ الذي تقدم ذكره عند ذكر نص الطبري، ثم أن ابن الأثير ذكر في أحداث سنة٨٣ هـ/٧٠٢م ما نصه" وفي هذه السنة بني الحجاج واسطا"[١٥٩]

وعلى الرغم من أن تخطيط واسط يعد استمرارا لتخطيط البصرة والكوفة إلا أن تخطيط واسط يمثل مرحلة أكثر تطورا نتيجة تغير الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية

والاجتماعية والثقافية والفنية للدولة العربية الإسلامية، لذا فإن هذا التطور يرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة هذه الفترة من تاريخ المجتمع العربي الإسلامي(١٦٠).

أمر الحجاج بن يوسف بتشديد دار الإمارة أو القصر والمسجد الجامع في قلب المدينة وترك حولها فاصلا يفصلها عن الأسواق والدور والخطط، وأمر أن يشغل القصر مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٤٠٠ذراع، وأن يكون هذا القصر ملاصقا للمسجد الجامع الذي جاء أيضا من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٢٠٠ذراع، كما أمر أن يكون القصر بمثابة مركز المدينة أي يتوسطها تماما بحيث تؤدي إليه أو تتقاطع عنده الشوارع الرئيسية الأربعة التي تفصل بين خطط الناس في المدينة، وجعل خطط الناس بين هذه الشوارع الرئيسية (١٦١).

وقد أفرد الحجاج الخطط لأصحاب المهن كل على حسب مهنته، وأفرد خطط أهل الشام وأهل البصرة والكوفة، وجعل الأسواق تفصل بين الخطط وقلب المدينة، أما فيما يتعلق باستخدامات المدينة الحربية، فقد ذكر أن الحجاج حصن المدينة بسورين وخندق، وذكر أن أحاطها بسور وخندقين، وأمر أيضا أن تقام الأبواب الحديدية في مداخل المدينة، وأن تغلق ليلا لكي لا يسمح لغير أهلها المبيت فيها، ويضيف د٠عيسى سلمان أن بناء المدينة كلف الحجاج خراج العراق لمدة خمس سنوات(١٦٢).

ونلمس التطور الذي طرأ على تخطيط وعمارة مدينة واسط مقارنة بتخطيط وعمارة البصرة والكوفة في زيادة سعة دار الأمارة أو القصر على سعة المسجد الجامع، وجعلها تمثل مركز المدينة بعد أن كان المسجد الجامع يمثل هذا المركز في مدينتي البصرة والكوفة، وقد صارت دار الأمارة تعرف بقصر الحجاج، وعرفت بقبتها الخضراء التي كانت ترى من مسافات بعيدة٠

ويرجح د٠عيسى سلمان أن الحجاج بن يوسف قد تأثر بشكل مباشر في تحديد سعة القصر بما كان في دار الأمارة بالكوفة في العصر الأموي، حيث وسعت الدار وصار طول ضلع سورها الخارجي ١٧٦مترا، بينما كان طول ضلع المسجد ١٠٣مترا، ويعكس هذا التوسع ازدياد عدد أفراد الجهاز الإداري، وتنوع المهام حبث جعلت دار السك ضمن قصر الحجاج(١٦٣).

كما يمكن أن نلمس التطور في خطط المدينة، حيث جاءت غير قبائلية، بل مهنية وإقليمية تختلف عن خطط البصرة والكوفة ،ويمتد هذا التطور إلى التخطيط أيضا فقد قسمت واسط إلى أربعة أرباع تفصلها شوارع مستقيمة تنتهي في مركز المدينة، أما في مدينتي البصرة والكوفة فقد كانت الشوارع الرئيسية بعدد خطط القبائل تقريبا، كذلك من مظاهر التطور أيضا تحصين المدينة بسورين وخندق أو بخندقين وسور، وهي الاستحكامات الحربية التي خلت منها البصرة والكوفة لأنهما كانتا مراكز انطلاق بالدرجة الأولى، أما واسط فصارت مركزا إداريا، حيث استقرت مبادئ الدين الجديد في البلاد، كذلك اختيار الموقع، حيث لم يراع فيه قضية المانع الطبيعي بين المدينة الجديدة، وحاضرة العالم العربي الإسلامي[١٦٤].

المسجد الجامع بواسط:

يشغل مساحة مربعة أبعادها ١٠٤.٥X١٠٣.٥ م وشيد البناء بالطابوق والجص وسمك الجدار ٢٠٥م تقريبا وكانت سقوفه ترتكز على أعمدة أسطوانية من حجر رملي وتتميز الأعمدة بزخارفها النباتية والهندسية المحفورة عليها وكان تخطيط المسجد في عهد الحجاج بن يوسف من صحن مستطيل وأربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة[١٦٥]، وكان الدخول إليه يتم من أحد عشر بابا جدد هذا الجامع سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م بدون إحداث زيادة بغرض تصحيح قبلته حيث كانت منحرفة بمقدار ٣٤درجة عن الخط القبلي الصحيح، ثم هدم المسجد مرة أخرى في عام ٥٥٠هـ/١١٥٥م وأعيدت عمارته على نفس المساحة وبنفس التخطيط[١٦٦]

القصر:

اهتم الحجاج بن يوسف الثقفي اهتماما خاصا بدار الأمارة التي كانت تعرف بقصر الحجاج فجعلها تمثل قلب المدينة بحيث تؤدي إليها أو تتقاطع عندها الشوارع الرئيسية الأربعة التي تفصل بين خطط الناس في المدينة، وجاءت هذه الدار في مساحتها ضعف مساحة المسجد الجامع، وذكر أنه أسند تخطيط وعمارة القصر إلى أثنين من المهندسين هما القاسم بن أنبار وأبو شعيب ابن الحجاج وكان طول ضلع الدار حوالي ٢٠٠م وأنها مربعة الشكل وكانت مشيدة بالطابوق والجص مثل المسجد الجامع [١٦٧]

أشتهر قصر الحجاج بقبته العالية الخضراء وكانت تشاهد من مسافات بعيدة وتشتمل الدار على حديقة واسعة وبركة ماء، وكان يتوصل إليها من خلال أربعة أبواب يؤدي كل منها إلى طريق عرضه ثمانون ذراعا وهي الطرق الرئيسية التي تخترق خطط المدينة، فيكون القصر قلب المدينة [١٦٨]

وأنفق الحجاج على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم.

٨- قرطبة :[١٦٩]

تعتبر مدينة قرطبة من أقدم المدن فى شبة الجزيرة الأيبيرية، وكانت تعرف باسم كوربا (Carduba) وقد حظيت بقسط وافر من الشهرة فى العصور القديمة، فيذكر القرى أن بناءها كان قبل ميلاد المسيح بثمان وثلاثين سنة[١٧٠] ونالت قرطبة عناية فائقة من حكام المسلمين بالأندلس .

اتخذ الفاتحون المسلمون للأندلس من قرطبة دارا للإمارة منذ سنة ٩٧هـ/٧١٢م، واهتم بها ولاة الأندلس كما اهتم بها الخلفاء الأمويون فى الشام، فعلى سبيل المثال أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ببناء جسر قرطبة الشهير على نهر الأعظم بالمدينة ذلك الجسر لم يعرف فى الدنيا مثله[١٧١] .

وكانت ولاية عبد الرحمن الداخل للأندلس نقطة تحول فى تاريخ قرطبة، فقد أولاها عناية واهتماما كبيرا حتى أصبحت قرطبة مركزا من أهم مراكز الإشعاع الحضارى فى أوربا، وتمتعت فى ظل بنى أمية بمكانه مرموقة فى الحياة الفكرية[١٧٢] .

وقرطبة مدينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ورحاب فسيحة ولها بابان يشرعان فى سور المدينة إلى الطريق الآخذ على الوادى من الرصافة – مساكن أعالى ربضها – وابنيتها متشابكة مستديرة على البلد من شرقه وشماله وغربه، والأسواق والبيوع والخانات والحمامات ومساكن العامة بربضها بجانبها ومسجد جامعها جليل عظيم والحبس منه قريب، وقرطبة بائنة بذاتها عن مساكن أرباضها – أحياءها – وهى مستديرة حصينة وسورها من حجر، ولقرطبة سبعة أبواب حديد، وهى فخمة واسعة[١٧٣].

وقد ذكر أن مساحتها التى تدار حولها السور تبلغ ألف وستمائة ذراع، واتصلت العمارة بها أيام بنى أمية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا، وذلك من الأميال أربعة وعشرون فى الطول وستة أميال فى العرض، وهذه المساحة عبارة عن ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادى الكبير[١٧٤] .

ووصف العلماء قرطبة فقالوا : هى مدينة أزلية من بنيان الأوائل، طيبة الماء والهواء، أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب، وهى المحرث العظيم الذى ليس له فى بلاد الأندلس نظر ولا أعظم من بركة[١٧٥] .

ويذكر عن أرباض – أحياء – قرطبة أنها كانت عديدة وهى عبارة عن محلات سكنية متكاملة، بنيت لها أسوار خاصة بها، كانت تربطها بأسوار المدينة الأصل، فتحت لها الأبواب التى تيسر الاتصال بين المدينة وأرباضها المختلفة، واشتمل كل ربض على التكوينات المعمارية التى تستلزمها حياة سكنية[١٧٦] .

ومثال لهذه الأرباض هى : ربض شقنده – ربض حوانيت الريحان، ربض مسجد الكهف، ربض مسجد الروضة، ربض باب اليهود – ربض الرصافة، ربض البرج، ربض الزهراء، ربض المدينة العتيقة[١٧٧] .

ومن قصورها المشهورة : الكامل والمجدد والحائر والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك، والرستيق وقصر المسرور والتاج والبديع[١٧٨] .

أما قصر الخلافة فقد وصف بأنه "أول تداوله ملوك الأمم من عهد موسى النبى عليه السلام، وفيه من المبانى الأولية والآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والأمم السالفة ما يعجز عنه الوصف، ثم ابتدع الخلفاء من بنى مروان فى قصرها البدائع الحسان، وأثروا فيها الآثار العجيبة والرياض الأنيقة، وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المساحات البعيدة، تمونوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها إلى القصر الكريم وأجروها فى كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه فى قنوات الرصاص تؤديها إلى المصانع – الخزانات – صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضة الخالصة والنحاس المموه إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج العذبة فى أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة[١٧٩] .

عاشت قرطبة منارة للعلم والفكر الإسلامى أسهم العديد من علماؤها فى كثير من مجالات العلم والفكر، ومن خلالهم انتقلت العلوم إلى أوربا، وظلت تقوم بهذا الدور الحضارى العظيم إلى أن إنهارت الخلافة وقامت على أنقاضها ممالك الطوائف، وكانت نكسة عنيفة لوحدة الأندلس، واندثرت قرطبة باسترداد المسيحيين لبلاد الأندلس، وحين دخلوا حاضرة الخلافة الإسلامية وحولوا مسجدها الجامع الكبير إلى كنيسة ما يزال تحمل اسمه فتعرف بكنيسة الجامع[١٨٠] ٠

٩- العسكر(١٣٣هـ/٧٥٠م):

بعد هزيمة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وقتله فى بوصير أصبحت الخلافة خالصة لبنى العباس، عندئذ أمر صالح بن على الذى قاد الجيش العباسى فى هذا الصدام بالبناء، فبنوا العسكر فى المكان المعروف بالحمراء القصوى، الواقعة شمال شرقى الفسطاط والتى كان يسكنها الروم الذين قدموا مع عمرو بن العاص ٠

وكانت خطة بنى الأزرق وبنى روبيل وبنى يشكر وبنى جزيلة، ثم اندثرت هذه الخطط حتى صارت صحراء جرداء [١٨١]، وكان حد هذه المدينة من الجنوب عند كوم الجارح ومن الشمال قناطر السباع أمام المشهد الزينبى، ومن الغرب قناطر السد[١٨٢] ٠

وقد أنشئت العسكر اما لرغبة العباسيين فى أن يتخذوا لأنفسهم مقرا لم يسبق إليه غيرهم، واما لأن مروان بن محمد كان قد أحرق جانبا كبيرا من الفسطاط[١٨٣]،وأسست هذه المدينة أصلا لإيواء العسكر العباسى فسميت بالعسكر[١٨٤]

شيد الصالح بن على بالعسكر دار للإمارة، ظل ينزلها الولاة العباسيون وكان بعضهم يسكن الفسطاط إلى جانب العسكر[١٨٥] ٠

وبعد تأسيس العسكر بقليل ورد كتاب أبى جعفر المنصور على يزيد بن حاتم والى مصر سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط[١٨٦] كذلك شيد بها الفضل بن صالح بن على مسجدا جامعا سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م، وتم تجديد المسجد الجامع بالعسكر فى عهد والى مصر عبد الله بن طاهر ولم يكتب له البقاء طويلا حيث إندثر وعرف بجامع العسكر[١٨٧] ٠

والعسكر ثانى عواصم مصر الإسلامية، وأصبحت مقرا لشرطة خاصة غير شرطة الفسطاط، عرفت بالشرطة العليا باعتبارها تقع شمالا، فى حين كان يطلق على شرطة الفسطاط اسم الشرطة السفلى لأنها كانت تقع جنوبا بل أن صاحب الشرطة السفلى فى الفسطاط كان أعظم شأنا وأكثر اختصاصا من نظيرة فى العسكر باعتباره حاكم القسم الرئيسى الأصيل فى الحاضرة[١٨٨] .

ولما قدم أحمد بن طولون إلى مصر سكن العسكر مدة ثم تحول عنها إلى مدينة القطائع، وخلال عهده بنى بها مارستانه بالقرب من بركة قارون[١٨٩] .

وأنفق على بنائه ستين ألف دينار، وأخذ الجزء الأكبر منه من الكنز الذى عثر عليه فى تنور فرعون، وأوقف عليه عدة أماكن لضمان استمراره، وشرط ألا يعالج فيه جندى مملوك، كما شرط أنه إذا جئ بالعليل تنزع ثيابه، ويودع ما معه من المال عند أمين البيمارستان وتقدم له ثياب خاصة من البيمارستان، ويخصص له الدواء مجانا حتى يتم شفاءه[١٩٠] .

وكان أحمد بن طولون حريصا على تفقد البيمارستان وزيارته يوم الجمعة من كل أسبوع، حيث يطوف على خزائن الأدوية ويتفقد أعمال الأطباء ويشرف على سائر المرضى من المجانين حتى غافلة فى يوم أحدهم ورماه برمانه عريشية كبيرة كادت تقضى عليه، فلم يعاود النظر فى البيمارستان بعد ذلك[١٩١] .

وفى عهد خمارويه تحولت المدينة إلى ديوان للخراج، ولما زالت دولة بنى طولون وخربت القطائع عاد ولاة مصر ينزلون بدار الإمارة بالعسكر إلى أن قدم القائد جوهر الصقلى من المغرب وبنى القاهرة المعزية سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، فتحول مركز الحكم إليها[١٩٢] .

وكان من أهم الدور التى بنيت بالعسكر بجانب دار الإمارة:

دار كافور الأخشيدى : يذكر المقريزى أنه بناها بالعسكر على بركة قارون، وقد أنفق عليها مائة ألف دينار، وسكنها سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م ثم انتقل منها بعد أيام لوباء وقع فى غلمانه من بخار البركة[١٩٣] .

قبة الهواء : وهى دار شيدها حاتم بن هرثمة والى مصر (١٩٥-١٩٤هـ/٨٠٩-٨١٠م) من قبل الخليفة العباسى الأمين – على جبل المقطم، وقد استمرت قائمة حتى عصر الطولونيين، وقد شيدها من الحجارة وغيرها من مواد البناء[١٩٤] .

١٠- بغداد ١٤٥ هـ /٧٦٢م:

بغداد[١٩٥] هى دار السلام، وأزهى مدن الزمان بناها الخليفة أبو جعفر المنصور لتكون مقر حكمه وعاصمة ملكة، ومعقل جنده ومأمن أهله وخاصته، وذلك لأن العباسيين حالفوا خراسان فى أول الأمر، لكنهم لم يجعلوا مقرهم فيه، فابتعدوا عن القطر الذى قوى شأنهم وعضد أمرهم، ثم أنهم لم يستقروا فى الكوفة، لأنهم لا يأمنون أهل الكوفة حيث كانوا قد أفسدوا الجند العباسيين[١٩٦] .

وكان السفاح قد بنى مدينة قرب الأتبار وسماها الهاشمية، فلما كان زمن أبى جعفر المنصور ووقعت واقعة الراوندية فيها كره المنصور سكناها لذلك وأيضا لمجاورة أهل الكوفة[١٩٧] .

لم ترق الهاشمية لهم أيضا فأخذ أبو جعفر المنصور يبحث عن مكان يبنى فيه مدينة جديدة تكون مقر حكمه وعاصمة ملكه، وسار حتى أتى الموصل، ثم أرسل جماعة من الحكماء، وذوى اللب والعقل، وأمرهم بارتياد موضع، فاختاروا له موضع يصلح أن يكون عاصمة للدولة العباسية فذهب إلى هناك واعتبر المكان ليلا ونهار ما ستطابه وبنى به مدينته[١٩٨] .

وتروى المصادر أهمية المكان الذى وقع عليه الاختيار لبناء بغداد، حيث نبهه بعض العقلاء النصارى على فضيلة مكانها فقال : "يا أمير المؤمنين تكون المدينة على الصراه بين دجلة مع الفرات فإن حاربك أحد كانت دجلة والفرات خنادق لمدينتك، ثم أن الميرة تأتيك فى دجلة من ديار بكر تارة، ومن البحر والهند والصين والبصرة تارة أخرى، وفى الفرات من الرقة والشام وتجيك الميرة أيضا من خراسان وبلاد العجم فى شط تامرا، وأنت يا أمير المؤمنين بين أنهار لا يصل عدوك إليك إلا على جسرا أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر أو خربت القنطرة لم يصل إليك عدوك، وأنت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والموصل والسود، وأنت قريب من البر والبحر والجبل[١٩٩] .

هذا من حيث موقع المدينة أما من حيث مخططها ففيه يتجلى ذكاء كبير، حيث جاء تخطيط بغداد مما استحدث فى تخطيط المدن الإسلامية، فقد جعلها أبو جعفر المنصور مدوره، وأقام بمركزها قصر الخلافة، وإلى جانبه الجامع الذى سمى بجامع المنصور[٢٠٠] .

وضع المنصور بيده أول لبنه وقال : "بسم الله والحمد لله . الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين" ثم قال ابنوا واستغرق بناء المدينة عاما كاملا، فابتدأ بها فى سنة خمس وأربعين ومائة، وتمها فى سنة ست وأربعين ومائة، وجعل لها أربعة أبواب هى باب خراسان، وباب الشام، وباب الكوفة، وباب البصرة[٢٠١]

جعل المنصور بين كل باب من أبوابها والباب الآخر ميل، وبجانب كل باب أبنية كبيرة لإقامة الفرق العسكرية، والأبواب الأربعة تقضى جميعا إلى الساحة الواقعة فى المركز[٢٠٢] عند قصر الخلافة، حيث كان الخليفة يستطيع أن يراقب هذه الشوارع جميعا من قصره وأن يعرف ما يجرى فيها، وقد بنى المنصور فيها الخضراء فوق ايوان، وكان ارتفاعها ثمانين ذراعا، وهى تاج بغداد ومأثره من مآثر بنى العباس، ويذكر ابن طبطبا أن تكاليف بناء المدينة بلغت أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثين درهما[٢٠٣] .

اهتم المنصور عند تخطيط بغداد بالمرافق الهامة وخاصة الأسواق حيث عمل على توفيرها فى كل ربض من أرباض المدينة، وذكر اليعقوبى أنه حدد لكل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الأذرع ولمن معه من أصحابه وما قدره الحوانيت والأسواق فى كل ربض، وأمرهم أن يوسعوا فى الحوانيت، ليكون فى كل ربض سوق جامعة، تجمع التجارات[٢٠٤] .

وحدد لهم المنصور أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعا بالسوداء، والدروب ست عشره ذراعا، وأن يبتنوا فى جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفى بها من فى كل ناحية ومحله[٢٠٥] .

وعمرت المدينة وازدحمت بالناس ومن ثم اقطع الخليفة قواده وعماله القطائع خارج أسوار بغداد، حيث رأى المنصور أن ينقل التجار خارجها محافظة على أمنها ونظافتها وتوفير الهدوء فيها، وأنشأ " الكرخ" ليضم التجار جميعا، وكان تخطيطه مثالا جيدا يعكس

المستوى الذى وصل إليه تخطيط الأسواق حيث حدد لكل أهل تجارة مكانها، وفصل بين أهل التجارات والحرف فخصص لكل حرفة أيضا منطقة خاصة بها[٢٠٦] ونتيجة لازدحام بغداد أمر المنصور ببناء الرصافة وجعلها ثكنات للجيش[٢٠٧] .

وكانت بغداد جنة الدنيا، ومدينة السلام، وقبة السلام، ودار الخلافة، ومجمع الرافدين، وعزة البلاد/ومعدن الظرائف واللطائف والمحاسن والطيبات، ولها أرباب الغايات فى كل فمن، وآحاد الدهر فى كل نوع[٢٠٨] .

ويذكر اليعقوبى أنها ليست كالشام الوبيئة الهواء الضيقة المنازل، الحزنة الأرض، المتصلة الطواعين الجافة الأهل، ولا كمصر المتغيرة الهواء، الكثيرة الوباء التى أنما هى بين بحر رطب عفن، وبين جبل اليابس، ولا كأفريقيا البعيدة عن جزيرة الإسلام، وعن بيت الله الحرام، الجافية الأهل الكثيرة العدد، ولا كأرمينية النائية، الباردة، الصردة الحزنة، ولا مثل كور الجبل الحزنة، الخشنة المثلجة، ولا كأرض خراسان الطاعنة فى مشرق الشمس، ولا كالحجاز النكدة المعاش، الضيقة المكسب، التى قوت أهلها من غيرها . ولهذا كانت بغداد أفضل البلدان، ولذا نزلها الناس وسكنوها[٢٠٩] .

هذا وقد اهتم خلفاء بنى العباس ببغداد اهتمام بالغا، وازدهرت العاصمة العباسية وكانت من أعظم حوادر العالم، كما كانت منارة للعلم والمعرفة، ومركزا للفكر والثقافة امتدت إشعاعاته الحضارية لتضئ الدنيا، ولا سيما النهضة العلمية والفكرية التى شهدتها المدينة خلال عصر المأمون، فقد استطاع علماء بغداد وأساتذتها نقل الكثير من العلوم الإنسانية القديمة[٢١٠] .

١١- القطائع٢٥٦هـ /٨٦٩م :

أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م فى المنطقة الواقعة بين جبل يشكر حد الفسطاط الشمالى، وبين سطح المقطم، وكان هذا الموقع يعرف بقبة الهواء[٢١١]، وذلك بعد أن استمر بدار الإمارة التى بالعسكر فترة حتى كثرت عساكره وعبيده، وضاقت بهم المدينة، فحرت قبور اليهود والنصارى التى فى سطح جبل يشكر، وبنى مدينة شرقى مدينة الفسطاط[٢١٢]، وسماها "القطائع" لتكون مركزا لحكمة وقصرا لجنده وحاشية الذين اقتسموها، وسميت كل قطعية باسم من سكنها، سواء من تجمعهم رابطة

الجنسية، أو رابطة العمل فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم، وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم، وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم، ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم[٢١٣].

كما جعل ابن طولون قطائع خاصة للحرف والتجارات، مثل سوق الطباخين وسوق الصيادين، وسوق الصيارفة والخبازين، ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوقا حسنا وأمر غلمانه أن يختطوا به[٢١٤] .

وكان تأسيس ابن طولون لهذه المدينة مرتبطا بضرورة ابعاد جيش غير المتجانس عن الأحياء العربية المصرية، وتجنب ما يمكن حدوثه من الشغب بسبب اختلاط جنده بالتجار وغيرهم من عامة الشعب، على نحو ما حدث لجند الخليفة المعتصم بالله فى بغداد، وكان سببا فى إنشاء مدينة سامراء[٢١٥] .

وكانت مساحة القطائع ميلا مربعا وشيد بها ابن طولون مسجده المعروف على جبل يشكر ويذكر أن الإنتهاء من المسجد كان فى سنة ٢٦٥هـ /٨٧٩م كما يتضح من بقايا اللوحة التأسيسة التى بداخلة وهى لوحة مثبتة على إحدى دعامات المسجد ومنقوشة بالخط الكوفى جاء فيها " أمر الأمير أبو العباس أحمد ابن طولون ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء عليه وطيبة لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين (مايو ٨٧٩م)[٢١٦] .

ويعد جامع ابن طولون من أكبر جوامع مصر الإسلامية مساحة إذ يغطى مع الزيادات التى تحيط به من الشمال والجنوب والغرب ما يقرب من ستة أفدنة ونصف تأخذ شكلا مربعا حوالى ١٣٨ × ١١٨م على حين ترتفع الجدران من منسوب أرضية الأروقة الداخلية إلى قمة شرفاته العليا إلى ما يقرب من ثلاثة عشر مترا[٢١٧] .

زود المسجد بإثنين وأربعين بابا، وزعت توزيعا متناسبا على طول اكتداد وجهات المسجد وعلى جدران الزيادات التى تحف به من ثلاث جهات، ولعل السبب فى كثرة هذه الأبواب يرجع إلى الرغبة فى تسهيل عملية الدخول والخروج من المسجد نظرا لاتساع رقعته[٢١٨]، أو لكثرة المساكن والأسواق التى كانت مشيدة حول ساحته الخارجية[٢١٩] .

وتتميز منارته التى شيدت من الحجر خارج المسجد بأنها الوحيدة فى مصر ذات السلم الخارجى وهى تتألف من قاعدة مربعة التخطيط تعلوها منطقة اسطوانية وفوقها مثمن علوى يحمل مثمن آخر أصغر منه ويتوجه قبة صغيرة مضلعة تعرف فى المصطلح المعمارى المحلى باسم المبخرة يبلغ ارتفاع قامتها عن أرضية عن أربعين مترا[٢٢٠]، ويصعد إليها عن طريق سلم خارجى يرتقى فى عكس اتجاه عقارب الساعة كما يربطها بسطح المسجد الجامع قنطرة حجرية ترتكز على عقدين على شكل حدوة الفرس[٢٢١] .

كانت القطائع أول مدينة بمعنى الكلمة أنشئت بوادى النيل فى العصر الإسلامى ولم يقض إنشاء القطائع على العسكر أو الفسطاط فلم تكن كل من القطائع والعسكر إلا ضاحيتين للفسطاط أو امتداد لها[٢٢٢] .

وقد عمرت القطائع عمارة حسنة كما يقول البلوى وتفرقت فيها السكك والأزقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران وسميت أسواقها كما ذكرنا، فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن[٢٢٣] .

وكانت أهم الدور التى بنيت فى القطائع فى الدولة الطولونية الآتى :

– **قصر أحمد بن طولون** : بنى أحمد بن طولون قصره ووسعه وحسنه وألحق به ميدانا فسيحا يضرب فيه بالصوالجة[٢٢٤] فسمى القصر كله بالميدان، وكان كل من أراد الخروج من صغير أو كبير ،ذا سئل عن ذهابه يقول إلى الميدان، وقد عمل ابن طولون للميدان تسعة أبواب لكل باب اسم خاص به مثل :

- باب الميدان : ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش .
- باب الصوالجة.
- باب الخاصة : لا يدخل منه إلا خاصته .
- باب الجبل : كان يلى جبل المقطم .
- باب الحرم : لا يدخل منه إلا خادم خاص أو حرمه .
- باب الدرمون : نسبة إلى أحد الحجاب .
- باب دعناج : نسبة إلى حاجب كان يسمى دعناج .
- باب الساج : عرف بذلك لأنه كان مصنوعا من خشب الساج .

- باب الصلاة : فى الشارع الأعظم ويعرف أيضا بباب السباع لأنه صور عليه سبعان من جبس، كما كان يعلوه مجلس يشرف منه ابن طولون فى ليلة العيد على القطائع ليرى أفراد جيشه وتأهبهم وتصرفهم فى حوائجهم، وكان يشرف منه على النيل أيضا[٢٢٥] .

ولم تكن هذه الأبواب تفتح كلها إلا فى أيام الأعياد أو يوم عرض الجيش أو يوم الصدقة[٢٢٦] أما باقى الأيام فإن هذه الأبواب كانت تفتح فى وقت محدد وتغلق فى وقت محدد أيضا، وقد زاد خمارويه فى هذا القصر الذى بناه أبوه ووسع فيه إلى أبعد الحدود، وأضاف إليه قصرا جديدا خصصه لزوجات أبيه وأفرد لكل واحدة منهن جناحا خاصا[٢٢٧] .

الدكة : بناها خمارويه وهى عبارة عن قبة تضاهى قبة الهواء، وجعل لها الستور التى تقى الحر والبرد، فتسدل إذا شاء وترفع إذا أحب، وفرش أرضها بالفرش وعمل لكل فصل فرشا يليق به، وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى قصره من البساتين والصحراء والنيل والجبل والمدينة[٢٢٨] .

بيت الذهب : بنى فى زمن خمارويه وكان عبارة عن مجلسا داخل داره سمى بيت الذهب لأن جدرانه طليت بالذهب واللازورد، وجعل فيه قامة ونصف نقوشا بارزة من الخشب تمثل حظاياه والمغنيات نقشت ثيابهن بأصناف الجوهر، وفى أذانهن الأجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة فكان هذا البيت من أعجب مبانى الدنيا[٢٢٩] .

بركة الزئبق : أقام خمارويه أمام القصر بركة طولها خمسون ذراعا فى خمسين ذراعا، ملأت بالزئبق للاسترخاء، ليخلص مما أصابه من الأرق وجعل عليها سرير من آدم يحشى بالهواء لينام عليه شد بخيوط من حرير إلى عمد من فضة، كان يرى لها فى الليالى المقمرة منظرا عجيب إذا تآلف نور القمر بنور الزئبق[٢٣٠] .

وقد خربت القطائع على يد محمد بن سليمان الكاتب خلال عهد الخليفة المكتفى بالله (٢٩٥-٢٨٩هـ) حنقا على بنى طولون وذلك سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م وأبقى الجامع[٢٣١] .

١٢- القاهرة ٣٥٩هـ /٩٧٠م :

ظلت مدينة الفسطاط عاصمة لمصر، وكانت مدينة الإقليم منذ الفتح الإسلامى لمصر، وكانت منزل الأمراء وكثر الناس بها وزادت عمارتها، ثم لما انقضت الدولة الإخشيدية فى مصر سنة (٣٥٨-٣٢٣هـ/٩٣٥-٩٦٩م) واختلت أحوال مصر بسبب الوباء والفناء، وسار الجيش الفاطمى بقيادة جوهر الصقلى إلى مصر واستولى على الفسطاط من بقايا الإخشيديين، واختط مدينة القاهرة[٢٣٢] ٠

وعدد المقريزى موضع القاهرة فيذكر : أنها كانت رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عند مسيرتهم من الفسطاط إلى عين شمس وهو موقع إلى الشمال من الفسطاط ويحدها من الشرق جبل المقطم ومن الغرب خليج أمير المؤمنين[٢٣٣] ٠

قرر جوهر تأسيس القاهرة لتكون مدينة ملكية حصينة للخليفة وأتباعة، كما اختط القصر الفاطمى الذى أعده ليستقبل فيه مولاه المعز لدين الله، وكان قصر الخليفة وسطها محصنا بأبواب محددة[٢٣٤] وبنى جوهر سورا خارجيا من اللبن على هيئة مربع طول كل ضلع من أضلاعه ١٢٠٠ متر[٢٣٥] ٠

وأراد جوهر أن يحصن المدينة وأن يعوق فى الوقت نفسه عامة الشعب فى كل من الفسطاط والعسكر والقطائع الوصول إلى القاهرة، وقد كان محظورا على أى فرد اجتياز أسوار القاهرة إلا إذا كان من جند الحامية الفاطمية أو من كبار موظفى الدولة، وكان الدخول إليها لا يتم إلا بعد الحصول على تصريح خاص[٢٣٦] وعن طريق الأبواب الثمانية جنبا إلى جنب[٢٣٧]، وأبواب القاهرة هى اثنان من السور الشمالى هما باب الفتوح وفى شرقه باب النصر ٠

باب زويلة فى السور الجنوبى، وفى الغرب منه باب الفرج ٠

بابا الضلع الشرقى هما باب البرقية، وباب القراطين[٢٣٨] ٠

وفى الضلع الغربى كان يوجد بابان هما باب القنطرة وباب السعادة[٢٣٩] ٠

وكان لموقع القاهرة مميزات عديدة يأتى فى مقدمتها أن نهر النيل يحيط بضاحيتها الفسطاط من الغرب، وأتاح ذلك لسكانها فرصة إقامة العديد من القصور على شاطئ النيل[٢٤٠]، كما كانت محصنة بحصون طبيعية كجبل المقطم فى الجنوب الشرقى، ونهر النيل فى الغرب، وحصون غير طبيعية تتمثل فى الأسوار التى أقيمت حول المدينة[٢٤١] ٠

وبصفة عامة فقد دل موقع القاهرة على نظرة صائبة رغم اعتراض المعز لدين الله على اختيار موضعها[٢٤٢]، فكان بعدها النسبى عن النهر يحميها من خطر الفيضان، ويؤكد ذلك ابن سعيد بقوله : "إن بعد القاهرة عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها"[٢٤٣] .

وقد اختط الطريق العام يخترق وسط المدينة من باب زويلة جنوبا ويتصل بمدينة الفسطاط مارا فيما بين القصرين[٢٤٤] حتى باب الفتوح، وكان يوصل إلى الفضاء الواقع فى الشمال، وكان الجامع الأزهر الشريف إلى الجنوب الشرقى من قصر الخليفة وقد شرع جوهر فى بنائه سنة ٣٥٩هـ /٩٧٠م ليكون المسجد الرسمى للقاهرة وذلك بعد أن وضع أساس المدينة التى حوت الحوانيت والأسواق وبلغ عددها ما لا يقل عن عشرين ألف دكان وكان بها ربط وحمامات وأبنية أخرى[٢٤٥] .

وقد عرفت هذه المدينة فى أول الأمر باسم المنصورية تيمنا باسم المنصورية التى أنشأها المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين خارج مدينة القيروان بشمال أفريقيا[٢٤٦]، ولم تعرف بالقاهرة إلا بعد أربع سنوات بعد أن حضر الخليفة المعز إلى مصر ورأى من قراءاته الخاصة للطالع أن هذه التسمية فأل حسن إذ رأى أن اسم القاهرة مشتق من القهر والظفر[٢٤٧]، ويذكر أن سور القاهرة الذى بناه جوهر لم يعمر أكثر من ثمانين سنة، إذ كان قد تهدم فى عصر المستنصر بالله[٢٤٨]، فستبدل به بدر الجمالى وزير المستنصر سورا آخر، وذلك بعد أن وسع رقعة القاهرة بمقدار ١٥٠ متر إلى شمال السور القديم[٢٤٩]، وحوالى ثلاثين مترا إلى الشرق ومثلها إلى الجنوب[٢٥٠]، وقد تم تشييد هذا السور فيما بين سنتى ٤٨٠-٤٨٥هـ[٢٥١]، وبنى هذا السور من الحجر، وبقى منه ثلاثة أبواب هامة هى : باب النصر، وباب الفتوح، وباب زويلة، وأقدمها باب النصر ويعرف بباب المعز[٢٥٢] .

وبعد انتهاء الدولة الفاطمية واستيلاء صلاح الدين على مقاليد الحكم فى مصر سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م تغيرت صفة القاهرة، فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهورية[٢٥٣] .

ومن أهم مبانى القاهرة :

القصر الكبير :

يسمى بالقصر الشرقى لأنه يقع بالقرب من سور القاهرة الشرقى وهو القصر الذى أعده جوهر لنزول الخليفة المعز، فكان يشمل تسعة أبواب [٢٥٤] وكان يشغل مساحة تقرب من ٧٠ فدانا من جملة مساحة القاهرة التى كانت تبلغ ٣٤٠ فدانا وكان يتألف من خطط وأحياء تخترقها الطرقات والمسالك التى تفضى إلى أجزائه المختلفة فوق الأرض أو داخل السراديب المارة تحت الأرض، وكانت تضيئه الرحبات الكبيرة غير المسقوفة، أو الأفنية الداخلية الصغيرة[٢٥٥] .

القصر الصغير :

كان بالقاهرة عدا القصر الكبير قصر آخر إلى الغرب منه عرف بالقصر الغربى الصغير، شيده الخليفة العزيز بالله ويشغل مكانه اليوم مستشفى قلاوون للرمد، وكل المساكن التى تجاوره إلى شارع الخليج، لذا عرف أيضا بقصر البحر، وكان يشرف على البستان الكافورى ويتحول إليه الخليفة من البركة التى كان يقال لها بطن البقرة أو من البستان المعروف بالفداوية، وغيره من البساتين التى تتصل بأرض اللوق وجنان الزهرى[٢٥٦]، ووصف المسبحى هذا القصر بأنه "لم يبن مثله فى شرق ولا فى غرب" .

وكان يتصل بالقصر الكبير الشرقى بواسطة سرداب تحت الأرض كان ينزل منه الخليفة ممتطيا ظهر بغلته، تحيط به فتيات القصر، وكان بين القصر الشرقى الكبير والقصر الغربى الصغير ميدان فسيح كانت تقام فيه حفلات عرض الجيش، حيث يقف فيه عشرة آلاف من العساكر بين فارس وراجل، اشتهر فيما بعد باسم بين القصرين، كما كان هناك ميدان آخر بجوار القصر الغربى يجاور البستان الكافورى المطل على الخليج[٢٥٧] .

الجامع الأزهر :

أقام جوهر الصقلى الأزهر إلى الجنوب الشرقى داخل القاهرة وعلى مقربة من القصر الشرقى الكبير فيما بين حى الديلم فى الشمال وحى الترك فى الجنوب، ليكون المسجد الرسمى لمدينة القاهرة، وقد بدأ فى بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ / ١٤ ابريل ٩٧٠م، وانتهى العمل منه وأقيمت أول جمعة فيه فى السابع من رمضان سنة ٣٦١هـ / ٢٢ يونيو ٩٧٢م، وسمى بالأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء، بنت الرسولﷺ كما سمى بذلك أيضا نسبة إلى اللون الأبيض المزهر الذى تليت به جدرانه، وكتب على دائر القبلة على يمين المحراب ما نصه : "بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلثمائة"[٢٥٨] .

وكان هذا المسجد وقت إنشائه يشغل مساحة مستطيل تبلغ مقاييسها الخارجية ٨٥ متر طولا و ٧٠ متر عرضا ويتألف من صحن أوسط مكشوف ومستطيل الشكل طوله

٥٩ متر وعرضه ٤٣ متر، وكان الجامع مزود وقت بنائه بثلاث مداخل فى جدرانه الشمالية والجنوبية والغربية[٢٥٩] .

حظى الجامع الأزهر بعناية الفواطم وغيرهم حيث عنى بإصلاحه الخليفة العزيز بالله، وعنى بأمر الحاكم بأمر الله الذى جدد مأذنه سنة ٤٠٠هـ /١٠٠١م، كذلك جدد الخليفة المستنصر بالله المسجد أثناء خلافته (٤٨٧-٤٢٧هـ)، وجدد الخليفة الآمر بأحكام الله محراب الجامع سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م[٢٦٠] .

وجدد الخليفة الحافظ لدين الله الجامع الأزهر ٥٢٤-٥٤٤هـ حيث أضاف إليه بعض الإضافات فى الأروقة والصحن[٢٦١] .

وبسقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م أفل نجم الجامع الأزهر حيث بطلت فيه صلاة الجمعة بأمر صلاح الدين الأيوبى واستمر على ذلك حتى عهد الظاهر بيبرس الذى أذن للأمير أيدمر سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م بإعمار الجامع الأزهر فأعاد ترميمه وأقيمت صلاة الجمعة فى نفس السنة بعد أن عطلت لمدة قرن من الزمان[٢٦٢] .

وفى عهد الناصر محمد ابن قلاوون جدد الجامع الأزهر على أثر الزلزال الذى أصابه سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م، وفى سنة ٤٢٥هـ / ١٣٤٠م أضاف إليه الأمير علاء الدين أقبغا استادار السلطان الناصر محمد بن قلاوون مدرسة عرفت باسم المدرسة الأقبغاوية، وجدد عمارة الجامع أيضا سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م على يد الطواشى سعد الدين بشير الجمدار الناصرى حيث أنشأ على باب الجامع القبلى سبيلا وكتابا[٢٦٣] .

وفى عهد السلطان برقوق جدد الجامع الأزهر سنة ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م وفى سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م قام السلطان الأشرف قايتباى بهدم الباب الغربى للجامع وأقيمت فوقه المنارة[٢٦٤] .

كذلك بعناية السلطان قانصوة الغورى، الذى قام فى سنة ٩١٥هـ/١٥١٠م ببناء منارة ضخمة ذات رأس مزدوج ما تزال باقية إلى يومنا هذا إلى جوار منارة السلطان قايتباى[٢٦٥] .

مصادر ومراجع الفصل السادس

١. **المدينة** : مشتقة من الفعل (مدن) أي أقام، والمدينة الحصن يبنى في أصطحه معظم الشيئ، الأرض، الجمع مدائن، ومدن، **ابن منظور** : لسان، جـ١٧، ص٢٨٨، **ابن سيدة المخصص**، جـ٦، ص١١٧

٢. **ابن حوقل** : المسالك والممالك، ص ١٥، **المقدسي** : أحسن التقاسيم، ص١٩٤، **ياقوت الحموي** : معجم البلدان جـ١، ص١٥٠

٣. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص٥١،٥٠

٤. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية ،ص ٥٢

٥. **اليعقوبي** : البلدان، ص ٧٦

٦. **ابن هشام** : السيرة، جـ٣، ص١٢٨

٧. **ابن شبه** : تاريخ المدينة، ص٢٠٢، عبد القدوس الأنصارى : آبار المدينة ص٢٤١

٨. **السمهودى** : وفاء الوفا ج٣ ص٩٥٣

٩. **ابن شبه** : تاريخ المدينة، ص١٠٣

١٠. **السمهودى** : وفاء الوفا ج٣ ص٩٦٢

١١. **الأنصارى** : تاريخ المدينة، ص١١٣

١٢. **السمهودى** : وفاء الوفا ج٣ ص٩٨٦

١٣. **ابن الأثير** : الكامل، ج٢ ص٤١٨

١٤. **اليعقوبي** : البلدان، ص٧٦

١٥. **ابن هشام** : السيره، ج٣ ص١٢٨

١٦. **المقريزى** : الذهب المسبوك ص٣٠

١٧. **أحمد الشريف** : دور الحجاز فى الحياة السياسية، ص٦٥-٧٠

١٨. **السمهودى** : وفاء الوفا ج٣ ص١٠٠٦

١٩. **سليمان عبد الغنى مالكى** : بلاد الحجاز، ص١٥٥

٢٠. **اليعقوبي** : البلدان، ص٧٧

٢١. **ياقوت الحموي** : معجم البلدان، جـ٤، ص ٤٣٤، **محمد عبد الستار** : المدينة، ص٥٢

٢٢. **الأحزاب: آيه ١٣**

٢٣. المسافة من المدينة إلى مكة قدرها ياقوت بنحو عشر مراحل، والمرحلة مسيرة يوم، وبالطريق المعبد حاليا حوالي ٤٢٥ك .م، **ياقوت** : معجم البلدان، جـ٧، ص٤٣٢

٢٤. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ٧، ص٤٢٧

٢٥. **بدر عبد الرحمن** : حكومة الرسول في المدينة، ص٣٢

٢٦. **أحمد إبراهيم الشريف** : الدولة الإسلامية الأولى، ص٥٨

٢٧. **ابن هشام** : السيرة، جـ١، ص١٣

٢٨. **جمال سرور** : قيام الدولة العربية، ص٥٠

٢٩. **بدر عبد الرحمن** : حكومة الرسول في المدينة، ص٣٢

٣٠. **ابن هشام** : السيرة النبوية، جـ١، ص١٨٨

٣١. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص٢٥٨

٣٢. **ابن شبة** : تاريخ المدينة المنورة، ص٢٠٢

٣٣. **سليمان عبد الغنى المالكى** : بلاد الحجاز، ص١٧٥، ١٧٦

٣٤. **سليمان عبد الغني مالكي** : بلاد الحجاز، ص١٧٥

٣٥. **السمهودى** : وفاء الوفا، ج٢ ص٣٥٤

٣٦. **السخاوى** التحفة اللطيفة ج١ ص٨٨

٣٧. **إبراهيم رفعت** : مرآة الحرمين ج١ ص٤٢٠

٣٨. **سليمان عبد الغنى المالكى** : بلاد الحجاز، ص١٧٦

٣٩. **جعفر بن السيد إسماعيل المدني** : نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، مكتبة بن سلم، المدينة المنورة، مكتبة الرفاعي بالقاهرة، ص٣٨

٤٠. **إبراهيم رفعت** : مرآة الحرمين

٤١. **جعفر بن السيد المدني** : نزهة الناظرين، ص٣٨

٤٢. **ابن سيد الناس** : عيون الأثر، جـ١، ص ١٩٥، ٢٣٠

٤٣. **إبراهيم رفعت** : مرآة الحرمين ج١ ص٣٧٠
٤٤. **سليمان مالكي** : بلاد الحجاز، ص١٦٩
٤٥. **جعفر ابن السيد المدنى** : نزهة الناظرين فى مسجد الأولين ص٣٦
٤٦. **السخاوى** : التحفة اللطيفة، ج١ ص٣٥
٤٧. **السمهودي** : وفاء الوفا، جـ٢ ،ص ٣٥٤
٤٨. **جعفر بن السيد المدني** : نزهة الناظرين، ص٣٦
٤٩. **السخاوي** : التحفة اللطيفة، ص٨٨
٥٠.
٥١. **محمد عبد الستار عثمان** : المدينة الإسلامية، ص٥٤
٥٢. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص ٢٦٠، ٢٦١
٥٣. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص ٥٦، ٥٧
٥٤. **محمد عبد الستار عثمان** : المدينة الإسلامية، ص ٥٨
٥٥. **ابن سيد الناس** : عيون الأثر، جـ٢، ص ٢٥٨
٥٦. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص٢٦١
٥٧. **الكوفة** : تقع قرب الحيرة، وسميت بالكوفة لأستدارتها، أخذ من قول العرب رأيت كوفانا، وكوفانا للرميلة المستديرة، وقيل سميت الكوفة لأجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل، وقيل الكوفة كل رملة تخالطها حصباء، أنظر **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ،جـ٤، ص٤٩٠، الفيروز أبادي : القاموس المحيط، لسان العرب **لأبن منظور**.
٥٨. **الطبري : تاريخه، جـ٣، ص١٤٥**
٥٩. **ابن يوسف** : كتاب الخراج ،ص١٧
٦٠. **الطبري : تاريخه جـ٣ ،ص١٤٧**
٦١. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص٢٣٧
٦٢. **الطبري** : تاريخه ،جـ٣، ص١٤٨
٦٣. **اليعقوبي** : البلدان، ص٩٥،٩٦

٦٤. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ٧ ،ص٢٩٧

٦٥. **محمد عبد الستار عثمان** : المدينة الإسلامية، ص٦٨

٦٦. **الطبري** : تاريخه ،جـ٣، ص١٤٩، **محمد الخضري** : محاضرات في تاريخ الأمم، ص٢٦٩

٦٧. **الطبري** : تاريخه، جـ٣، ص١٥١

٦٨. **الطبري** : تاريخه، جـ٣، ص١٥١

٦٩. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص٢٣٨

٧٠. **ياقوت** : معجم البلدان جـ٧ ، ص٢٩٩

٧١. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ٧، ص ٢٩٧

٧٢. **محمد الخضري** : محاضرات في تاريخ الأمم، ص ٢٦٩، **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص٢٣٩

٧٣. **البصرة** : تعني الأرض الغليظة، أو حجارة فيها بياض، **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ،جـ٢ ،ص١٩٢

٧٤. **الطبري** : تاريخه، جـ٣، ص١٤٨، **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص٢٣٧

٧٥. **الطبري** : تاريخه، جـ٣، ص٩٠، **ياقوت** : معجم البلدان، جـ٢، ص١٩٤

٧٦. **البلاذري** : فتوح البلدان، ص٣٥٤

٧٧. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص٢٣٤

٧٨. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ٢، ص١٩٤

٧٩. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص٦٥

٨٠. **البلاذري** : فتوح البلدان، ص٣٤٥

٨١. **البلاذري** : فتوح البلدان، ص٣٤٥

٨٢. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ٢، ص١٩٤

٨٣. **الأبلة** : بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها، أسم لبلد على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، التي

مصرت عل أيام عمر بن الخطاب، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسري، **ياقوت الحموي** : معجم البلدان، جـ١، ص٧٦،٧٧

٨٤. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص٦٦

٨٥. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص٦٦

٨٦. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص٢٣٥

٨٧. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص٦٧

٨٨. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص٦٧

٨٩. **البلاذري** : فتوح البلدان، ص٣٥٨

٩٠. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ١، ص١٩٩

٩١. **علي جمعة محمد** : المكاييل والموازين، ص٥٤

٩٢. **الهمداني** : مختصر كتاب البلدان، ص٥١

٩٣. **المقدسي** : أحسن التقاسيم، ص ١١٤

٩٤. **ابن الفقيهة** : مختصر كتاب البلدان، ص١٨٩

٩٥. **البلاذري** : فتوح البلدان، جـ٢، ص٤٥٤

٩٦. **المقدسي** : أحسن التقاسيم، ص١٢٨

٩٧. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص ٢٣٦

٩٨. **الطبري** : تاريخه، جـ٣، ص٤٤٦

٩٩. **اليعقوبي** : البلدان، ص٨٧

١٠٠. **اليعقوبي** : البلدان، ص٨٧

١٠١. **محمد حسين** : تاريخ مدينة دمشق ص٥٤، ٥٥

١٠٢. **محمد بن أحمد كنعان** : تاريخ الخلافة الراشدة، خلاصة تاريخ ابن كثير، ص١٢٣

١٠٣. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص٢٣٦

١٠٤. **أحمد شلبي** :موسوعة الحضارة، جـ٥، ص١١٠

١٠٥. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص٢٦٤

١٠٦. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص٩١

١٠٧. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص٩١

١٠٨. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٢٨٦

١٠٩. **علي بهجت، والبير جرائيل** : كتاب حفريات الفسطاط، ص٣٩

١١٠. **ناصر خسرو** : سفر نامة ص٥٨

١١١. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص٩١، **ابن سعيد** : المغرب، جـ١، ص٣٩، **السيوطي** : حسن، جـ١، ص١٣٠

١١٢. **عبد الرحمن زكي** : الفسطاط وضاحيتها، ص ٥

١١٣. **القلقشندي** : صبح، جـ٣، ص٣٢٦

١١٤. **الجواليقي** : المعرب من الكلام الأعجمي، ص ٢٤٩

١١٥. **سيدة كاشف** : مصر في فجر ٱسلام، ص٢١٧

١١٦. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص١٠٤، **فريد شافعي** : العمارة العربية، جـ١، ص٣٥٣

١١٧. **محمد عبد الستار** : المدينة، ص٦٩

١١٨. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٢٨٦

١١٩. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص ٦٩

١٢٠. **عبد الرحمن زكي** : خطط الفسطاط، ص٥٧-٥٩

١٢١. **محمد عبد الستار** : المدينة، ص٦٩

١٢٢. **ابن دقماق** : الأنتصار، جـ٤، ص ١٩، ٣٦، **اليعقوبي** : البلدان، ص٩١

١٢٣. **السيوطي** : حسن، جـ١، ص٥٨

١٢٤. **ابن عبد الحكم** : فتوح، ص١١٠

١٢٥. **محمد حمدي المناوي** : مصر في ظل الإسلام، ص١٠٨

١٢٦. **ابن عبد الحكم** : فتوح، ص١٣٦

١٢٧. **ابن خلدون** : المقدمة، ص٣٤٢

١٢٨. **الاصطخري** : مسالك الممالك، ص٦

١٢٩. **المقدسي** : أحسن التقاسيم، ص١٩٩

١٣٠. **ناصر خسرو** : سفر نامة، ص٨٥

١٣١. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص٦٧

١٣٢. **الكندي** : الولاة والقضاة، ص٩٥

١٣٣. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٣٥

١٣٤. **محمد حمدي المناوي** : مصر في ظل الإسلامص١١٢

١٣٥. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٣٥

١٣٦. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٣٥، ٣٣٦

١٣٧. **ابن سعيد** : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص٢٧

١٣٨. **قاسم عبده** : عصر سلاطين المماليك، ص١٩٤

١٣٩. **قاسم عبده** : عصر سلاطين المماليك، ص١٩٤

١٤٠. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص ١٩٦

١٤١. **ابن الأثير** : الكامل، جـ٣، ص ٢٣١

١٤٢. **ابن عذاري** : البيان والمغرب، جـ١، ص ١٩

١٤٣. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص٢٧٨

١٤٤. **ابن حوقل** : صورة الأرض، ص ٨٦

١٤٥. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص٢٨٠

١٤٦. **ابن الأثير** : الكامل، جـ٣، ص٣٢١

١٤٧. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص١٩٧

١٤٨. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص٢٨١

١٤٩. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص ٢٨١

١٥٠. **اليعقوبي** : كتاب البلدان، ص ١٠٥،١٠٤

١٥١. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر والمغرب، ص١٩٩، فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص١٨٢

١٥٢. **قرطبة** : لفظ يوناني، بمعنى القلوب المشككة

١٥٣. **د٠ عيسى سلمان وآخرون** : ج١، ص٦٨ – انظر المدرسة الإقبالية : النعيمى (عبد القادر بن محمد) ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م : الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨، ج١، ص١٥٨–١٦٠، د٠ عبد الله كامل موسى عبده : العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وأفريقيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٨٣ ٠

١٥٤. الطبرى : تاريخ الطبرى، مج٣، ص١٤٩

١٥٥. د٠ عيسى سلمان : العمارات، ج١، ص٦٨

١٥٦. د٠ عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج١، ص٦٨ –٧١

١٥٧. شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م، ص٢٤٨

١٥٨. ابن الأثير : الكامل، ج٣، ص٥١٤، د٠ عيسى سليمان وآخرون : العمارات، ج١، ص٧٢

١٥٩. د٠ عيسى سلمان : العمارات، ج١، ص٧٣

١٦٠. د٠ عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج١، ص٧٣

١٦١. د٠ عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج١، ص٧٣

١٦٢. د٠ عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج١، ص٧٣ –٧٤

١٦٣. د٠ عيسى سلمان : العمارات، ج١، ص٧٤

١٦٤. د٠ عيسى سلمان : العمارات، ج١، ص٧٣

١٦٥. د٠ عيسى سلمان : العمارات، ج١، ص٧٣

١٦٦. د٠ عيسى سلمان : العمارات، ج١، ص٧٣

١٦٧. د٠ عيسى سلمان : العمارات، ج١، ص٧٣

١٦٨. د٠ عيسى سلمان : العمارات، ج١، ص٧٣

١٦٩. **المقري** : نفح الطيب، جـ١، ص٢٦

١٧٠. **المقري** : نفح الطيب، جـ١، ص١٤٥

١٧١. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص ٢٨٣

١٧٢. **ابن حوقل** : صورة الأرض، ص ١١٢، ١١٣

١٧٣. **المقري** : نفح الطيب، جـ٢، ص٦

١٧٤. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص ١٥

١٧٥. **محمد عبد الستار عثمان** : المدينة الإسلامية، ص ١٤٧

١٧٦. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص ١٨٥

١٧٧. **المقري** : نفح الطيب، جـ٢، ص١٠

١٧٨. **المقري** : نفح الطيب، جـ٢، ص١٢

١٧٩. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص٢٨٨، **عادل بشتاوي** : الأندلسيون المواركة، ص٢٦٨

١٨٠. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص ٣٠٠

١٨١. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص٥٧

١٨٢. **زكي محمد حسن** : الفن الإسلامي، جـ١، ص٥٦

١٨٣. **صفي علي محمد** : مدن مصر الصناعية، ص١٠٠

١٨٤. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٠٤

١٨٥. **الكندي** : الولاة والقضاة، ص١١٥

١٨٦. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٠٤

١٨٧. Sohernhiem : Encyclopedia of islam History of The Town of fustat, vol.,I.P.817

١٨٨. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٠٤

١٨٩. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص١١٣

١٩٠. **القلقشندي** : صبح، جـ٣، ص٣٣٧، **المقريزي** : الخطط، جـ٢ ص٥٠٤

١٩١. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٠٥

١٩٢. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٠٥

١٩٣. **هويدا رمضان** : المجتمع في مصر الإسلامية، جـ٢، ص٢٤٩

١٩٤. **بغداد** : لفظ فارسي معناه بستان رجل وهو مكون من (باغ بمعنى بستان، داد بمعنى رجل، ولها أسماء كثيرة منها بغداد بالذال، ودار السلام، وبغداد، ويقال الزوراء،

ومدينة المنصور، ابن طباطبا : الفخري، ص١٦٣، **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ،جـ٢ ،ص٢٣

١٩٥. **ابن طباطبا:** الفخري، ص١٦١

١٩٦. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص٢٤٤

١٩٧. **ابن طباطبا** : الفخري ،ص١٦١

١٩٨. **ابن طباطبا** : الفخري ،ص١٦٢

١٩٩. **يوسف العش** : تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص٤٠

٢٠٠. **المسعودي** : مروج الذهب، جـ٢، ص٢٣٢

٢٠١. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص٢٤٥

٢٠٢. **أبن طباطبا** : الفخري، ص١٦٣

٢٠٣. **اليعقوبي** : البلدان، ص١٥

٢٠٤. **اليعقوبي** : البلدان، ص١٥

٢٠٥. **اليعقوبي** : البلدان، ص١٨، محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص٢٥٦

٢٠٦. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص٢٦٥

٢٠٧. **المسعودي** : مروج الذهب، جـ٢، ص٢٣٢

٢٠٨. **اليعقوبي** : البلدان، ص١٠٩

٢٠٩. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص٢٦٥

٢١٠. **البلوي** : سيرة ابن طولون، ص٥٣، **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣١٥

٢١١. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣١٣، **ابن دقماق** : الأنتصار، جـ٤، ص١٤١

٢١٢. **هويدا رمضان** : المجتمع في مصر الإسلامية، جـ١، ص٢٤٩

٢١٣. **البلوي** : سيرة ابن طولون، ص٥٤

٢١٤. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص ٩٥

٢١٥. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣١٣، **ابن دقماق** : الأنتصار، جـ٣، ص١٤١

٢١٦. **أحمد فكري** : مساجد القاهرة ومدارسها، ص١٠٩

٢١٧. **أحمد فكري** : مساجد القاهرة، ص١١١

٢١٨. **أبو المحاسن** : النجوم، جـ٣، ص١١

٢١٩. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص١٢٧

٢٢٠. **فريدة شافعي** : مأذنة مسجد ابن طولون، ص١٦٨،١٦٧

٢٢١. **زكي محمد حسن** : الفن الإسلامي، جـ١، ص٥٦

٢٢٢. **البلوي** : سيرة ابن طولون، ص٥٣

٢٢٣. **زكي محمد حسن** : الفن الإسلامي، ص٣٨

٢٢٤. **البلوي** : سيرة ابن طولون، ص٥٤ ن **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣١٥

٢٢٥. **البلوي** : سيرة ابن طولون، ص٥٤

٢٢٦. **أبو المحاسن** : النجوم، جـ٣، ص٦١

٢٢٧. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣١٧، **أبو المحاسن** : النجوم، جـ٣، ص٥٥

٢٢٨. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣١٦

٢٢٩. **ابن دقماق**: الأنتصار، جـ٤، ص١٣١، **ابن أياس** : بدائع الزهور، جـ١، ص ١٧٠

٢٣٠. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٢٣

٢٣١. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٥٠

٢٣٢. **المقريزي** : الخطط، جـ ١، ص٣٥٩

٢٣٣. **عبد الرحمن زكي** : أسوار القاهرة، ص٤٦٩

٢٣٤. **ابن دقماق** :الانتصار، جـ٥، ص٣٦

٢٣٥. **عبد الرحمن فهمي** : أسوار القاهرة، ص٤٦٩

٢٣٦. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٢٧٧

٢٣٧. **القلقشندي** : صبح، جـ٣، ص٢٥٣

٢٣٨. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٨٢

٢٣٩. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص١١٧

٢٤٠. **أبو شامه** : الروضتين، جـ١، ق٢، ص٦٨٧

٢٤١. **القلقشندي** : صبح جـ٣، ص٣٥٥، **المقريزي** : اتعاظ الحنفا، جـ١، ص١١٢

٢٤٢. **ابن سعيد** : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص٢٥

٢٤٣. **المقريزي** : الخطط، جـ٢، ص ٣٨٣
٢٤٤. **ناصر خسرو** : سفرنامة، ص٤٨
٢٤٥. **ابن دقماق** :الانتصار، جـ٥، ص٣٥
٢٤٦. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٧٧
٢٤٧. **ناصر خسرو** : سفر نامة، ص٨٩، **عبد الرحمن فهمي** : أسوار القاهرة، ص٤٦٩
٢٤٨. **أحمد فكري** : مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة، ١٩٦٥، جـ١، ص٢٤
٢٤٩. **عبد الرحمن فهمي** : أسوار القاهرة ى، ص٤٦٩
٢٥٠. **ابن الصيرفي** : الأشارة إلى من تال الوزارة، ص٩٧
٢٥١. **عبد الرحمن فهمي** : أسوار القاهرة، ص٤٧٤
٢٥٢. **المقريزي** : الخطط، جـ١، ص٣٦٤
٢٥٣. **عبد الرحمن فهمي** : أسوار القاهرة، ص٤٦٩
٢٥٤. **عبد الرحم زكي** : أسوار القاهرة وأبوابها، ص٣٢
٢٥٥. **شحاته عيسى إبراهيم**، القاهرة، ص٧٦
٢٥٦. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص٢١٩، **شحاته إبراهيم** : القاهرة، ص٢٧٦
٢٥٧. **المقريزي** : الخطط، جـ٢، ص٢٧٣
٢٥٨. **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد، جـ١، ص٤٩، **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص٢٢٠
٢٥٩. **المقريزي** : الخطط، جـ٢، ص٢٧٥
٢٦٠. **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد، جـ١، ص٥١
٢٦١. **المقريزي** : السلوك، جـ١، ص٥٥٦
٢٦٢. **المقريزي** : الخطط، جـ٢، ص٢٧٦، **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد، جـ١، ص٥٤، **سعاد ماهر** : مساجد مصر، جـ١، ص٢٠١
٢٦٣. **السخاوي** : الضوء اللامع، جـ٦، ص٢٠٩
٢٦٤. **ابن إياس** : بدائع الزهور، جـ٣، ص٦٢

الفصل الخامس

أثر الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية

أثر الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية

الحضارة الإسلامية كان لها أثر بالغ فى الحضارة الأوربية، ففي الوقت الذي كانت فيه أوربا لا تزال تضطرب فى ظلام العصور الوسطى، كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم على معظم بقاع العالم المتحضر القديم، من حدود الصين إلى جبال البرانس، وورثوا مع فتوحاتهم فلسفة اليونان من كتبها، حتى أن عددا من كتب اليونان القديمة لا يوجد الآن إلا باللغة العربية أو مترجم عن العربية، كما تأثروا وأفادوا من ثقافة الفرس التى أثرت فى الأدب العربي، وبالثقافة الهندية عن طريق علوم الرياضة، والطب وخاصة علم النجوم، وقد أفسح العرب والمسلمين صدورهم لهذه الثقافات والحضارات المختلفة واقبلوا، وتولوها بالرعاية والعناية والبحث والدرس والتصحيح والتهذيب، وأضافوا إليها الكثير من أفكارهم وابتكاراتهم حتى بلغت غاية نضجها واكتمالها، وتميزت عما عادلها من الحضارات السابقة[١] .

والحضارة العربية الإسلامية لا ينقصها ولا يقلل من شأنها أنها نقلت وأفادت من الحضارات التى سبقتها، فذلك شئ طبيعي، حيث أن كل أمه ملزمة بأن تنقل عمن سبقها تجاربهم، وكل أمه تختلف عن غيرها فى أنها تحدث أولا تحدث الجديد المبتكر، وإذا نظرنا إلى الجديد المبتكر فى الحضارة الإسلامية لوجدنا الكثير [٢] .

ولولا الإفادة من الحضارات السابقة والتجديد والابتكار لكان لزاما أن تبدأ كل أمة بما بدأت به الأمم الأخرى السابقة عليها ولا غلق باب التقدم والتطور الحضاري، ولوجدنا أنفسنا اليوم في مستوى أقرب إلى ما كان عليه الإنسان الأول في العصر الحجري ولكن يكفى العرب والمسلمون فخرا أنهم لم يقنعوا بما تعلموا من غيرهم وإنما يحثوا واجتهدوا وابتكروا، وأضافوا عناصر جديدة دفعت عجلة التطور الحضارة إلى الأمام[٣]، وأنشأ العرب بسرعة حضارة جديدة كثيرة الاختلافات عن الحضارات التى ظهرت فيها وتمكنوا من حمل أمم كثيرة على انتحال دينهم ولغتهم وحضاراتهم الجديدة .

وقد عبرت هذه الحضارة إلى أوربا من خلال معابر ثلاثة هي .

١- عن طريق اتصال العرب والمسلمين ومجاورتهم لعلماء أوربا أبان حكم الأمويين فى الأندلس، حيث كانت الحضارة العربية والإسلامية فى أوج عظمتها مما كان يتمتع

به علماء المسلمين من حرية الفكر وأقاموا هناك جامعات زاهرة قصدها طلاب العلم من أوربا، فى مراكز متعددة[٤] مثل قرطبة، واشبيلية، وغرناطة، وطليطلة، ونشر هؤلاء الطلاب فى بلادهم ما تعلموه من العرب، حيث كان غالبة سكان الأندلس، وهم من المسيحيين قد تشبعوا بالحضارة العربية بحيث أنهم هجروا لغتهم ليتكلموا العربية، واضطر الأسافعه من رجال الدين إلى أن يترجموا الإنجيل إلى العربية، كذلك قام اليهود وهم أقليه كبيرة استعربت منذ زمن مبكر فأخذوا لغة العرب وملابسهم، واندرجوا فى غمارهم، بدور هام فى نقل الحضارة الإسلامية عن طريق الترجمة[٥]، ولما استرد الملوك الأسبان الأندلس استولوا على الكنوز العلمية التى خلفها علماء العرب والمسلمين وأخذوا بمظاهره[٦]

٢- عن طريق صقلية، حيث كان العرب قد فتحوا صقلية على يد دولة الأغالبة خلال العصر العباسي الأول وذلك فى النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وظل العرب بها زهاء ١٣٠ سنة، فأصبحت المركز الثاني لنشر الثقافة العربية والإسلامية فى أوربا، حيث أصبحت بالرمو ومسينى، وسرقوسه، وبوره من أهم مراكز الحضارة الإسلامية اليانعة فى إيطاليا[٧] .

كان الملوك المسيحيون بصقلية يشجعون علماء العرب على الإنتاج العلمي، مثل روجر الثاني الذي شجع الإدريسى الجغرافي الشهير على العلم وأهدى الإدريسله كتاب نزهة المشتاق، وأيضا الملك ويليام الذى رحب بالعلماء المسلمين وكان يقرأ ويكتب العربية[٨] .

أدرك روجر وخلفاؤه أفضلية العرب فانتحلوا نظمهم وشمولهم برعايتهم وكان الملك فردريك الثاني من الذين شجعوا الترجمة لعلوم الإسلام إلى اللاتينية واليونانية أو حتى الإيطالية الدارجة التى كانت قد بدأت فى الظهور، وكان فى بلاطه كثير من الفلاسفة العرب من الشام وبغداد، وتوثقت صلاته وصداقته بالسلاطين الأيوبية فى مصر " الملك الكامل وتبادل معهم الهدايا "[٩] .

ولما كان الملوك النورمانديون وخلفائهم على العرش الصقلي يحكمون إلى جانب صقلية جنوب إيطاليا أيضا فانهم كانوا بمثابة الجسر الذى نقلت عليه مختلف عناصر

الثقافة العربية الإسلامية إلى شبه الجزيرة الإيطالية ووسط أوربا ولم يكد ينتصف القرن العاشر الميلادي حتى كانت آثار الحضارة العربية واضحة للعيان شمال جبال الألب[١٠] .

مكث العرب في جنوب إيطاليا ثلاثمائة سنة تقريبا، فاستعرب أهل المناطق وأصبحوا يتكلمون العربية ويدينون بعادات العرب ما عدا العقيدة، فقد احتفظ بها بعضهم ودفعوا الجزية، وكان من نتائج هذا أن تسمى الكثيرون بأسماء عربية، وأصبحت الأماكن والشوارع والقصور وأدوات الزينة والحرب ومتاع البيوت وغيرها لها أسماء عربية ومظاهر عربية[١١] .

٣- طريق ثالث من خلاله انتقلت الحضارة العربية والإسلامية لأوربا هو الحروب الصليبية، والحج إلى بيت المقدس واختلاط الأوربيين بالعرب، حيث كان لبقاء الصليبيين مدة طويلة فى الشرق الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري حتى القرن السابع الهجري أثره على اتصال تام بجميع مظاهر الحضارة الإسلامية المزدهرة التى أدهشتهم وعلى الرغم من أن الحروب كانت مستمرة بينهما وبين المسلمين، فإن البعض منهم نقل الكثير من علوم العرب والمسلمين ومعارفهم وفنونهم وصناعتهم، كما حصلوا على كثير من الكتب العربية، فساعد ذلك على ظهور روح البحث ودراسة علوم الأقدمين وآدابهم .

٤- طريق التجارة فعن طريق التبادل التجاري بين الشرق والغرب عن طريق مصر، حيث أن المدن الإيطالية مثل جنوه والبندقية وبيزا ونابلى، نشطت تجارتها مع مصر وهى المدن التى ظهرت فيها النهضة الأوربية الحديثة[١٢] .

مظاهر أثر الحضارة العربية الإسلامية على حضارة أوربا .

من خلال دراستنا للحياة الثقافية وجدنا أن العرب حققوا تفوقا كبيرا فى ميادين العلوم على اختلافها، وتبين فضلهم وأثرهم فى هذه الميادين، ومدى ما قدموه للعلم وللحضارة من معارف وابتكارات لم يسبقهم إليها أحد .

كما اتضح لنا كيف وصلت الحضارة عن طريق أسبانيا وصقلية وإيطاليا، ونتيجة للعلاقات التجارية، وأيضا دخول الفرنجة بلاد الشام ومصر وبقى لنا أن نعرف ما كان للحضارة العربية والإسلامية من أثر واضح فى الحضارة الأوربية ونوضح ذلك فى إيجاز ٠

- أنه خلال الفترة الذهبية فى تاريخ الإسلام أنشئت المدارس فى مختلف البلاد الإسلامية شرقا وغربا، وكثرت المكتبات وامتلأت بالمؤلفات العربية الإسلامية، وكذلك المؤلفات اليونانية والفارسية والهندية المترجمة وقد جزيت هذه المدارس والمكتبات الباحثين عن المعرفة من العالم المسيحي والإسلامي على السواء، فقد أصبحت طليطلة بعد أن استولى عليها ألفونسو السادس سنة ١٠٨٥م مركزا لانتشار الثقافة العربية إلى باقي نواحي أسبانيا وأوربا، ويرجع الفضل فى إدخال النصوص العربية فى دوائر الدراسة الغربية إلى " دايموندو " أسقف طليطلة وكبير مستشاري ملوك قشتاله، وكان لعمله هذا أكبر الأثر فى مصير أوربا(١٣) ٠

تولى الأسقف رعاية جماعة من المترجمين حيث أنشأ ديوانا لترجمة التراث وفى عهد ألفونسو الحليم (١٢٨٤-١٢٥٢م) كانت طليطلة مركز النور والعلم وانتقلت إلى أوربا خلال هذه الحركة مؤلفات الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالى والخوارزمي صاحب الجداول الرياضية، وكان أشهر المترجمين من العربية "جيرار الكريمونى" حيث يذكر أنه ترجم أكثر من سبعة وثمانين كتابا فى مختلف العلوم(١٤) ٠

وعندما ذاعت هذه الترجمات للكتب العربية هرع الكثير من الأوربيين المتعطشين إلى مناهل العلوم الإغريقية والعربية قاصدين مدرسة طليطلة حيث يترجم لهم أحد المستقرين ما جاء فى الكتب العربية إلى الأسبانية الدارجة أو اللاتينية الركيكة(١٥) ٠

ظلت ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلمية مصدرا وحيدا تقريبا للتدريس فى جامعات أوربا خمس قرون، وظل تأثير العرب فى بعض العلوم التى تدرس فى أوربا حتى وقت قريب ففي مجال الطب نجد مثلا أن كتاب " الحاوي " للرازى المؤلف من عشرين مجلدا، يجمع كل المعلومات الطبية التى كانت معروفة فى زمانه، وظل المرجع الوحيد المعترف به فى جامعات أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادي(١٦) ٠

وفى علم البصريات حقق المسلمون أعظم تقدم علمي، ورسالة الكندي في العلم هي التي اعتمد عليها روجر بتكون فى دراسته لهذا الموضوع، واستفاد روجر وفيتلبون من بصريات الحسن بن الهيثم، كما أخذ ليوناردوا اليزى عن العرب علم الجبر، وأخذ أرنالدو فيلانوفا الطب والكيمياء، كما نهل أعلام الطب الأوربي من كتب العرب وخاصة الزهراوى، كما استوحى " كلير " كشفة لأفلاك الكواكب الدائرية من كتاب العالم المسلم " البطروحى"[١٧] .

وفى الرياضة يرجع الفضل للعرب في الطرق الحسابية المستعملة في الحياة اليومية في عصرنا الحاضر، وهم الذين جعلوا من الجبر علما حقيقيا، وتقدموا به تقدما كبيرا، حتى اعتبروا أنهم هم الذين وصفوه، كما أسسوا علم الهندسة التحليلية وحساب المثلثات الذي لم يكن معروفا عند اليونانيين، وفى علم طبقات الأرض يعتبر ما كتبه الرئيس ابن سينا في كيفية تكوين الجبال والأحجار والمواد المعدنية وما إلى ذلك من أهم المراجع التي اعتمدت عليها أوربا في أبان نهضتها المدنية[١٨] .

- تركت الحضارة العربية والإسلامية فى اللغات الأوربية ألفاظا تدل على مقدار ما أفادته الحضارة المدنية من تراث تنطق بصيغتها العربية والإسلامية مثل أن معظم أسماء النجوم فى اللغات الأوربية لا تزال تنطق بصيغتها العربية، ومنها العقرب والجدي والطائر والذئب والقرفد، ولا تزال المصطلحات الفلكية والرياضية حافظة لصيغتها العربية فى اللغات الأوربية ومنها السمت والنظير والجيب والجبرؤ والكيمياء والصفر، وغيرها من الألفاظ العربية الأخرى[١٩] .

والغرب مدين للعرب أيضا بإدخال الكثير من الإصلاحات والآلات الموسيقية، وقد تفوق المسلمون كثيرا فى الفن، والنقش واشغال الذهب والفضة والآنية، وعنهم أخذت أوربا[٢٠] .

كما تأثرت الفنون المعمارية الأوربية بعناصر الفن الإسلامي، حيث اقتبست أوربا الفن المعروف بالأرابيسك Arabesque، وهو فن معماري عربي يميل إلى التكوينات الهندسية، بل نجد مباني كثيرة في أوربا في العصور الوسطى، مثل الجامعات القديمة في إنجلترا متأثرة بالفن العربي[٢١] .

وفى التجارة كان المسلمون رواد العالم الحديث، فقد انشئوا النقابات وعرفوا نظام طريق الشرق، مثل الكافور، والزعفران، والمر، والمسك والقطن، والأرز، والخرشوف، والحنة، والليمون، وقصب السكر، والموز، والقهوة، وطواحين الهواء، والسواقي[٢٢] ٠

ومن أبرز المفكرين الذين تحدثوا عن أثر الحضارة الإسلامية في حضارة أوربا (جوستاف لوبون) الذي وضع كتابا قيما بعنوان (حضارة العرب) انصف فيه المسلمين وسلط الأضواء على الأسس العربية للحضارة الأوربية الحديثة ومن أراءه في هذا الصدد قوله : كان تأثير العرب على الغرب عظيما وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوربا، ولم يكن نفوذهم في الغرب أقل مما كان في الشرق، ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذي أثره العرب في الغرب إلا إذ تصور حالة أوربا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة الإسلامية، وإذا رجعنا إلى القرنين التاسع والعشر الميلادي، في الفترة التي كانت فيها الحضارة العربية في أسبانيا زاهرة باهرة، نرى أن المراكز العلمية الوحيدة في الغرب عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بأنهم أميون ٠

ويرى لوبون أيضا أن الحضارة العربية لم تدخل إلى أوربا نتيجة الحروب الصليبية كما هو الرأي الشائع، بل دخلت بواسطة الأندلس وصقلية وإيطاليا ٠

ويقارن لوبون بين أسبانيا العربية وسائر أرجاء أوربا فيقول تمتعت أسبانيا بحضارة سامية بفضل العرب بينما كانت باقية أوربا فى ظلام، ولو سار الغرب تحت راية المسلمين لتسلمت منزلته[٢٣] ٠

واعترف المؤرخ " رينو " فى كتابة " تاريخ غزوات العرب " بفضل العرب على حضارات أوربا فقال : أن النهضة الحقيقية فى أوربا لم تبدأ إلا منذ القرن الثاني عشر الميلادي، حيث أفاق الفرنسيون والإنجليز والألمان من رقدتهم، ونفضوا عنهم غبار الخمول، ووجدوا ضرورة الاشتراك فى الحضارة العربية، فأخذ المسيحيون فى فرنسا وما جاورها يؤمون أسبانيا لترجمة الكتب العربية وأصبح العرب الأمثلة العليا للشجاعة والشهامة وعزة النفس ومكارم الأخلاق ٠

وقال (سارتيو) فى كتابة (الحضارة) : أن ما أتت به الحضارة العربية فى باب العلم ولا سيما العلوم وتطبيقها أعظم بكثير مما أتت له فى هذا السبيل الدولة البيزنطية، إذ أن الحضارة البيزنطية لم تأت بفكر جديد[٢٤] .

وأشار المفكران " لافيس " و " لامبو " فى كتابهما : التاريخ العام بالحضارة العربية وأثارها، فقال : إذ وجب أن يذكر لكل واحد قسطه من العمل، لا يسع المنصف أن يذكر قسط العرب منه كان أعظم من قسط غيرهم، فلم يكونوا واسطة نقلت إلى الشعوب المتأخرة فى أفريقيا وأسيا وأوربا اللاتينية معارف الشرق الأقصى وصناعاته واختراعاته، بل احسنوا استخدام المواد المبعثرة التى كانوا يلتقطونها من كل مكان، ومن مجموع هذه المواد المختلفة التى جلبت فتمازجت نماذج متجانسا أبدعوا حضارة حية مطبوعة بطابع مقترحاتهم وعقولهم، وهى ذات وحدة خاصة وصفات قائمة[٢٥] .

وكانت مملكة بافاريا من أبرز الدول الأوربية اعتمادا على النظم العربية حيث اقتبس ملك بارفاريا خبرات المسلمين فى الأندلس ونظمهم، وقامت فى مدينة (بال) الألمانية أول محكمة قانونية على الطراز العربي الإسلامي وقلدها في ذلك سائر مدن أوربا .

وفى مقاطعات فرنسا بدأ تأسيس دواوين الحكومات على الطريقة الإسلامية، ثم انتقلت النظم العربية الإدارية إلى بقية البلدان الأوربية، وقلد الأوربيون العرب فى إنشاء المجالس الشورية[٢٦] .

وأخيرا الاستكشافات الكبرى، التى قامت فى العصر الحديث نجد أنها مبنية على ما قام به العرب . فكريستوفر كولمب اطلع على خرائط العرب التى شاعت فى أوربا فضلا عن شيوع استدارة الأرض عند الجغرافيين العرب، التى هيأت هذه الاستكشافات[٢٧] .

الصور والأشكال

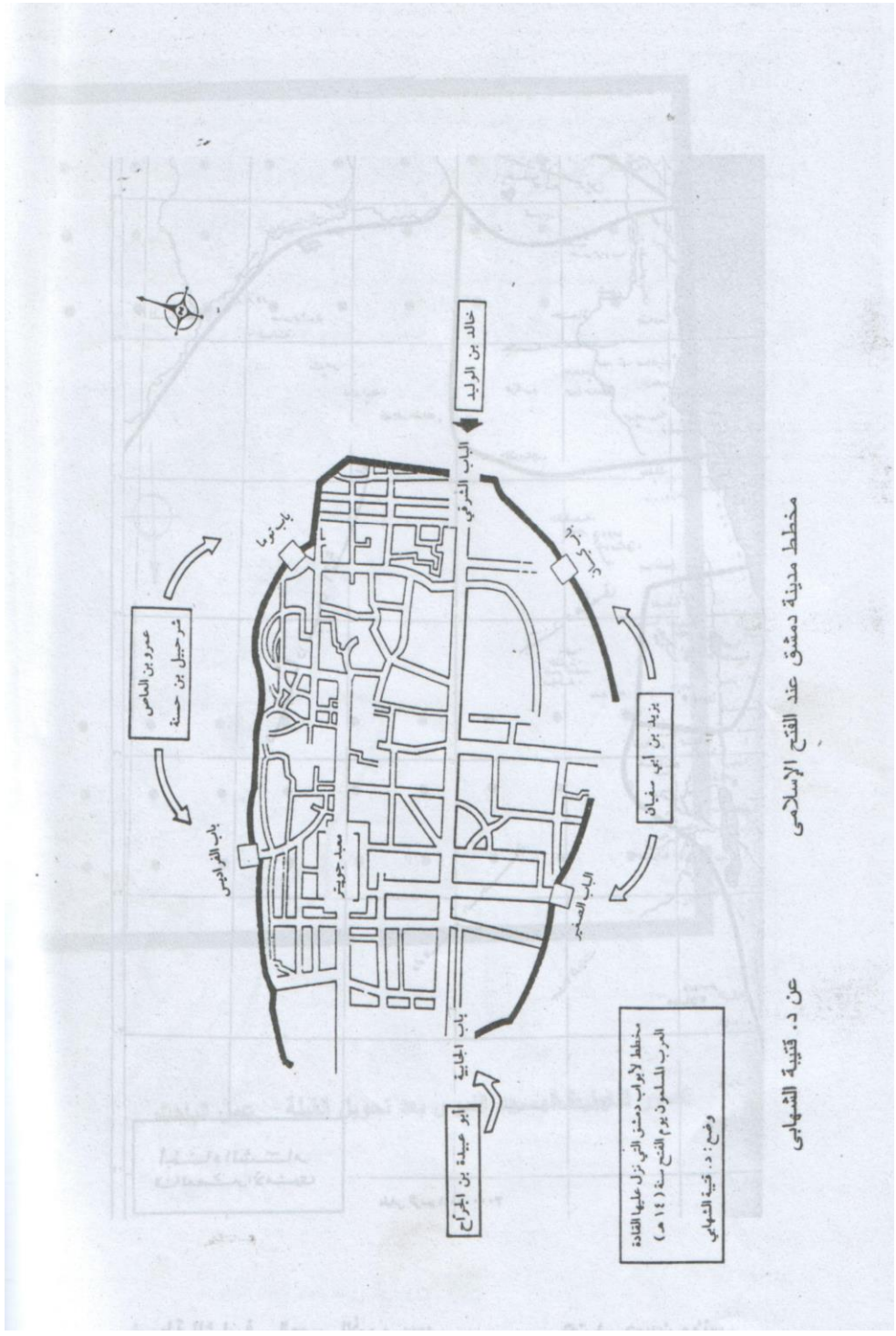

مخطط مدينة دمشق عند الفتح الإسلامي عن د. قتيبة الشهابي

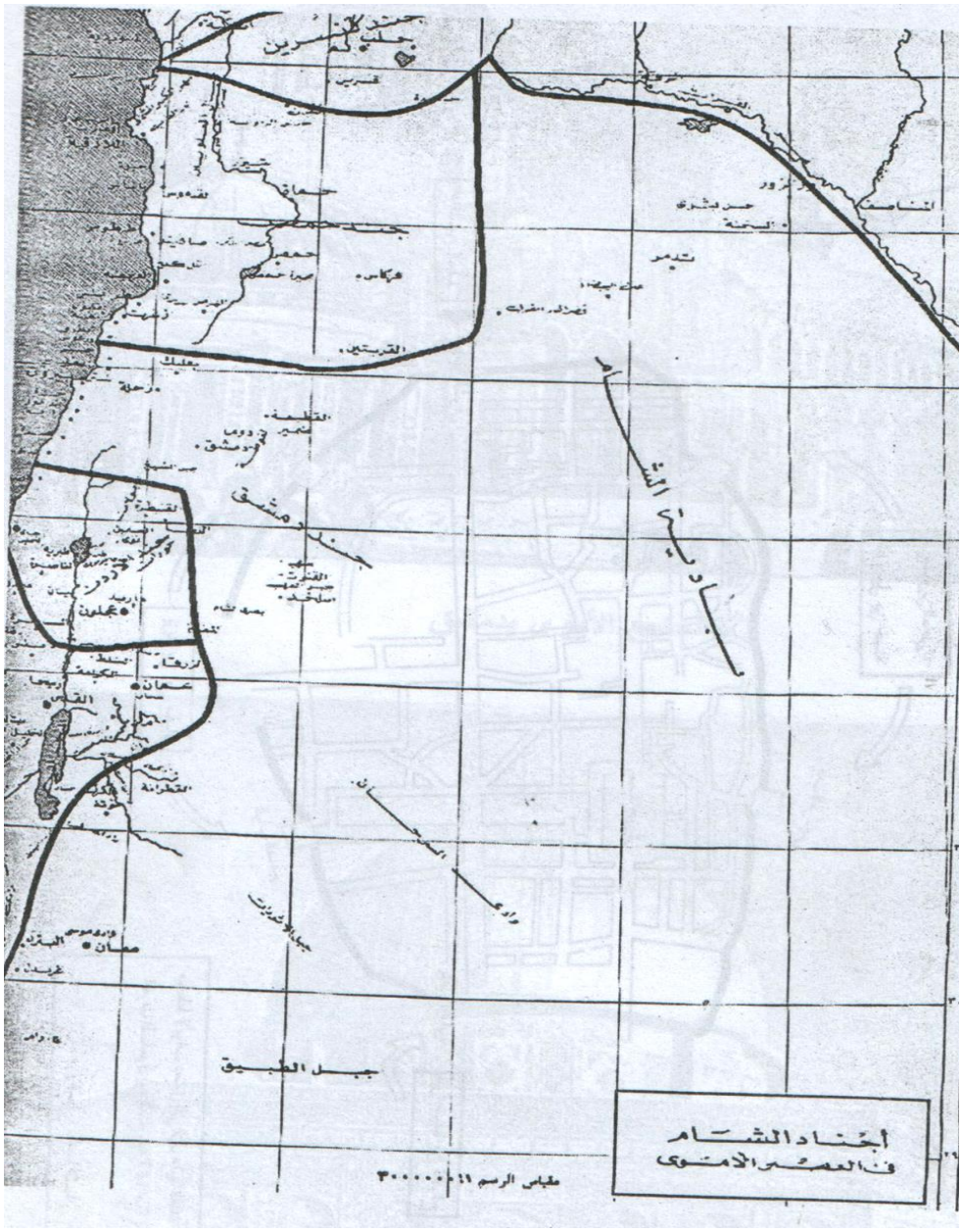

خريطة للشام في العصر الأموي - عن د/ حسين مؤنس

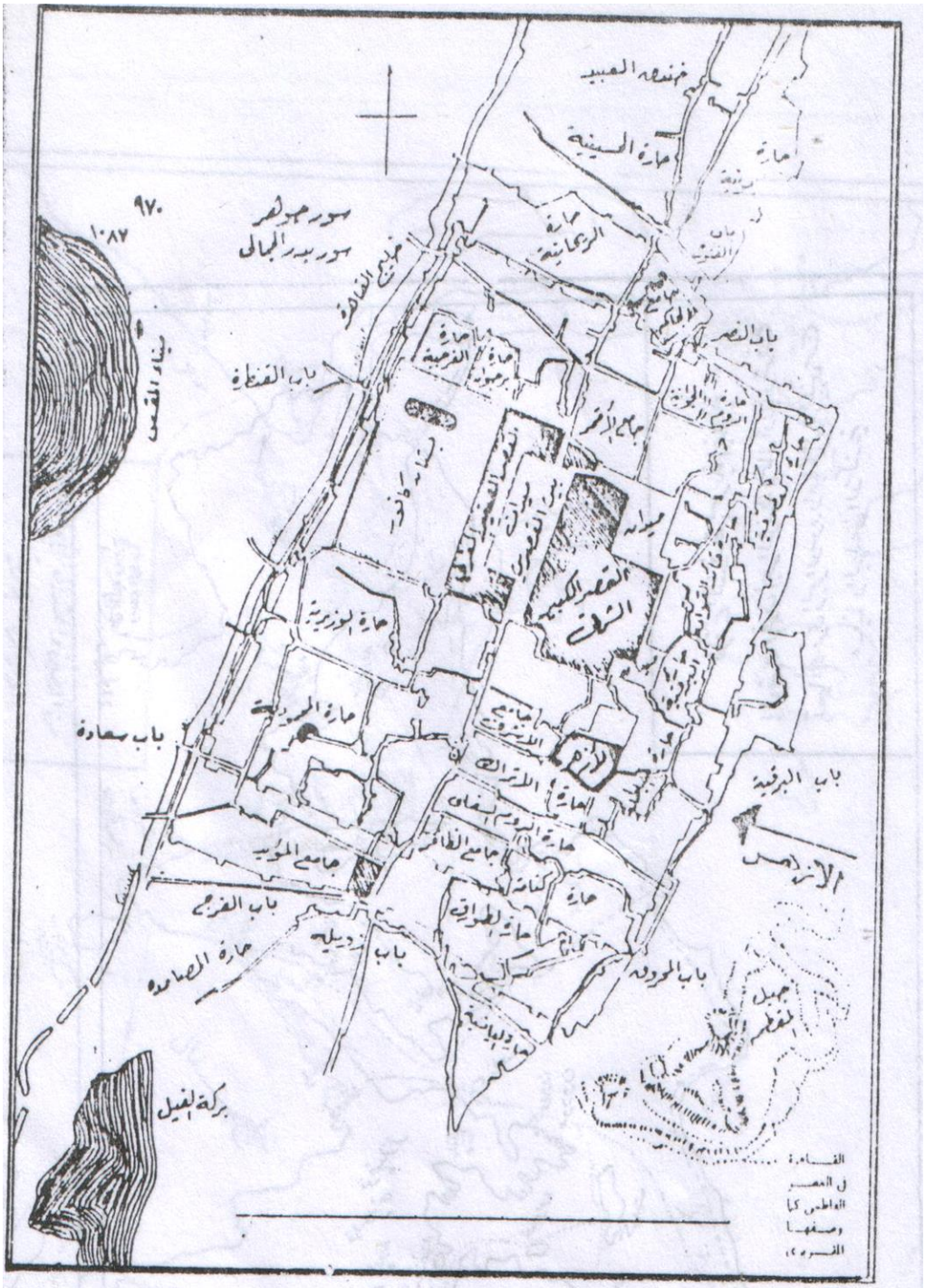

شكل ( ) خريطة لمدينة القاهرة فى العصر الفاطمى، عن الأزهر فى عيده الألفى.

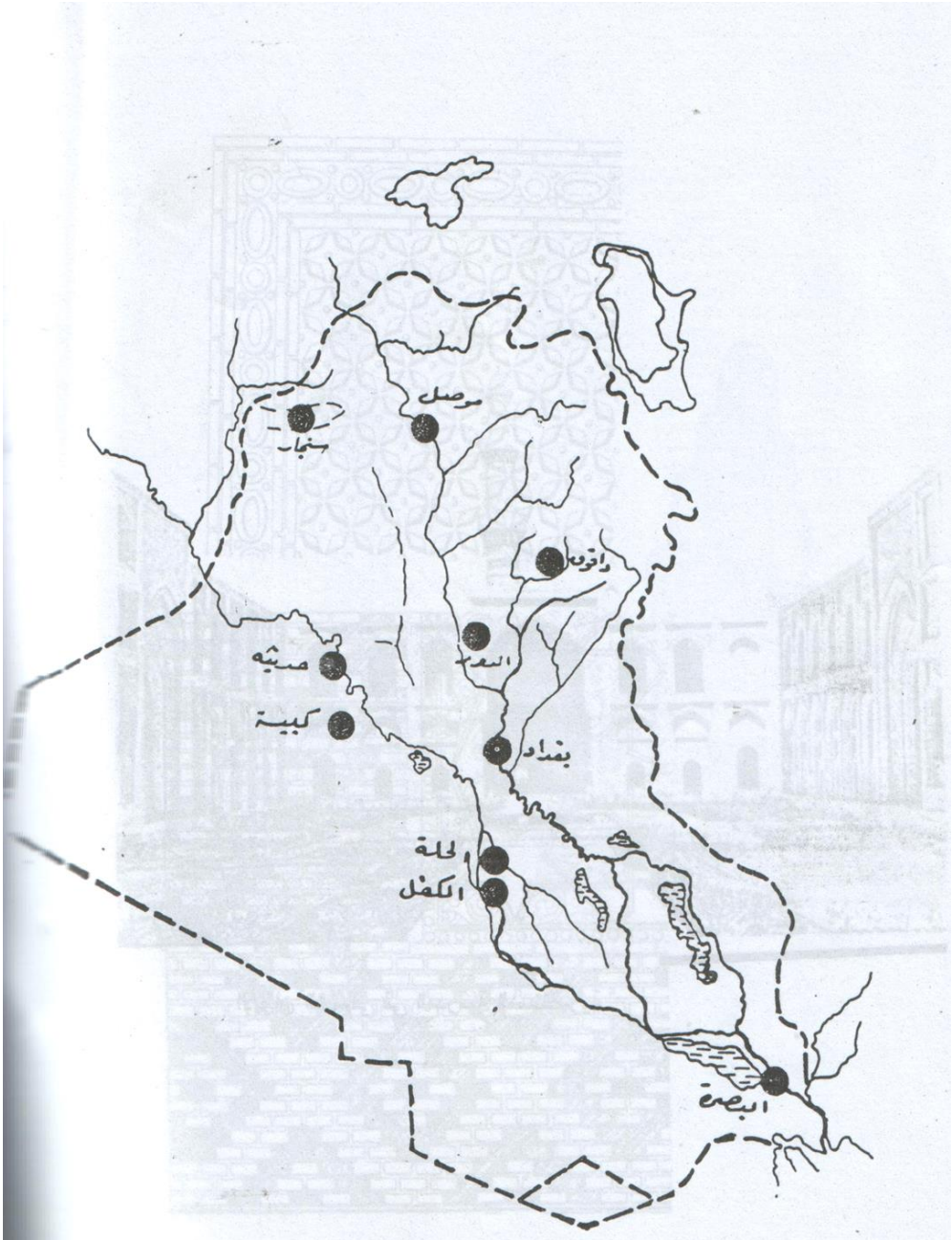

خريطة توضح الأماكن التى تحوى القباب الضريحية عن عطا الحديثى، هناء عبد الخالق.

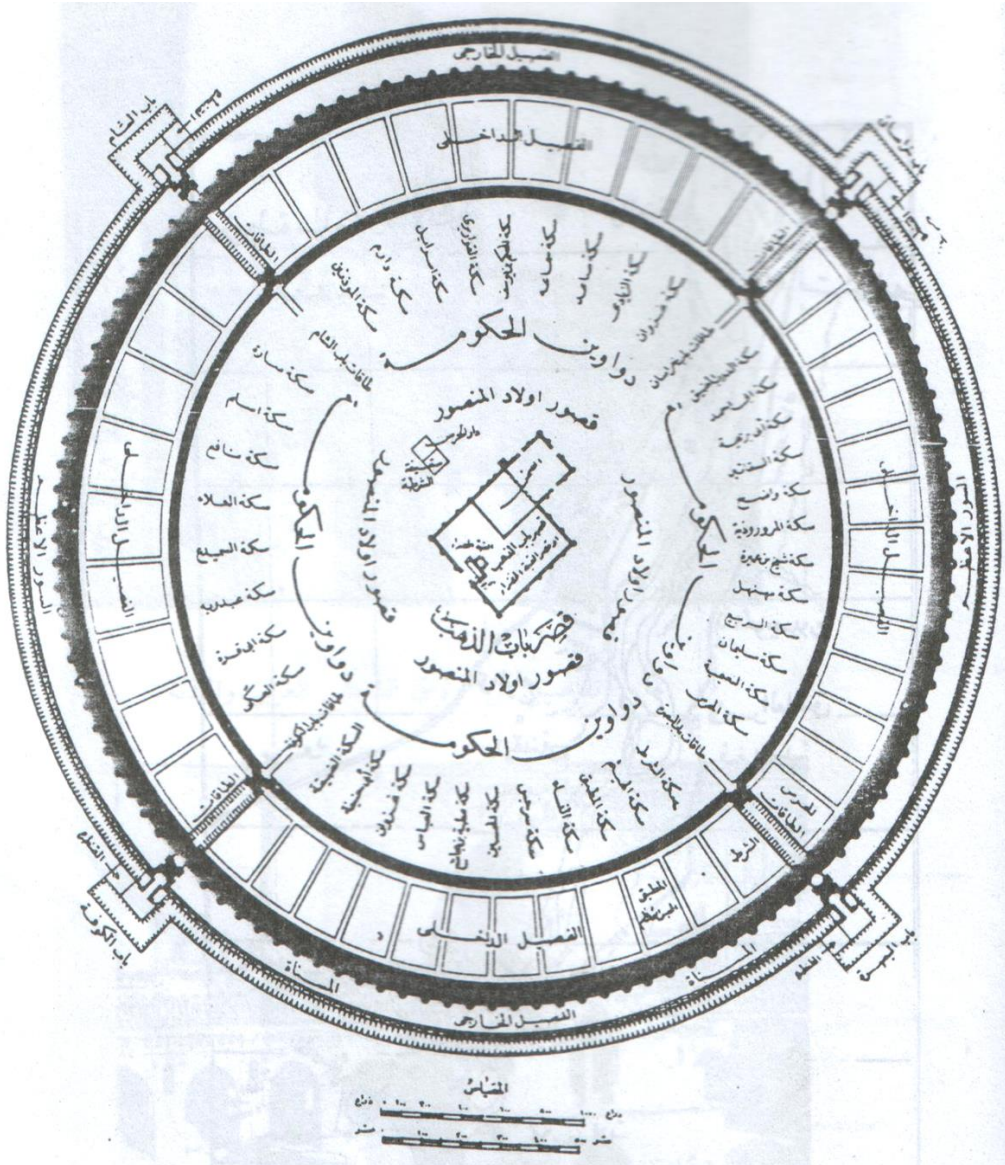
دواوين الحكومة
قصور اولاد المنصور
قصر باب الذهب
السور الاعظم
السور الداخلي
السور الخارجي
باب الشام
باب خراسان
باب البصرة
باب الكوفة
المقياس

مدينة بغداد

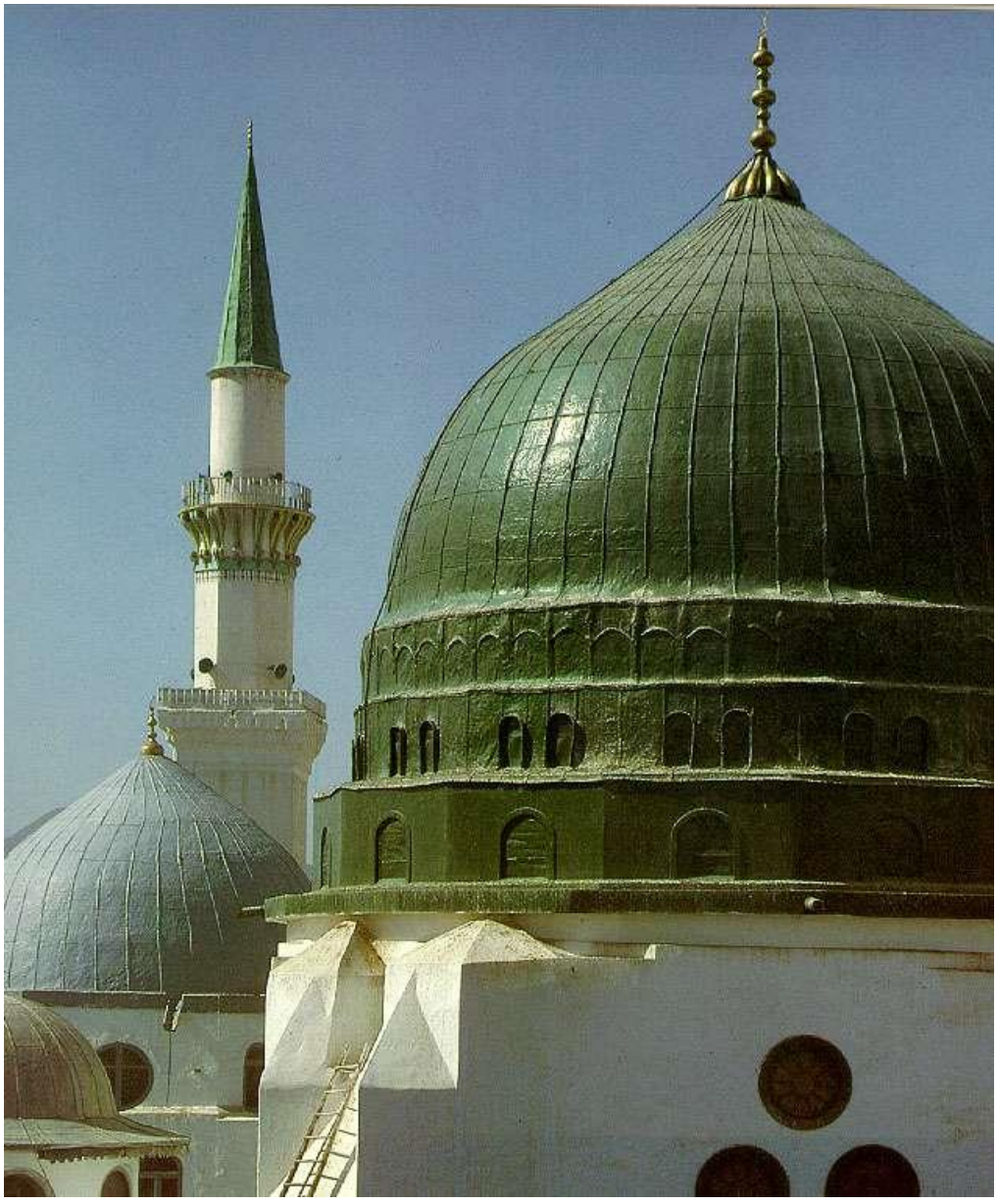

المسجد النبوى

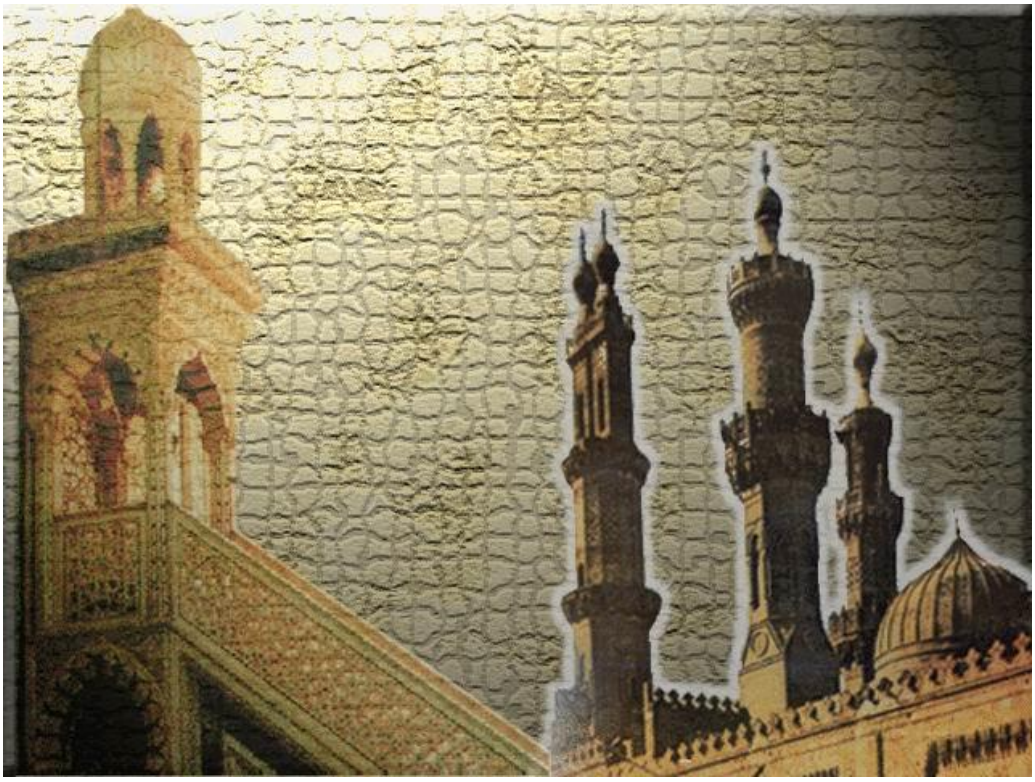

مسجد الأزهر

المسجد الأقصى

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- السنة النبوية ٠

أولا : المصادر :

ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم) ت٦٦٧هـ/١٢٦٨م.

- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، دار الثقافة ، القاهرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ٠

ابن الأثير (على بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبقى الجزرى) ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م ٠

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ٠
- الكامل فى التاريخ ١٢ جزء ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ٠

ابن الأخوة (محمد بن أحمد بن أبى زيد بن الأخوة المصرى القرشى) ت٧٢٩هـ

- معالم القربة فى أحكام الحسبة ، القاهرة ١٩٣٧م ٠

ابن اياس (أبو البركات محمد بن أحمد) ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م ٠

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الطبعة الثانية ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ٠

ابن ايبك (أبو بكر بن عبد الله الدوادارى) ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م ٠

- كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السادس : الدرة المضيلة فى أخبار الدولة الفاطمية " تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٦١م ٠

ابن بسام (عبد الرحمن بن نصر) ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م ٠

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، نشر حسام الدين السمرائى بغداد ١٩٦٨م ٠

ابن بعرة (منصور بن بعرة (الذهبى الكاملى) ٠

- كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمى ، القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م ٠

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتى الطنجى) ت٧٧٠هـ/١٣٣٧م ٠

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " رحلة ابن بطوطة " بيروت، دار الكتاب المصرى اللبانى ٠

ابن البيطار (ضياء الدين أبو محمد عبد الله) ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م ٠

- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ٠

ابن تيمية (تقى الدين أحمد بن تيمية) ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م ٠

- الحسبة فى الإسلام ، تعليق أحمد الحنبلى ، القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ٠

ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد البلنسى) ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م ٠

- تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، المعروف بـ " رحلة بن جبير " دار الكتاب المصرى واللبنانى ، بيروت ٠

ابن الجزرى (شمس الدين ابى الخير محمد بن محمد الجزرى) ت ٨٣٣هـ ٠

- غاية النهاية فى طبقات القراء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م٠

ابن الجوزى (أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى) ت ٥٩٧هـ ٠

- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى دائرة المعارف العثمانية بعاصمة حيدر أباد ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ٠

ابن الجيعان (شرف الدين يحيى بن علم الدين شاكر) ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م٠

- التحفة السنية باسماء البلاد المصرية ، المطبعة الأهلية ، القاهرة ١٨٩٨م ٠

ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن على العسقلانى) ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م ٠

- رفع الاصر عن قضاة مصر ، القسم الأول تحقيق حامد عبد المجيد ، مراجعة ابراهيم الابيارى ، القاهرة ١٩٥٧م ٠
- الاصابة فى تمييز الصحابة ، الجزاءان الخامس والسادس ، دار الكتب العلمية بيروت ٠

ابن حزم (أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى) ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م ٠

- جمهرة انساب العرب ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١م ٠

ابن حوقل (أبو القاسم محمد البغدادى الموصلى) ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ٠

- صورة الأرض ، دار الحياة ، بيروت ١٩٧٩م ٠

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله بن محمد) ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م ٠

- المسالك والممالك ، ومعه نبذه من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ٠

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جاب (بن خلدون المغربى) ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م ٠

- مقدمة بن خلدون ، طبعه مأخوذة عن طبعة لجنة البيان العربى ، تحقيق عبد الواحد وافى ، دار الشعب ، القاهرة ٠
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المعروف بـ " تاريخ ابن خلدون " مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ٠

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر) ت ٦٨١هـ

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق محيى عبد الحميد ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ٠

ابن دريد (أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد) ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م ٠

- الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هلرون ، دار الخانجى ، القاهرة ٠

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلاقى) ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م ٠

- الإنتصار لواسطة عقد الأمصار ، فى تاريخ مصر وجغرافيتها ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ٠

ابن رستة (أبو على أحمد بن عمر بن اسحق) ت ٢٩٥هـ / ٩٠٧م ٠

- الأعلاق النفيسة ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٩١٠

ابن سعد (أبو عبد الله بن سعد بن منيع البصرى الزهرى) ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م ٠

- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ٢ مج ٠

ابن سعيد (على بن موسى المغربى) ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٥م ٠

- النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، الجزء الخاص بالقاهرة ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٠م ٠

ابن سيد الناس (فتح الدين أبو الفتح محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس) ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م ٠

- عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ٠

ابن سيدة (أبى الحسن بن اسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى) ت ٤٥٨هـ ٠

- المخصص ، تحقيق لجنة احياء التراث العربى ، دار الأفاق الحديثة ، بيروت ٠

ابن شرف النووى (الامام الحافظ محيى الدين زكريا يحيى ين شرف النووى) ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م ٠

- رياض الصالحين، تعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة٠

ابن الصيرفى (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان) ت ٥٤٢هـ ٠

- القانون فى ديوان الرسائل والاشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد

ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا ، المعروف بابن الطقطقى) ت ٧٠٩هـ

- الفخرى فى الأداب السلطانية والدول الإسلامية ، شركة الكتب العربية ، القاهرة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م ٠

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم) ت ٢٧٥هـ ٠

- فتوح مصر وأخبارها ، طبعة ليدن ، ١٩٢٠م ٠

ابن عبد ربة (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى) ت ٣٤٩هـ/ ٩٤٠م ٠

- العقد الفريد ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٣١٢هـ / ١٦٧٨م ٠

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى) ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م ٠

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩م ٠

ابن فارس(أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) ت ٣٩٥هـ

- معجم مقاييس اللغة : تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ط١ ، سنة ١٩٦٩م ، ط٢ ١٩٧٠م ، مطبعة عيسى الحلبي وأولاده بمصر

ابن القفطى (الوزير جمال الدين بن الحسن على بن يوسف) ت ٦٤٦هـ ٠

- انباء الرواه عن أنباء النحاه ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ١٤٠٦هـ ٠

ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمى) ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م ٠

- ذيل تاريخ دمشق ، حققه أمد روز ، بيروت ١٩٠م ٠

ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الحنبلى الدمشقى) ت ٧٥١هـ ٠

- الفروسية ، ترجمة وتعليق عزت العطار الحسينى ، دار الكتب العلمية ، بيروت

ابن كثير (الحافظ بن كثير القرشى) ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ٠

- البداية والنهاية ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ٠

ابن ماجه (الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني) ت ٢٧٥هـ

- سنن ابن ماجه ، الطبعة الأولى ،دار المعرفة بيروت لبنان ١٩٩٦م

ابن مماتى (القاضى شرف الدين أبو المكارم بن أبى سعيد) ت ٦٠٦هـ ٠

- قوانين الدواوين ، تعليق وتحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٢٠

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصرى) ت ٦٣٠هـ ٠

- لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير ، محمد حسب الله ، هاشم الشاذلى ، القاهرة ٠

ابن النجار

- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، تحقيق الدكتور محمد زينهم ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م ٠

- السيرة النبوية ، تعليق طه عبد الرؤوف ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، القاهرة ٠

ابن الوردى (زين الدين عمر بن الوردى)

- تتمه المختصر فى أخبار البشر ، المعروف بتاريخ بن الوردى ، تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م ٠

أبو شامة (شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن ابن إبراهيم المقدسى الشافعى) ت ٦٦٥هـ ٠

- كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، الجزء الأول ، طبعة وادى النيل ، القاهرة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م ٠

أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل أبى الفداء) ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ٠

- المختصر فى أخبار البشر ، المعروف بتاريخ أبى الفداء ، دار المعرفة ، بيروت ٠

أبو الفرج الوراق (محمد بن أبى يعقوب اسحق)

- الفهرست ، تحقيق رضا – تجدد ٠

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م ٠

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٠م

الإدريسى (أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الحموى) من علماء القرن السادس الهجرى ٠

- صفة بلاد المغرب والسودان ومصر ، ليدن ١٨٦٦م ٠
- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩١م ٠

الاصطخرى (ابن اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى) توفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ٠

- المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ٠

البخاري (أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل ابن إبراهيم ابن المغيرة ابن بردربه البخاري الجحفي)

- صحيح البخاري : المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، أسطنبول ،تركيا

الترمذي(أبو عيسى محمد ابن عيسى ابن سورة)

- السنن:تحقيق محمد فؤاد عبد الباري ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان

البغدادى (عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى) ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م ٠

- الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، طبعة المجلة الجديدة ، تحقيق غسان سبانو ، القاهرة ٠

البلازدى (أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩هـ / ٩٨٩م ٠

- فتوح البلدان ، تعليق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ٠

الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م ٠

- الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم عبد الحفيظ شلبى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م ٠

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى)

- الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط٢ ، بيروت ١٩٤٨م

الدينورى (أبى حنيفة أحمد بن داود) ت ٨٨٢هـ / ١٨٩٥م ٠

- الامامة والسياسة " تاريخ الخلفاء " تحقيق طه الزينى ، دار المعرفة ، بيروت ٠

الذهبى (الحافظ شمس الدين الذهبى) ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م ٠

- تاريخ دول الإسلام ، تحقيق فهيم شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، القاهرة ١٩٧٤م ٠

الرازى (أبو بكر محمد بن زكريا) ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م ٠

- منافع الأغذية ودفع مضارها ، القاهرة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م ٠

الزركلى (خير الدين)

- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩م ٠

السبكى (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن على بن عبد الله الكافى) ت ٧٧١هـ

- طبقات الشافعية الكبرى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٤هـ / ١٩٥٥م ٠

السمعانى (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى) ت ٥٦٢هـ

- الأنساب ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ، الطبعة الأولى ، دار لبنان ، بيروت ١٤٠٨هـ، / ١٩٨٨م ٠

السمهودي

- وفاء الوفا : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط٢ ،١٣٩٣هـ/١٩٧١م

السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين) ت ٩١١هـ / ١٦٠٥م ٠

- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، مراجعة أحمد بدوى الإدارة العامة القاهرة ٠
- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه ، القاهرة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م ٠
- طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٣م ٠

الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر) ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م ٠

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العرينى ، القاهرة ١٩٤٦م ٠

الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م ٠

- الوافى بالوفيات ، باعتناء سى بدرنغ ، دمشق ، المطبعة الهاشمية ١٩٥٣م ٠

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م ٠

- تاريخ الأمم والملوك ، المعروف بتاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف ، القاهرة ٠

العمرى (شهاب الدين أبى العباس أحمد بن العمرى) ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م

- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد زكى ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٤م ٠

القزوينى (أبى زكريا بن محمد بن محمود)

- أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ٠

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على القلقشندى) ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، القاهرة ١٩٦٣م ٠

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى) ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م

- ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ٠

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى) ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ٠

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م ٠

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) ت ٣٤٦هـ / ٩٥٦م ٠

- التنبيه والاشراف ، دار صعب ، بيروت ٠
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ٠

المقدسى (شمس الدين أبو عبيد الله محمد الشافعى البشارى) ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م ٠

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٠٩م ٠

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر الشافعى) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م ٠

- اتعاظ الحنفاء بذكر أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، الجزء الأول تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٧م، الجزء الثانى تحقيق محمد حلمى أحمد، القاهرة ١٩٧١م٠
- شذور العقود فى ذكر النقود القديمة والإسلامية ، المكتبة المرتضوية ومطبعتها النجف ، العراق ١٣٥٦هـ ٠
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية مأخوذ عن طبعة بولاق ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م ٠

النابلسى (عثمان بن إبراهيم النابلسى) القرن السادس الهجرى ، الثانى عشر الميلادى ٠

- لمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ٠

النعيمى (عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقى) ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م ٠

- الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ٠

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م ٠

- نهاية الإرب فى معرفة فنون الأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نسخة مصورة ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ٠

ناصر خسرو على (ت ٤٨١هـ / ١٠٠٨م) ٠

- سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م٠

الواقدى (أبى عبد الله محمد بن عمر) ت ٢٠٧هـ / ٨١٥م ٠

- فتوح البلدان ، الطبعة الثانية ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٩٣٤م ٠

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح) ت ٢٨٣هـ / ٨٩٧م ٠

- تاريخ اليعقوبى ، جزءان ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) ٠
- البلدان : ليدن ١٩٦٧م ٠

ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى) ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ٠

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ٠
- معجم الأدباء ، دار مأمون للطباعة والنشر ، الطبعة الأخيرة ، القاهرة ٠

ثانيا : المراجع :

إبراهيم أحمد العدوى (الدكتور)

- الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط ، مكتبة نهضة ، القاهرة ٠

أحمد إبراهيم الشريف (الدكتور)

- دراسات فى الحضارة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٨١م

أحمد أحمد بدوى (الدكتور)

- الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ، بمصر والشام ، القاهرة ١٩٧٢م ٠

أحمد أمين

- ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ٠
- ظهر الإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية لجنة التأليف والترجمة والنشر ٠ القاهرة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ٠
- قاموس العادات والتقاليد المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٣م ٠

أحمد عبد الرازق أحمد (الدكتور)

- تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٩٣م ٠

أحمد عبد السلام ناصف (الدكتور)

- الشرطة فى مصر الإسلامية ، ط١ ، الزهراء للاعلام العربى ١٩٨٧م ٠

أحمد عيسى (الدكتور)

- تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ، ط٢ ، دار الرائد العربى ، بيروت ١٩٨١م ٠

ادم متز

- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، الجزء الأول والثانى ترجمة عبد الهادى أبو ريده ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٨م ٠

أرشيبالد لويس

- السيادة الإسلامية فى البحر المتوسط ، ترجمة أنيس مريحة ، واخ ، دار الأندلس ، بيروت ١٩٦٠م٠

السيد عبد العزيز سالم (الدكتور)

- التاريخ والمؤرخون العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨١م ٠
- تاريخ الدولة العربية ، الجزء الثانى مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ٠
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٨٢م ٠

الشيخ أحمد السكندرى والشيخ مصطفى العنانى

- الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م ٠

انستاس مارى الكرملى ٠

- النقود العربية الإسلامية وعلم النميات ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٧م

بدر عبد الرحمن محمد (الدكتور) ٠

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى ، الطبعة الأولى مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ١٩٨٩م ٠
- الدولة العباسية ، دراسة فى سياستها الداخلية فى القرنين الثانى والثالث الهجرى مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ٠

جورجى زيدان ٠

- تاريخ التمدن الإسلامى ، الجزء الثالث ، دار مكتبة الحياة بيروت ٠
- تاريخ أداب اللغة العربية الجزء الثانى، تعليق شوقى ضيف، دار الهلال، القاهرة ٠

حسن إبراهيم حسن (الدكتور) ٠

- الدولة الفاطمية فى مصر والمغرب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٥م ٠
- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والاجتماعى والثقافى ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٤م ٠

حسن أحمد محمود (الدكتور)

- حضارة مصر الإسلامية فى العصر الطولونى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ٠

حسن الباشا (الدكتور)

- الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوظائف والأثار ، الدار الفنية ، للنشر والتوزيع القاهرة ، ١٩٨٩م ٠

حسن محمد جودة

نظم الحضارة الإسلامية دار النشر الدولي ، الرياض الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م

خضر أحمد عطا الله (الدكتور)

- الحياة الفكرية فى مصر فى العصر الفاطمى ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ٠

خطاب عطية على (الدكتور)

- التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، القاهرة ، ١٩٤٧م ٠

راشد البراوى (الدكتور)

- حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨م ٠

سعاد ماهر (الدكتورة)

- البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة
- محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى ، الكتاب الرابع ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٦م ٠
- الحصير فى الفن الإسلامى ، مطبعة كرستاتسوماس ، القاهرة ٠
- النسيج الإسلامى ، مطابع دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٧م ٠

سهام مصطفى أبو زيد (الدكتورة)

- الحسبة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨م ٠
- مصر فى عصر الإخشيديين ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩م ٠
- أهل الذمة فى مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م ٠
- أحمد بن طولون ، أعلام العرب الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٠
- مصر فى العصرين الطولوتى والإخشيدى ، الألف كتاب ، القاهرة ١٩٦٠م ٠

سييديو

- خلاصة تاريخ العرب ، الطبعة الثانية ، دار الآثار ، بيروت ١٤٠٠هـ

شحاتة عيسى إبراهيم

- القاهرة تاريخها ونشأتها ، امتدادها ، تطورها دار الهلال القاهرة ٠

شوقى ضيف (الدكتور)

- تاريخ الأدب العربى ، الطبعة السادسة ، مصر والشام ، دار المعارف القاهرة ٠

صابر محمد دياب (الدكتور)

- دراسات فى تاريخ العالم الإسلامى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ٠

صلاح الدين كشريد

- الطب النبوى ، مجلة المؤرخ العربى ١٦٤٠، ١٩٨١م ٠

عاصم محمد رزق عبد الرحمن (الدكتور)

- مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى حتى مجئ الحملة الفرنسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩م ٠

عبد الرحمن فهمى (الدكتور)

- موسوعة النقود وعلم النميات (فجر السكة الإسلامية) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٥م ٠

عبد الله كامل موسى

العباسيون وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وأفريقية ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ،ط١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

عبد المنعم سلطان (الدكتور)

- المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ، دراسة تاريخية ، وثائقية ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٥م ٠

عبد المنعم ماجد (الدكتور)

- نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨م
- التاريخ السياسى للدولة العربية ، الجزء الأول والثانى ، عصر الجاهلية ، والنبوة والخلفاء الراشدين ، عصر الخلفاء الأمويين ، القاهرة ٠

عصام الدين عبد الرؤوف الفقى (الدكتور)

- الدولة العباسية ، مكتبة النهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٧٨م ٠

عطية القوصى (الدكتور)

- الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٨٥م ٠
- تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، القاهرة ١٩٧٦م ٠
- تاريخ الكنوز الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م ٠

على إبراهيم حسن (الدكتور)

- مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ، القاهرة ١٩٤٩م
- التاريخ الإسلامى العام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ٠

عيسى سلمان وأخ٠

العمارات العربية الإسلامية في العراق ، دار الرشيد ، العراق ١٩٨٢

غوستاف لوبون

- حضارة العرب ، تعريب محمد صادق رستم وعادل زعتر ، ط٢ ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة ١٩٥٦م ٠

فيليب حتى

- تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، القاهرة ١٩٥١م ٠

محمد جمال الدين سرور (الدكتور)

- تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ٠
- الدولة الفاطمية فى مصر ، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة فى عهدها ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٩م ٠

محمد حمدى المناوى (الدكتور)

- الوزارة فى العصر الفاطمى ، دار المعارف ، القاهرة ٠

محمد الخضرى

- محاضرات فى تاريخ الامم الإسلامية " الدولة العباسية " ط٥ مطبعة الاستقامة القاهرة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م ٠

محمد رمزى

- القاموس الجغرافى ، للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م القسم الأول ، البلاد المندرسة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٣م ، ١٩٥٤م ٠

محمد عبد الستار عثمان

- المدينة الإسلامية " سلسلة عالم المعرفة ، ١٢٨ " يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، اغسطس ١٩٨٨ ٠